تحديات الحوار العربي الإيراني

تأليف

السفير الدكتور : عبد الله الأشعل

دبلوم أكاديمية لاهاى للقانون الدولى.
دكتوراه القانون والعلاقات الدولية - كلية الحقوق/جامعة باريس.
دكتوراه العلوم السياسية-كلية الاقتصاد.
والعلوم السياسية -جامعة القاهرة.
أستاذ القانون الدولى والعلاقات الدولية.
مساعد وزير الخارجية الأسبق.

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة - ميدان حليم خلف بنك فيصل
شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا
ت ٠١٠١٤١١٥٠ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : تحديات الحوار العربي الإيراني

المـــــؤلف : السفير الدكتور : عبد الله الأشعل

رقم الإيداع : ١٧٣٦٣/ ٢٠١٠

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

٤ ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع

٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا . ت: ٢٧٨٧٧٥٧٤/ ٠٢

محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

الطبعة الأولى ٢٠١٠

تقديم

منذ غزو الولايات المتحدة للعراق عام ٢٠٠٣، ورغم المساندة الإيرانية لهذا الغزو بدأ التوتر فى العلاقات الإيرانية الأمريكية يرتكز على الملف النووى الذى جعلته إسرائيل على رأس أولوياتها، بعد أن لاحظت صعود القوة الإيرانية بعد هذا الغزو، وانفتاح العراق أمام النفوذ الإيرانى بسبب فشل سياسة الاحتلال الأمريكى والسياسات الأمريكية فى العراق عموماً والتى أملتها المصالح الإسرائيلية، فأصبحت القوة الإيرانية بشعاراتها المعادية لإسرائيل وسياساتها فى دعم المقاومة فى لبنان و فلسطين أكبر عقبة فى سبيل تمدد المشروع الصهيونى هكذا اتصلت إسرائيل بإيران على الفراغ الذى تركه العالم العربى بحيث أصبحت الدولتان هما اللاعبان الأساسيان للصورة بالطبع تقف الولايات المتحدة مساندة لإسرائيل.

وخلال عامى ٢٠٠٨، ٢٠٠٩ خاصة بعد العدوان الإسرائيلى على لبنان وصعود حزب الله فى هذه المواجهة ثم بعد فشل العدوان الصهيونى على غزة (ديسمبر ٢٠٠٨، ويناير ٢٠٠٩) برزت حماس فى الساحة الفلسطينية، بدأ الاحتكاك المباشر بين بعض الدول العربية وإيران، ومع كل من حزب الله، فأدى ذلك إلى استقطاب جاد فى العالم العربى بين شعوب تؤيد المقاومة وتشكر لإيران بصرف النظر عن أن هذه المساندة جزء من مشروعها الذى بدأ يتصارع مع المشروع الأمريكى من خلال

المقاومة، ومع المشروع الصهيونى أيضاً، فانكشف الجسد العربى الذى يفقد إلى مشروع غطاء عربى عربى تحمى على الأقل المصالح العربية التى صارت أوراقا فى يد هؤلاء اللاعبين الثلاثة فى هذا المناخ توترت العلاقات العربية الإيرانية لأسباب موضوعية ونفسية وبلغ التوتر غايته بقطع المغرب علاقاته الدبلوماسية مع إيران، وكذلك بما ورد من تقارير عن دور لإيران فى التمرد الحوثى فى اليمن، مما أشاع الاعتقاد بأن العالم العربى يوشك أن يصطف وراء إسرائيل وواشنطن فى أى مواجهة عسكريا أو سياسياً قادمة مع إيران خاصة بعد أن أغلقت الحكومة الإسرائيلية ملف القضية الفلسطينية ورفع وزراء الخارجية فيها كل ما يتعلق بها من موقعها على شبكة الإنترنت وارتفع محلها زفير المستوطنين ومعاول الهدم فى القدس ومشروعها الاستيطانى والتهويد، وربط إسرائيل بين أى لين فى موقفها من القضية الفلسطينية وبين المساندة العربية لإسرائيل ضد إيران.

فى مناخ التوتر ارتفعت أصوات تطالب بالتصدى لإيران مع المعسكر الصهيونى والأمريكى وضرب المقاومة إذا كانت عاجزة عن تحرير فلسطين والأراضى العربية ولكنها أتت بخطر إيرانى أكبر، فيما ورد فى تصريحات واضحة للمسؤولين المصريين، وتحذيرات واضحة حول السلوك الإيرانى فى العراق والخليج من جانب المسؤولين السعوديين. على الجانب الآخر ارتفعت أصوات مناهضة للخط السابق وتدعو إلى الحوار مع إيران واكتسبت هذه الأصوات دفعة جديدة رسمية بمطالبة السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية يوم ٣ سبتمبر ٢٠٠٩ بحوار جماعى مع إيران، وفى السابع من سبتمبر رحب د. أحمدى نجاد بالحوار وإن أكد أنه لا توجد مشاكل العرب وإيران فكلاهما فى قارب واحد ضد الأطماع الصهيونية.

ورغبة فى تعزيز سبيل الحوار العربى الإيرانى وتشجيعاً للباحثين فى دفع هذا الاتجاه، رأينا أن نقدم مساهمة أولية تعتمد على مجموعة المقالات التى نشرناها خلال

الفترة الغربية الماضية التى تعالج مختلف جوانب الموضوعات التى تشكل جدول أعمال هذا الحوار فى هذ الصفحات إجابة عن تساؤلات حول جدوى الحوار وأهميته ودواعيه وآلياته والنتيجة المتوقعة منه. وأخيرا يجب أن نشير إلى أن إقبال واشنطن على التفاوض مع طهران رفع حرجاً عن كثير من العواصم العربية فى الحوار مع إيران، ولكننا نرى التفاوض الأمريكى مع إيران سوف يكون بالضرورة على حساب المصالح العربية ولذلك فإن الحوار الإيرانى العربى ربما يمثل صمام أمان لتفادى الآثار السلبية للمفاوضات الإيرانية الأمريكية، ونأمل فى الإسراع فى بلورة موقف عربى وأوراق عربية.

قبل أن تتوزع المنطقة العربية بين سايكس الأمريكى وبيكو الإيرانى هذه المرة. إيران جزء من نسيج المنطقة وثقافتها وتجاهلها أو التآمر ضدها سيكون لصالح القوى الأجنبية التى تستهدف المنطقة العربية.

وقد توترت العلاقات العربية الإيرانية بشكل عام خلال النصف الثاني من ٢٠٠٩ بسبب اتهام اليمن لإيران بأنها تدعم التمرد الحوثي، وخاصة بعد بداية المواجهات بين القوات السعودية وقوات التمرد في منطقة الحدود اليمنية السعودية. أعقب ذلك انتقاد إيران لما أسمته بالتدخل السعودي في اليمن ثم دخول مصر على الخط لمساندة السعودية واليمن والتصريحات الغاضبة للرئيس مبارك بالتصدي لإيران في العالم العربي. ارتبطت هذه التطورات بتعثر المصالحة الفلسطينية واتهام إيران بذلك. غير أن عام ٢٠٠٩ أبى أن ينصرف قبل أن يسجل حدثين هامين في هذا السياق، الأول هو قمة مجلس التعاون الخليجي في الكويت والتي دعت إلى حوار عربي إيراني. الحدث الثاني هو زيارة رئيس مجلس الشوري الإيراني للقاهرة في إطار أنشطة الاتحاد البرلماني الإسلامي، ولقاؤه بالرئيس مبارك.

من الواضح إذاً أن الحوار العربي الإيراني في كل الأحوال هدف استراتيجي ولابد من الإلحاح عليه قبل فوات الآوان، خاصة وأن الدعوة إلى الجوار مسألة استراتيجية وأن فرض هذا الغرض والمناخ الملائم له يتغير كل يوم في الساحة العربية مثلما تتغير احتمالات العدوان الصهيوني على إيران .

هذه الصفحات رأينا أن نسجلها إسهاماً فى إثراء النقاش حول خيار الحوار الإيرانى العربى الذي تظن أنه الأولى بالاهتمام والاكتشاف .

والله وحده هو الهادى إلى أقوم سبيل.

د.عبد الله الأشعل

الزمالك - القاهرة

أغسطس ٢٠١٠

الفصل الأول

الحوار العربى الإيرانى

1

العوامل المشكلة لصورة إيران في العالم العربي

هناك عدد من العوامل التى تؤثر على صورة إيران لدى الحاكم والمحكوم فى العالم العربى. ومن الملاحظ بشكل مبدئى أن عوامل تكوين الصورة لدى الرأى العام العربى تتأثر هى الأخرى بموقف النظم العربية من إيران، تأثراً سلبياً أو إيجابياً. وعلى سبيل المثال فإن تقلب العلاقات المصرية الإيرانية من العداء التام فى العصر الناصرى، إلى الانسجام التام فى عصر السادات والشاه، ثم انتقالها إلى مرحلة التوتر منذ الثورة الإسلامية ثم الاستقرار والجمود فى عصر الرئيس مبارك، قد أثر على موقف الرأى العام المصرى. ويكون التأثير سلبياً كما أعلنت الحكومة فى مصر عن أحداث أمنية مثل التجسس وغيرها منسوبة لإيران. غير أن الإعلام الصهيونى المقترن بتوتر العلاقات الأمريكية الإيرانية قد لعب دوراً حاسما فى التأثير على الرأى العام العربى رغم سقم بعض الطروحات الصهيونية وآخرها اقتراحات السفير الأمريكى السابق فى إسرائيل مارتن إنديك، الذى تجسس على بلاده لصالح إسرائيل، فرقى إلى منصب مساعد وزير الخارجية الأمريكية، والذى يوظف مؤسسة بروكنجز للبحوث لبث هذه المقترحات التى تدعو إلى التضامن بين المسلمين السنة فى العالم العربى وبين اليهود ضد ما أسماه بالخطر الشيعى. وتستمر الدعاية الصهيونية فى تشويه صورة إيران الثورة فى العالم العربى، حتى أصبحت العلاقة العربية مع إيران وصمة عار، وأن

الدول المارقة فى المنطقة وحدها هى التى تتحالف مع إيران، مشيراً فى ذلك إلى سوريا وليبيا خلال الحرب العراقية الإيرانية. ولا شك أن الحوادث الأمنية التى كان يتم الإعلان عنها فى العالم العربى خلال حكم صدام حسين فضلاً عن الدعاية العراقية المكثفة ضد إيران وفكر الخومينى أثناء هذه الحرب هو الذى ترك أثراً سلبياً خطيراً على صورة إيران فى العالم العربى. وبلغت الدعاية الصهيونية حدا لافتا، خاصة بعد دحر حزب الله للاحتلال الإسرائيلى فى جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ واشتدت بشكل غير مسبوق فى مناسبتين الأولى بمناسبة الملف النووى الإيرانى، والثانية بمناسبة فشل إسرائيل فى احتلال جنوب لبنان أو تحقيق الأهداف السياسية لحملة التدمير الواسعة التى اختصت بها لبنان عام ٢٠٠٦.

وقد ألصقت الدعاية الصهيونية الإسرائيلية والأمريكية عدة صفات واتهامات، يتعين على إيران أن ترد عليها، إذا أرادت أن تطمئن الرأى العام العربى إلى سياساتها، وحبذا لو اتخذت إيران بعض الإجراءات والتدابير التى ترضى دولة الإمارات العربية المتحدة فيما يتعلق بقضية الجزر. وأهم المآخذ التى تتردد بشأن إيران هى أنها نظام غير ديمقراطى، وهذا اتهام يتطلب دراسة دقيقة للملامح الديمقراطية فى الدستور الإيرانى، وكذلك سجل الممارسات السياسية الإيرانية. تتهم إيران أيضاً بأن نظامها يرفع شعارات أيديولوجية ثورية، وأنه نظام إسلامى متطرف، ثم إنه نظام يعمل على إنشاء دولة شيعية كبرى وتمزيق الأوطان العربية التى يقيم فيها الشيعة، وأنه نظام يعمل على تمزيق العراق، عدوه التاريخى اللدود. كانت هذه الدعاية أيضاً قد أعلنت أن إيران الثورة تنوى تصدير هذه الثورة إلى دول الخليج ثم الدول العربية الأخرى. وكانت واشنطن بعد فشلها فى ركوب موجة الثورة وانفجار العلاقات مع إيران باستيلاء حرسها الثورى على أعضاء البعثات

الأمريكية فى طهران واحتجازهم كرهائن، قد ركزت على أن إيران تهدد العالم العربى ووجهت بغداد إلى مهاجمة إيران بحجة تأديب إيران والقضاء على ثورتها وخطرها على المنطقة العربية، فأوهمت واشنطن العالم العربى بأن قلبها على مصالحه وأنها من حراس العروبة جنباً إلى جنب مع صدام حسين.

وتطول قائمة المآخذ التى يرددها العالم العربى ضد إيران، مثل مساعدة الولايات المتحدة ضد طالبان، وغيرها مما يمكن أن ينال من صورة إيران الإسلامية فى نظر العالم العربى.

فإلى أى مدى أثر الإعلام الصهيونى على صورة إيران فى العالم العربى؟

من الواضح أن الإعلام الصهيونى يركز على تمزيق وحدة المسلمين إلى سنة وشيعة، ويظهر أن ما يجمع السنة بغيرهم من أتباع الأديان الأخرى خاصة اليهود أكبر مما يجمع بين السنة والشيعة. ولذلك يجب على علماء المسلمين مواجهة هذه الفتنة التى تجسدت إلى واقع فى العراق وتمتد الآن إلى لبنان. ولعل وكلاء الإعلام الصهيونى فى العالم العربى قد أدخل الشكوك إلى العقل العربى، عندما ركز على أن انتصار لبنان على إسرائيل هو انتصار لشيعة لبنان، ولكل شيعة العالم. وقد يكون هذا صحيحاً ولكنه ليس كل الحقيقة. فهذا الانتصار هو فى الواقع انتصار لكل الأحرار والشرفاء فى العالم كله. وقد حاولت إسرائيل خلال حملة تدمير لبنان أن تعمق هذا المفهوم البائس، إذ ركزت الدمار على شيعة لبنان وأحيائهم فى الضاحية الجنوبية وجنوب لبنان، لأنها تثق أن كل شيعة لبنان أتباع لحزب الله، لعل تدمير الشيعة يعطى غيرهم رسالة بأن إسرائيل لا تستهدف إلا من يعتدى عليها، ومادام حزب الله هو الذى يناصب إسرائيل العداء فإن تدمير أتباعه هو الجزاء العادل. كذلك أكد الإعلام الصهيونى أن حزب الله ينفذ أجندة إيرانية، فى الوقت الذى

اجتهدت الأقلام الصهيونية العربية لكى تؤكد للقارئ العربى أن إيران النووية أخطر على العرب من إسرائيل النووية. وزعموا أن السبب هو أن إيران متطرفة بينما إسرائيل معتدلة. وهذا استخفاف واضح بعقلية القارئ العربى، الذى لا يذكر أى ضحايا عرب لإيران، بينما استباحت إسرائيل وأمريكا الدم العربى، كما استباحوا الأعراض والأوطان وجرائمهما يندى لها الجبين الحر. وقد صورت إيران بأنها تأوى الإرهاب وتسانده، وهى عبارة يقصد بها مساندة المقاومة العربية فى لبنان وفلسطين ضد إسرائيل، على خلاف إيران الشاه الذى سخر لخدمة أمريكا وإسرائيل، ومات ودفن غريباً بعد أن ضنت عليه أمريكا بمجرد تركه فيها لينتظر أجله على أراضيها وطردته إلى مصر مقتولاً من الغيظ والسرطان وهى نهاية ودرس وعبرة لكل من يحتمى بالأحضان الأمريكية الصهيونية.

وأخيرا، تلقف محترفو الكتابات السياسية السطحية ما تبثه لهم أجهزة الإعلام الصهيونى عن إيران بأن إيران النووية سوف تمد العصابات الإرهابية بالأسلحة النووية، وأنا شخصياً أتمنى أن يحصل الفلسطينيون وحزب الله على سلاح نووى يرد غطرسة إسرائيل واستخفافها المؤلم بكل من هو عربى ومسلم.

إن إيران تساند الحق فى المعسكر العربى، ومن مصلحة العالم العربى أن يقيم حلفا معها ضد أعدائهم، وأن يسوى المشاكل التى خلقتها الجغرافيا الطبيعية والجغرافيا السياسية والبشرية. وآمل أن تتبنى إيران استراتيجية سياسية وإعلامية ترد على الإعلام الصهيونى فى المنطقة العربية، كما تطمئن الشعوب العربية خاصة فى الخليج إلى أنها الأقرب ديناً ومكاناً وثقافة وارتباطاً إقليمياً ومصلحياً من الغرب الذى كشف عن وجهه الاستعمار وترابطه ضد الإسلام والمسلمين.

| 2 |

في الحوار العربي الإيراني

طالب السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية ببدء حوار جماعى بين الدول العربية وإيران ولكنه أشار إلى أن الموقف العربى من هذه المسألة يحتاج إلى تنسيق مادامت دول أخرى على خلاف مع إيران أما دواعى الحوار فأهمها أنه إذا كانت واشنطن تدعو للحوار عموماً ومع إيران خصوصاً فإن الحوار ألزم بين دول المنطقة ومنها إيران. يضاف إلى ذلك أن معظم الملفات العربية تلعب إيران فيها أدوارا متفاوتة. ففى الملف اللبنانى والفلسطينى تحوز إيران نسبة عالية، وترتفع هذه النسبة فى العراق الذى يتخبط فى البحث عن مستقبله. وهناك سبب ثالث يجعل الحوار عاجلا وملحا وهو أن الحوار الأمريكى الإيرانى يوشك أن يبدأ وهناك مخاوف عربية قوية من أن يكون الحوار الأمريكى الإيرانى على حساب العالم العربى، وهذا صحيح بحكم تراجع الدور العربى وغيابه أحياناً فى الملفات العربية التى أصبحت أوراق قوة لإيران. أما السبب الرابع الداعى إلى سرعة الحوار فهو الشعور لدى إيران- وهو شعور تغذيه إسرائيل والولايات المتحدة – بأن العالم العربى يتآمر عليها مع إسرائيل والولايات المتحدة، وليس للعرب مصلحة فى استقرار هذا الشعور أو ظله فى العلاقة بينهما، صحيح أن هناك أزمة عدم الثقة المتبادلة، ولكن عدم الثقة العربية فى إيران تعلو على قدر الشك الإيرانى فى النوايا العربية. وتخشى إيران أن يؤدى الضعف العربى إزاء

إسرائيل إلى الاستجابة للدعوة الإسرائيلية للعرب بالضغط على إيران أو التحالف مع إسرائيل ضدها إذا أراد العرب من إسرائيل لينا فى موقفها من القضية الفلسطينية، بل طلبت إسرائيل ذلك أيضاً من الفلسطينيين وتقصد حماس تحديداً. غير أن القراءة الصحيحة من الجانب العربى لتطور القوة الإيرانية وعواملها وأوراقها وأسلوب إدارتها لعوامل القوة، فضلاً عن استعداد العرب لتعظيم أوراق القوة لديهم فى مواجهة كل الأطراف فى المنطقة وهى تركيا وإسرائيل والولايات المتحدة هى مهمة أولية لبدء الحوار. وإذا كان الحوار مع إيران ضرورة، فإنه يتطلب استعدادا عربياً وتنسيقاً فى المنطلقات واستقلالا فى المواقف. ذلك أن مثل هذا الحوار قد لايروق للولايات المتحدة حتى يظل العرب ورقة فى يد واشنطن ضد إيران، وبالقطع فإن هذا الحوار يجب أن يكون ورقة فى يد العرب ضد إسرائيل بدلا من اصطناع إسرائيل ورقة العداء العربى الموهوم لإيران فى تعاملها مع العرب. وبالطبع فإن إسرائيل تسعد لكل تدهور فى العلاقات بين إيران وأى دولة عربية، فقد سبق أن أعلنت سرورها للخلافات بين إيران والإمارات، ومصر، وتونس، وموريتانيا، وقطع العلاقات بين المغرب وإيران. هكذا يبدو ضروريا اللقاء العربى الإيرانى ودراسة الصورة المتبادلة للطرفين والملاحظات والمآخذ من كل منها والتى يجب أن تؤخذ بشكل جدى .

أما آلية الحوار وأدواته فلا ضير أن يبدأ فى العموميات وفى الجامعة العربية وأن يعهد إلى أحد مراكز البحوث العربية إعداد دراسة شاملة لاستراتيجية الحوار.

إن وقوف العالم العربى متفرجاً على المباريات السياسية التى تلعب فيها إسرائيل وتركيا وإيران وأمريكا سوف يجعل العالم العربى ساحة للتكالب، ولذلك فإن بدء الحوار مع إيران هو بداية لدور عربى فى الملفات العربية.

3

إيران والعالم العربي: إلى أين؟

تشهد العلاقات الإيرانية مع بعض الدول العربية عددا من الأزمات، كما تشهد مع بعضها الآخر عددا من التقلبات، بحيث لا يمكن القول أن هذه أزمة فى العلاقات الإيرانية العربية مادام العالم العربى لايتفق على موقف واحد فى مواجهة إيران. وقبل تحليل هذه الفرضية يجب أن نشير إلى عدد من الحقائق الهامة لمثل هذا التحليل.

الحقيقة الأولى: هى أن إيران جزء من تركيب المنطقة الثقافى والاجتماعى، وأن صورتها فى المنطقة العربية تأرجحت حسب بعض التطورات سواء فى المنطقة العربية أو فى إيران. ففى أيام المد القومى العربى المناهض للهيمنة والانتقاص من الحقوق العربية كان هذا المد موجها ضد الغرب وإسرائيل والدول المتحالفة معهما، وخاصة إيران وبشكل أخص لأن لإيران وجود تاريخى فى منطقة الخليج، ويفترض أن المد القومى يحافظ على الجسد العربى فى مواجهة نقاط التماس غير العربية. وهكذا كان العداء من جانب هذا المد القومى تقليديا ضد إيران وتركيا، ولكن لم يكن العالم العربى ينظر إلى إيران على أنها دولة شيعية، لأن المد القومى كان يتسامح مع جميع التيارات الدينية والعرقية حتى يستوعب فكرة الوحدة العربية، ولكن عندما تولى السادات حكم مصر وتقارب مع الولايات المتحدة انتهى التناقض بين المد القومى الذى ضرب عام ١٩٦٧ وبين إيران بشكلها السابق.

الحقيقة الثانية: هى أن الثورة الإسلامية فى إيران، ومواجهة الولايات المتحدة لها ودخول العالم العربى فى تحالف مع واشنطن، قد خلقت حاجزا نفسيا بين الدول العربية الحليفة لواشنطن وبين إيران، ولكن هذا الحاجز لم يرتفع إلى درجة العداء لإيران. ولاشك أن الدعاية الأمريكية ضد الثورة الإسلامية فى إيران قد أسهمت فى توتر العلاقات بين إيران وبعض الدول الإسلامية العربية مثل تونس وغيرها.

الحقيقة الثالثة: هى أن غياب العالم العربى، حتى عن قضاياه العربية فى العراق وفلسطين ولبنان وفى مواجهة إسرائيل، قد دفع إيران وتركيا إلى ملء الفراغ كل بأجندته الخاصة، مما أدى إلى الاحتكاك الذى نشهده اليوم بين بعض الدول العربية وإيران، مع ملاحظة أنه رغم تقدم تركيا هى الأخرى على حساب العالم العربى ولصالح القضايا العربية أيضا إلا أن الاحتكاك ظل قاصرا على إيران وليس تركيا.

الحقيقة الرابعة: أن إيران تسعى لامتلاك وسائل القوة اللازمة لقوة إقليمية كبيرة، لها أوراق قوة فى الإقليم وفى سياسات العالم، ويمكن القول أن إيران تمتلك اليوم أوراقا فى هذا القوس الواسع من أفغانستان حتى فلسطين مرورا بباكستان، وعلاقات وثيقة مع الصين والهند وروسيا ثم لبنان وفى فلسطين مرورا بالعراق، وهذا هو الذى رشحها للتفاوض مع واشنطن لترتيب الأوضاع فى المنطقة فى ظل الإدارة الأمريكية الجديدة.

أما الدول التى يقع الاحتكاك بينها وبين إيران بشكل ظاهر فهى مصر والسعودية والمغرب التى قطعت علاقاتها الدبلوماسية بإيران، وتطارد ما تسميه حركة التشيع فى المغرب التى تراها مناقضة للعقيدة السياسية والدينية للشعب المغربى، رغم أن الدولة الفاطمية الشيعية بدأت من المغرب واستقرت فى مصر وشيدت القاهرة والأزهر، ولكن المذهب الشيعى لم يلق رواجا منذ القرن العاشر

الميلادى حتى الآن فى المنطقة العربيـة، وأن مسـاندة إيـران للقضـايا العربيـة، فى ظـل الغياب العربى، وصلابتها فى مواجهـة الولايـات المتحـدة فى ظـل التخـاذل العربـى، وتصدى حزب الله بقوة لإسرائيل فى ظل التقهقر العربى، رسم صورة مثالية لإيران عند الرأى العام العربى، وتمنى أن يكون موقف الحكومات العربية مـن نفـس النـوع من الصمود والجسارة.

وربما ظن البعض أن تلك من خصـائص المـذهب الشيعى، خاصـة وأن المـواطن العربى متسامح بالنسبة للمذاهب الإسلامية، ولايرى فرقا بـين المـذهب المـالكى أو الحنفى أو الشافعى أو الحنبلى، ويظـن أن المـذهب الشيعى هـو أحد هـذه المدارس، وأنه إذا كان المذهب الشيعى يعنى التشيع لآل البيت فإن كـل المسـلمين متشـيعون، وأنه لم يقل أحد أن هناك علاقة تاريخية بين إيران وبـين آل البيت، وأن الرمـوز التـى يقدرها الشيعة هى رموز محل احترام كل المسلمين.

من ناحية أخرى، فإن المواطن العربى لا يفهم الفرق بين السنة والشيعة طالما أن السنة هى الالتزام بسنة النبى ﷺ وأن الشيعة هى التشيع لآل البيت، فالمسلم شيعى وسنى فى وقت واحد، ولا يفهـم المـواطن العربـى تلـك التخريجـات السياسـية التـى تأتى بها بعـض التفسـيرات الحكوميـة لاعتبـارات سياسـية، أو تلـك التـى يتـبرع بهـا بعض فقهاء الشيعة والسنة وتستغل فى المعركة السياسية، وإلا ألم تكـن إيـران شـيعية فى عهد الشاه فلماذا لم يقل أحد بهـذا الفـرق الواسـع بـين عـالم الشـيعة وعـالم السـنة؟ وهل مجرد إعلان الشاه أن إيران دولـة علمانيـة بينـما تعلـن الجمهوريـة الإسـلامية أن نظامها إسلامى شيعى هو الذى أدى إلى هذه المعركة المصطنعة، وما هو موقف هـذه الـدول العربيـة مـن قضـية الشـيعة إذا تـم التوافـق الإيرانـى الأمريكـى وصـدرت الأضواء الخضراء من واشنطن للتقليل من أهمية هذه المصـطلحات؟ أمـا العلاقـات

بين مصر وإيران فهو ملف عرف التذبذب إلى أدنى درجات التدهور وإلى أعلى درجات الرضى والانسجام، بل إن بعض المسؤولين فى مصر يطلق التصريحات فى الاتجاهين فى أيام متعاقبة، ولذلك فإن هذا الملف له أوضاع خاصة لايمكن القول فى ضوئه بأن موقف مصر نهائى من إيران. وكذلك الموقف السعودى وهو الأكثر توازنا، فى ظل وجود علاقات سعودية إيرانية وحوار استراتيجى بين البلدين، وإدراك السعودية لوزن إيران فى المنطقة بشكل مباشر لأنها تتواجه معها مباشرة فى الخليج.

خلاصة القول: أنه لا توجد أزمة فى العلاقات الإيرانية العربية، وأن القلق من تزايد نفوذ إيران لا يمكن إزالته بمجرد التصريحات المعادية لإيران، وإنما يتم ترجمة هذا القلق من إيران ومن غيرها من الدول الإقليمية عن طريق امتلاك أوراق القوة، وظهور العالم العربى كلاعب رئيسى فى الملفات الإقليمية، أما المسلك الحالى من الجانب العربى فإنه لايليق بدول تدرك مبادئ العلاقات الدولية الصحيحة.

4

لماذا اتخذ النموذج الإيراني للتخويف من التيار الإسلامي؟

يتردد بقوة في العالم العربي الآن دعوات تساعد على القطيعة بين أجزاء متفرقة بين العالم الإسلامي وخصوصًا بين الشيعة والسنة وكأن الاختلاف بين الفريقين قد تم اكتشافه والتنبيه إليه وأن الفارق بين المذهبين أصبح يصور على أنه فارق بين دينين وليس بين مذهبين في دين واحد .من ناحية أخرى فقد لوحظ أن هجوم كتائب الموت الشيعية على سنة العراق وفقدان قرابة ربع مليون من أبناء العراق في حروب طائفية استهانت بكل المقدسات بما في ذلك دور العبادة قد دفعت إلى السطح مقولة خطيرة وهي أن البقاء سوف يكون لمذهب واحد وأن الصراع بين المذهبين أصبح أكثر أهمية من الصراع ضد المحتل الأمريكي وأن جميع الخطايا التي ارتكبتها الولايات المتحدة في العراق سوف توضع في خانة الصراع المذهبي وهي خطة محكمة نجحت الولايات المتحدة في تنفيذها ساعدها على ذلك أن شيعة العراق ظنوا خطأ أن صدام حسين كان يستهدفهم لأنه سني وهي مقولة أمريكية أشربت في أفهام الشيعة رغم أن صدام حسين كما هو معروف كان علمانيًا متطرفًا لا يعترف بإله سوى السلطة والتسلط ومن المستبعد تمامًا أن يكون قد استهدف أحدًا بسبب مذهبه أو دينه لأن الاستبداد كان يوجه إلى عموم المواطنين ، ولهذا فإن إظهار الشماتة الشيعية في إعدام صدام حسين على يد حكومة شيعية تأتمر بأمر الاحتلال ، فضلاً عن احتفال إيران بذبح

صدام حسين صبيحة عيد النحر ليكون قربانًا لكل مَن يتشفى ، وصور الأمر على انتصار للشيعة على السنة الذين يمثلهم صدام حسين قد ترك أثرا غائرًا في النفوس على نحو ما أكده الشيخ يوسف القرضاوي في مؤتمر الدوحة للتقريب بين المذاهب ، هذه التطورات أظهرت للعالم العربي أن إيران وإسرائيل والولايات المتحدة وهي الدول التي أظهرت احتفالها واحتفائها بإعدام صدام حسين في قارب واحد .

والمعلوم أنه مما قوى هذا الاعتقاد في العالم العربي وترك علامات استفهام غامضة في الإدراك العربي أن شيعة العراق لم يتصدوا للاحتلال على أساس أنهم الأغلبية وأن الجيش الأمريكي يقوم بما كان يجب أن يقوم به وهو القضاء على صدام حسين ونظامه أو بعبارة أدق ووفق التعبير الأمريكي القضاء على سيطرة الأقلية السنية على الأغلبية الشيعية والكردية ، وهذا المفهوم ليس مقبولاً في العالم العربي الذي يصر على أن العراق عربي مسلم ولن يقبل مطلقًا بتقسيمه على أي أساس أو باستبعاده من الحظيرة العربية الإسلامية تحت أي مسمى .

يدرك العالم العربي أيضًا أن عراق صدام حسين هو الوحيد الذي هدد الأمن القومي الإيراني ومن الطبيعي أن تشعر إيران بالانتعاش بزوال هذا الخطر ولكن ليس من حقها أن تسعى إلى تقسيم العراق على أساس طائفي حتى لا تقوم للعراق الموحد قائمة بحجة أنه يتبنى طرحًا قوميًا متطرفًا وأن هذا الطرح القومي يؤثر على الأمن القومي الإيراني .

هذه هي نقطة التقاطع الحقيقية بين العالم العربي وبين إيران ، والأدهى من ذلك أنه في عصر خلط الأوراق وفي أوقات الشفق والغسق يختلط على المرء التمييز بين العدو والصديق وبين الذئب والحمل أو حتى بين الذئب والكلب أو الحق والباطل لأنها مرحلة رمادية يقبل فيها الليل على النهار أو ينسحب فيها الليل تاركًا ومفسحًا المجال

لانبلاج النهار أو كما يقول رجال الأدب يفسح المجال للسان الصبح حتى يجلي سواد الليل . في هذا المناخ ظهرت نغمة جديدة أحسب أن التصدي لها وتمحيصها من أوجب الواجبات لأن الذين يطلقون هذه النغمة إما مشبوهون في نواياهم وإما جاهلون لما تحدثه هذه النغمة من إصابات بالغة في القيم العربية والإسلامية معا .

وبصرف النظر عمن يتحمل المسؤولية فإن قدرًا من التداخل قد حدث بين التصرفات الإيرانية وردود فعل بعض الأنظمة العربية فسر أحيانًا على أنه جزء من الحملة الأمريكية ضد إيران كما فسر في أحيان أخرى على أنه تجاوز من إيران لحساسيات العلاقات والأوضاع في المنطقة العربية . ثم اشتد خطر هذه النغمة عندما اتخذت إيران نموذجًا لكي تقوم بعض النظم العربية وبعض المفكرين العرب بإدخال الرعب في نفوس شعوبهم من مشاركة التيارات والعناصر الإسلامية في الحكم حيث اشتدت هذه النغمة بشكل خاص في مصر فيما أعلنه الرئيس مبارك من خطر تولي التيارات الإسلامية السلطة ونحن في هذه المقالة لا نريد أن نتصدى لهذه المقولة ولكننا نحذر من خطرها ، كما لا نريد أن نستريح للتفسير السهل وهو أن حكامنا يتصالحون مع الإسلاميين أو يتباغضون معهم كلما كان ذلك منسجمًا مع المزاج الأمريكي . ولكن تصوير مستقبل الحكم عندما يسيطر عليه الإسلاميون وتقديم إيران نموذجًا على أن هذا النموذج يتسم بالانغلاق والإرهاب واحتضان الإرهاب وتخويف الاستثمارات وعزل البلاد التي يحكم فيها الإسلاميون هذه قضية تحتاج لمعالجة هادئة . فالمعلوم أن الولايات المتحدة وحدها هي التي تولت تشويه صورة إيران في العالم بعد أن عجزت واشنطن أن تجد لنفسها مكانًا في ثورة الإمام الخوميني وهي ثورة شعبية موجهة لحاكم مستبد خدم الاستراتيجية الأمريكية في أشد سنوات الحرب الباردة خطورة . ولا شك أن ظهور ثورة إسلامية في إيران

وهي على هذا القدر من الأهمية في الاستراتيجية الأمريكية كان كفيلاً بأن يلحق بها كل الأوصاف السلبية التي تجعل صورتها قبيحة في نظر الجميع لمجرد أنها إيران وأن الثورة تحمل شعارات إسلامية وأنها تقوم أساسًا على مناهضة السياسة الأمريكية وعلى جلب الاستقلال لدولة عانت طويلاً من التحالف بين الحكم المستبد والتبعية الأمريكية . وهذا هو السبب الوحيد في أن الثورة الإسلامية في إيران لم تتمكن من التصالح مع الولايات المتحدة لأن الولايات المتحدة لا تريد أن ترى حكمًا إسلاميًا حتى لو وفر لأبنائه الديمقراطية المناسبة وحافظ على موارد البلاد وكافح الفساد وجعل الدولة ذا قيمة حقيقية على المستوى الدولي . وليت الذين يتخذون إيران نموذجًا لإفزاع شعوبهم من المصير يحققون جزءًا في المائة مما تتمتع به إيران فلديها ديمقراطية يحسدها عليها الغرب نفسه ، وتخطب ودها الدول الأوروبية وتنهال عليها الاستثمارات الأجنبية من كل صوب رغم العقوبات الأمريكية ، وليس سرًا أن المصالح الأوروبية في إيران دفعت إلى الخلاف بين أوروبا والولايات المتحدة ولعلي أذكر مثلاً واحدًا للذين يسوقون نموذج إيران للتخويف وهو أن الرئيس خاتمي رفض زيارة فرنسا حتى امتثلت باريس لطلباته وهي عدم تقديم الخمور في الحفلات وعدم ظهور النساء كاسيات عاريات في وجوده رغم أن محمد خاتمي كان الرهان الأوروبي على تغيير النظام وهو محسوب على رأس التيار المعتدل حسب الأوصاف الأمريكية . نذكر أيضًا هؤلاء السادة بأن إيران تلعب بأوراق متعددة وتوسع دائرة دورها الإقليمي في الوقت الذي تنكمش فيه دول كبرى ولا تجد سوى التخويف بدلاً من العمل من أجل استرداد الدور . ولا أظن أنني أذيع سرًا لهم أن ظهور الدور الإيراني جاء جزئيًا بسبب الفراغ الذي تسبب فيه انكماش الدول العربية الكبيرة التي لم تعد تذكر من ذلك الدور سوى الأوهام وأحلام الماضي التي تجترها في أحلام اليقظة . نذكر هؤلاء السادة أيضًا

بحادثة وقعت في طهران عام ٢٠٠٤ وهي أن السفير الألماني ممثلاً للاتحاد الأوروبي قدم احتجاجًا للحكومة الإيرانية على ما اعتبرته أوروبا سلوكًا لا يعجبها في إحدى القضايا فطردته الخارجية الإيرانية ورفضت عودة السفير الألماني إلا بعد ترضيات كبيرة ولم يفعل الاتحاد الأوروبي شيئًا لاستنقاذ هيبة ألمانيا إزاء طهران .

وأخيراً فلا أظن أن تولي الإسلاميين ، فضلاً على النموذج الإيراني سوف يؤدي إلى عزلة البلاد ، فالعزلة الحقيقية هي البطالة السياسية من كل دور الذي تعانيه الدول العربية الكبيرة بل والأدوار الغربية التي تسند إليها والتي لا نظن أنها تخدم مصالح شعوبها .

لست بحاجة أخيرا إلى القول بأن الشعوب العربية ترفض الحكومات الدينية التي تقوم على أساس قياس درجات الإيمان عند الحكام وتصر على قياس درجات النقاء والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ومحاربة الفساد واستخدام موارد الدولة فيما ينفع المواطنين وأن يعرف لدولته قدرها على خريطة العالم أما ديانته ومذهبه وتدينه فهذا أمر يحاسبه عليه خالقه يوم الحساب ، وأما حساب الشعوب فهو حساب فوري ، ودعني أقول بصراحة أنني من فرط ما أصبت من يأس في أي إصلاح صرت أردد ما قاله ماوتسي تونج من أنه لا يهمه لون القط مادام قادرًا على اصطياد الفئران ، أليست مقولة التخويف من الإسلاميين ذريعة جديدة للدفاع عن السلطة وحراسة الأحوال المتدهورة ، وأليست هذه النغمة انتهاكًا لحقوق أفراد هذه التيارات الإسلامية في وطنها ، وأليست رخصة لمصادرة حرياتهم وحقهم في أوطانهم ، وأليست دعوة صريحة للعمل السري وتعريض البلاد لأكبر الأخطار ، فمن الذي يعرض إذًا أمن البلاد للخطر : احترام الدستور وقوانين البلاد والمواطنين ، أم دفع التيارات الإسلامية إلى أوكار تعبث فيها بمستقبل البلاد وبأمنها رغمًا عنها .

5

هل تجدد إيران دعواها على البحرين؟

أثار المقال الذي نشره آية الله شريعتمدارى في صحيفة كيهان إنترناشيونال التي يرأس تحريرها زوبعة في البحرين وما حولها. ومن المفيد في هذه المقالة أن نحلل الحدث وأبعاده ومدلولاته، ونقيم طريقة معالجته على كل المستويات والأوساط.

وتحليل هذا الحدث يستدعى عددا من التساؤلات أولها : كيف نكيف مقال شريعتمدارى الذي أكد فيه تبعية البحرين لإيران وعدم مشروعية التسوية التي تمت بشأن هذه القضية؟ هل هو مجرد مقال صحفي كما قال وزير خارجية إيران الذي سارع إلى زيارة عاجلة وقصيرة للبحرين طمأن فيها القيادة والشعب في البحرين إلى أن الحكومة الإيرانية تعترف باستقلال البحرين وعروبتها.

و إذا كان المقال مجرد مقال صحفي وليس موقفًا رسميًا، فقد أوضح وزير الخارجية الإيراني أنه لا يجوز الاعتذار عن مقال صحفي غير رسمي، فهل يستوي مقال يكتبه كاتب أو مفكر ومقال يكتبه الممثل الشخصي للمرشد الأعلى للثورة الإيرانية؟ وهل هذا المقال يعكس التفكير الرسمي لإيران بطريقة أخرى، أم يكشف عن تيار فكري في قلب النخبة السياسية لا يزال قائما؟ وإذا صح أن المقال يؤشر على نية رسمية إيرانية لإثارة هذه القضية، فهل الهدف هو استحضار الماضي وإعادة

إنتاجه وإحياء موقف إيران اصطدم في ذلك الوقت مع واقع آخر محلي ودولي؟ ولماذا تحيي إيران مفردات الماضي الذي تجاوزه الزمن، أي ما هي دوافع إيران لهذا الموقف خاصة وأن تفسير المقال شدد على تبعية الجزر العربية الثلاث لإيران فأغضب أيضا دولة الإمارات العربية المتحدة ومع مجلس التعاون الخليجي؟

وهل فوجئت إيران بموقف البحرين والدول الخليجية؟ وهل تدرك إيران أن مثل هذا الموقف يفرح الولايات المتحدة ويساعدها على ترويج الصورة السلبية لإيران وتخويف المنطقة منها، خاصة إذا اقترنت الأطماع الإقليمية بتنامي القوة النووية والتقليدية لإيران؟ الحق أن البحث فيما إذا كان المقال يعبر أو لا يعبر عن رأي الحكومة الإيرانية قد يخدم قليلا في التحليل ولكنه قد لا يكون حاسما في ضوء اعتقادنا بأن الكاتب يقع في دائرة صناعة القرارات العليا وأنه من النخبة السياسية الرئيسية، ولم يكن ذلك تصريحا وإنما مقال منشور في جريدته. فلا يمكن القول والحل كذلك أن المقال صحفي وأنه لا يعبر إلا عن رأى صاحبه. وحتى لو كان المقال يعكس اتجاها صغيرا في إيران، فإن إحياء هذا التيار يضر ضررا بليغا بالعلاقات الإيرانية العربية.

أما آثار المقال فيمكن القول أن هناك آثارا يفترض أن يكون مقصودا إحداثها، وآثار أخرى تترتب بالتبعية دون قصد الفاعل فيها. فقد استخدمت الولايات المتحدة وإسرائيل هذا المقال للدليل على أطماع إيران، مما دفع كتابا في البحرين وفي غيرها إلى المقارنة بين الخطر الإيراني والخطر الإسرائيلي وأكدوا على اتجاه أعرض في العالم العربي تشكل إبان الأزمة النووية الإيرانية، ويرى أن خطر إيران أقرب وأكثر خطورة احتمالا من خطر إسرائيل التي لا تهاجم ولا تهدد من يطبع العلاقات معها، بينما إيران تنقض وتطمع في جيرانها وأصدقائها

وإذا كانت دول مجلس التعاون قد أدانت المقال الإيراني وتمسكت بعروبة البحرين واستقلالها، فقد لوحظ على رد الفعل في البحرين ارتفاع نبرة التنديد بإيران لدى أوساط تعادي أصلا إيران على خلفيات كثيرة، فكل من يعادي حماس وحزب الله ويعترض على سلوك إيران في العراق ولبنان وفلسطين انبرى للتنديد بإيران أما الموقف الرسمي فقد اكتفي بالتأكيد على عروبة البحرين واستقلالها وأعلن قبوله تطمينات وزير الخارجية الإيراني دون أن يضطره إلى الاعتذار بل اعتبر أن زيارته غير المخططة سلفا دليلا على حرص إيران الرسمية على إزالة ما أحدثه المقال من توتر ، كما أن الوزير البحريني التزم الحذر في تصريحاته حرصا على محاصرة الفتنة، وآثر أن زيارة الوزير الإيراني بعد أن طلبت الحكومة البحرينية تفسيرا رسميا لهذا المقال، ولم يسارع الوزير البحريني إلى تلبية طلب مجلس النواب لمناقشة الموقف، ولكن الحكومة تركت لمختلف طوائف الشعب البحريني أن تعبر عن رفضها لهذا الموقف. وسط هذا الردود كان موقف صحيفة الوسط الشيعية وكتابها لافتا حيث أدانت بشكل حاد أحيانا الموقف الإيراني، فأثار ذلك الطمأنينة لدى دوائر السنة، التي شك بعضها في جدية الموقف الشيعي.

وإذا كانت هذه الردود متوقعة خاصة من شيعة البحرين الذين يؤكدون عروبتهم وانتماءهم للبحرين وحرصهم على استقلالها، وإذا كان المقال قد أدى إلى كل هذه الآثار السلبية، وأن العمل بموجب هذا المقال مستحيل، أي الاستيلاء الإيراني على البحرين، فإننا نظن أن أخطر تداعيات هذا المقال هي أن المقال بعث برسالة إلى البحرين والمنطقة وهي ضرورة الوجود العسكري الأمريكي لحمايتهم من إيران هذه المرة بعد أن حمتهم هذه القوات من خطر العراق بعد تقليم أظافر النظام السابق. ولذلك فإننا نعتقد أن التفسير الممكن لدوافع نشر المقال ليس قطعا

التذكير بماضي قد ولى بعد أن حسم أهل البحرين أمرهم مرة في استفتاء الأمم المتحدة عام ١٩٧٠ ومرة أخرى في الاستفتاء على الميثاق الوطني في إطار المشروع الإصلاحي عام ٢٠٠١، ومرة ثالثة الرد الجماعي الذي يصل إلى حد الاستفتاء على هذا المقال، وإنما المرجح عندنا هو أن إيران لا تنوي استفزاز البحرين أو الإمارات، وإنما أرادت أن توجه رسالة إلى الولايات المتحدة مؤداها أن لديها مزيد من الأوراق لابد من الالتفات إليها وهي قضية البحرين والجزر، ويمكن المساومة عليها ضمن نطاق عريض من المسائل عندما يحين موعد التفاوض. ولا يمكن أن نغفل عن صدور المقال في نفس الوقت الذي طلبت فيه إيران من الولايات المتحدة استئناف المفاوضات، بينما تردد واشنطن اتهامها لإيران بمساندة الأعمال المناهضة للقوات الأمريكية وإحباط مخطط بوش حول أمن العراق بما يعني أيضا انقلاب إيران على المالكي الذي يتعاون مع واشنطن في خطة تريد إيران أن تنقل للولايات المتحدة أن بيدها نجاحها أو إفشالها.

ولذلك لا نعتقد أن المقال قصد به تجديد دعوى إيران التاريخية على البحرين، لأن تجديد الدعوى سوف يستحضر بالضرورة درسا، مفيدا لواشنطن وليس إيران، وهو أن الطرف الغربي هو الذي يتصدى دائما للأطماع الإيرانية في الخليج.

وأخيرا، فلا شك أن المقال الإيراني يعد اختبار الخيار الأمن القومي العربي الذي صدر المقال وهو في أسوأ حالاته.

6

انقلاب الموقف الإيراني إزاء تقسيم العراق (١-٢)

أعلنت إيران يوم ٣/ ١٢ / ٢٠٠٦ معارضتها لتقسيم العراق ، فما هو مغزى هذا الموقف ؟

لقد كان تقسيم العراق عنوان قديم تداولته الأقلام العربية واتهمت الولايات المتحدة وإيران بالسعي إليه للقضاء على دولة عربية أساسية في النظام العربي وإن كان نظامها السياسي قد دفعها إلى مناهضة هذا النظام لأكثر من ربع قرن ، وأحد أهم مهددات الأمن لأعضائه المجاورين للعراق . وقد تناولت هذه النقطة في مناسبات عديدة من واقع استقراء السياسات الأمريكية خاصة بعد تحرير الكويت عام ١٩٩١ وإنشاء مناطق الحظر ثم الغزو الأمريكي والتحالف مع الأكراد وتواتر التقسيم الثلاثي : الأكراد ، الشيعة ، والسنة العرب ، في الإعلام والسياسة على المستوى الدولي والعربي .

فالاعتقاد بأن تقسيم العراق جزء من سياسة أمريكية واضحة أمر لا يحتاج إلى بيان ولا يمكن معارضته أو نفيه في ضوء السلوك الأمريكي على الأرض ، ولكن النية الرسمية الأمريكية لتقسيم العراق لم يعلن عنها في هذه المرحلة ، ولكن السلوك الأمريكي يؤكدها في نظر أي مراقب .

أما تقسيم العراق كهدف إيران فهو أمر مفترض في ضوء تاريخ العلاقات

الإيرانية- العراقية المضطرب خاصة الحرب الطويلة بين البلدين وتقديم العراق في هذه الحرب التي قام بها نيابة عن الولايات المتحدة وغيرها على أن العراق ينوب عن كل العالم العربي في رد القوة الإيرانية السياسية والعسكرية عن الإضرار بمنطقة الخليج وتهديد المصالح المشتركة الأمريكية والعربية .

ولذلك فإن سعي إيران إلى تقسيم العراق والقضاء عليه أمر مفهوم لأن إيران تريد القضاء على الدولة الوحيدة التي تجرأت على شن حرب عليها ، وكانت رأس حربة لكثير من الأطراف خاصة الطرف الأمريكي ، فكأن الولايات المتحدة كانت تحارب إيران بدماء العراقيين وأموالهم بسبب طبيعة نظام صدام حسين الذي أفلحت واشنطن في استثماره .

وتقسيم العراق بالنسبة لإيران يعني أن يكون للشيعة دولة في العراق يمكن أن تتحد مع إيران ضد غيرهم ، ومادام الانقسام على أساس طائفي ، فإن قيام دولة للشيعة سوف يشجع الأقليات الشيعية الأخرى على التمرد على أوطانهم فيتم تمزيق المنطقة العربية في الخليج .

والحق أن المراقب لسلوك إيران في هذه المنطقة كان يلمح بسهولة أن هذا هدف إيراني ، وربما التمس المراقب العذر لها لأن إيران من حقها أن تفكر في تعظيم قدراتها وأن تعيد ترتيب نظرية الأمن القومي الإيراني وفق الفرص المتاحة أمامها .

فإذا كان تمزيق العراق وإلغائه هدفًا أمريكيًا وهدفًا إيرانيًا ، فكان يفترض أن يتلقي الطرفان عند هذا الهدف خاصة وأن واشنطن هي التي لعبت الدور الرئيسي في عملية جراحية كاملة لتمزيق العراق ، وأظن أن الولايات المتحدة لا تزال تلعب نفس الدور وتسعى إلى نفس الهدف لأن إلغاء العراق العربي مهما كان منحرفًا عن البوصلة العربية ومهما كان طيعًا لها من خلال قيادته التي لم ترفض لها أمرًا في التآمر

على المنطقة العربية ، هو في نهاية المطاف جزء من تصور أمريكي واضح لكل مراقب مدقق كما أنه من أهم الأهداف الإسرائيلية ، لأن العراق بمكوناته وقدراته كدولة عربية كان يمثل ولو نظريًا جزءًا هامًا من القوة العربية الشاملة ، وكانت إسرائيل تتعامل معه على هذا الأساس ، فتكون إزالته مع تحييد مصر إنجازًا ضخمًا من وجهة نظر الأمن الإسرائيلي .

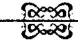
أما من وجهة النظر العربية ، فإن استمرار العراق كدولة لا يختلف عليه اثنان وأن المشكلة مع العراق من المنظور العربي كانت قاصرة على سلوك نظامه الذي هدد أمن الدول المجاورة بعد أن كان يفترض أنه الأمين على أمنها .

والحق رغم مرارته أن العراق لم يكن يومًا جزءًا من الإجماع العربي في القضايا القومية وكان مثير الشك في نفوس الجميع بنظامه الحزبي وعمله السري وهذه نقطة يعرفها التاريخ السياسي جيدًا لهذه المنطقة . ولكن أضرار العراق تحت نظام معين لا يبرر مطلقًا القول بأن تقسيمه والقضاء عليه إزالة لخطر حال على جيرانه ، رغم صعوبة الفصل عمليًا بين إصلاح النظام دون الإضرار بجسم الدولة ، وللأسف فإن إخراج الروح الشريرة من جسد الدولة العراقية أدى إلى إفناء الدولة نفسها ، وتلك نقطة جوهرية طالما دعونا مثقفين ومفكرين إلى بحثها وتسويتها قبل فوات الأوان ، ولكن الكتّاب والمفكرين لسوء الحظ انقسموا حول الولاء أو العداء لصدام حسين دون أن يتجاوزوا هذا الخط السطحي إلى جوهر المشكلة في العراق . ترتب على هذا الموقف العام الذي أشير إليه وهو تردد المواقف العربية الحقيقية بين معاداة النظام دون معاداة الدولة وصعوبة إلغاء النظام بغير إلغاء الدولة إلى ظهور موقف عربي عام ظاهري يتمسك بوحدة العراق وبقائه ولكنه لاعتبارات أمنية وتاريخية يرى أن تقسيم العراق فيه قضاء على القوة العراقية التي تحالفت دومًا مع

الولايات المتحدة ولعبت معها دورًا أضر بمجمل المصالح العربية .

ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح بجدية في هذه المرحلة هو : هل تقسيم العراق يخدم المصالح العربية منظور إليه بشكل عام أم أنه يصعب تحديد هذه المصالح العربية وأن الدول المجاورة وحدها هي صاحبة الحق الشرعي في تحديد الأصلح لها وأي عراق يحقق لها مصالحها أو أن اللاعراق أصلاً هو الحل ، وهل يظل التقسيم أيضًا مصلحة أمريكية وإيرانية بعد أن ظل سياسة إيرانية وأمريكية ؟

الذي يدعونا إلى طرح هذا السؤال هو الانتقال من رصد السياسات والمصالح المفترضة أحيانًا إلى معالجة الموقف على ضوء السياسات المتغيرة لهذه الأطراف الثلاثة : الإيرانية والعربية والأمريكية ، وكانت إيران هي الأسبق في مفاجأة المراقبين برفض التقسيم يوم ٣/ ١٢/ ٢٠٠٦ وهو ما يحتاج مع غيره من المواقف العربية والأمريكية إلى مزيد من التعمق في التحليل .



7

انقلاب الموقف الإيراني إزاء تقسيم العراق (٢-٢)

إذا كانت الأطراف جميعًا بدرجات متفاوتة قد انجرفت أو خططت لتمزيق العراق وإشعال الحرب الأهلية كأداة لتقسيم البلاد على أساس طائفي ، فما الذي غير المواقف من الرغبة في التقسيم إلى المحافظة على وحدة البلاد ؟

يفترض مبدئيًا أن تعمل إيران كما تردد في مناسبات عدة إلى تقسيم العراق حتى تقضي على دولة كانت تناصبها العداء لأي سبب ، وخاصة أن العراق بلد عريق في عروبته ، وأن ينقسم العراق على أساس طائفي مما يضمن ولاء الشيعة وإن كان البعض قد رأى أن شيعة العراق ليسوا دائمًا على وفاق في كل شيء مع طهران ، بل ربما تنشأ بانقسام العراق قبلتان للشيعة وأماكنهم المقدسة وهما : قم في إيران والنجف الأشرف وكربلاء في العراق ، وقد يكون لهذه المنافسة آثارها الاقتصادية والسياسية والدينية . ولكن واشنطن تصرفت في العراق بشكل يؤدي حتمًا إلى تقسيمه طائفيًا ، فهل فعلت واشنطن ذلك خدمة لإيران أم أنها لم تفطن إلى هذه النتيجة ؟ المهم أنه يبدو أن إيران قد أدركت أن تمزيق العراق لن يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية لأن ذلك سوف يثير الدول العربية المجاورة حتى تلك التي كان العراق الموحد مهددًا لأمنها، وربما وجدت من الأوفق والأسهل والأضمن أن يكون

العراق موحدًا تحت سيطرة شيعية فتضمن بذلك دولة كاملة تسير في فلكها . ولذلك يبدو المواقف في العراق في أحد القراءات للموقف العراقي أنه صراع أمريكي إيراني على العراق .

ولاشك أن إسقاط نظام صدام حسين كان جزءًا كافيًا شافيًا لغليل الإيرانيين ضد من مات عنه الخوميني وهو يوصي بالانتقام منه ، ومن بلده وقد حدث ذلك دون أي جهد إيراني ، وقدمت واشنطن العراق ذات يوم لإيران على طبق من ذهب بعبارة الأمير سعود الفيصل ، ولذلك فإن مصلحة إيران أن يكون الحكم شيعيًا في العراق وأن تكون المسافة بين هذا الحكم وطهران كافية لكي يلعب الحكم بين إيران والولايات المتحدة وهو ما بدا يظهر الآن .

لقد أرادت إيران أن ترد عمليًا على الاتهام الأردني بنشأة الهلال الشيعي ، رغم أن تمزيق العراق تمامًا وعدم قدرته على التماسك من أهداف الأمن القومي الإيراني لسبب بسيط وهو أن العراق هو وحده الذي هدد الأمن الإيراني وأن العراق كانت رأس الحرب الدولية ضد طهران .

يوازي الموقف الإيراني الذي يبدو أنه يغفل حاليًا تقسيم العراق موقف أمريكي متخبط لا يفهم المراقب يقينًا ماذا يريد حقًا وإلى أين يتجه : هل يريد أن يهرب من العراق ويغسل يديه ويندم على إقدامه على الغزو أو على الأقل استمراره في الاحتلال ، أم أن واشنطن تريد العراق بثمن معقول ولن تفرط فيه ما لم ترغم على ذلك إن استمر النزيف ، وهي في سبيل ذلك مستعدة للالتقاء مع إيران عند نقاط جوهرية أولها المحافظة على شكل العراق الموحد الطائفي حتى النخاع من الداخل وهذا هو جوهر التعاون المطلوب بين إيران والولايات المتحدة .

من ناحية ثالثة ، فإن الجانب العربي بأكمله كان يدرك أن العراق القوي كان دائمًا

مهددًا لأمن الخليج ، وأن العراق الضعيف يزيل خطر هذا التهديد ، ولكن هذا الضعف لا يجب أن يصل إلى حد دمار العراق وتقسيمه لأن ذلك سيؤدي إلى الفرز الطائفي ، كما يؤدي أيضًا إلى توحش إيران ، وإلى فراغ عربي في الخليج يفسح المجال لصراع أمريكي إيراني وهو بالضبط ما يحدث الآن .

وهكذا تحول تقسيم العراق كمصلحة إيرانية وأمريكية وخليجية إلى إضرار بالمصالح الثلاثية ، فانقلب هدف التقسيم إلى هدف المحافظة على شكل العراق الموحد ، بل نلاحظ في الخطاب السياسي الكردي كجزء من هذه اللعبة والحسابات على جثة العراق حرص الأكراد على استمرار العراق رغم تأكيدهم على رغباتهم القومية والانفصالية وتلويحهم بأنهم أقرب إلى السنة سياسيًا بعد أن كانوا أصدقاء أو على الأقل أعضاء في معسكر واحد ظهر مع غزو العراق يقوم على أساس مهادنة الاحتلال عند الشيعة ومساندته بشدة عند الأكراد .

فإلى متى تتقلب الحسابات الإقليمية حول تقسيم العراق ووحدته ،وهل يظل المحافظة على وحدة العراق هدفًا متوازيًا وليس مشتركًا للأطراف الإيرانية والأمريكية والعربية ؟

وأخيرا يجب أن نعترف بأن الحسابات الإيرانية الأمريكية أصبحت العامل الأساسي ، رغم عدم ثباته ، ولكن العامل الأهم يجب أن يكون الجانب العربي هو الطرف الأقوى في المعادلة وأن الإصرار على وحدة العراق وسلامة أراضيه لن يؤدي إلى إعادة شبح العراق المهدد لجيرانه ، ولكن الخطر الأكبر هو أنه لا يمكن تفادي العامل الإيراني والأمريكي وإصرارهما ، منفردين على التمسك بنفوذهما ومصالحهما في الساحة العراقية .

وخلاصة ما تقدم : أن جميع الأطراف نظرت إلى وحدة العراق وتقسيمه من

منظور المصالح الخارجية ، ولذلك لن يعرف العراق السلام والاستقرار ما لم يتحول العالم العربي إلى لاعب حاسم في الساحة العراقية وأخشى أن يكون تجسيد ذلك قد أصبح ضربًا من الخيال .



| 8 |

صورة العرب كما تريدها إيران

ملاحظة أولية لابد من تسجيلها تتعلق بمنهج معالجة الموضوع وهى أن الكاتب العربى يستطيع أن يحدد صورة إيران التى يريدها العرب، دولة إسلامية تدعم القضايا الإسلامية وتتعاون معنا فى دعم القضايا العربية ولانلزمها بالميل نحو القومية العربية وأحلام الوحدة العربية ونتحاور فيما ينشب بيننا من خلافات أو منازعات مع عدم مصادرة حق إيران فى القضايا المشروعة حتى لو تعلق الأمر بصراعات مع غيرنا.

وهكذا يريد العرب إيران الجارة المسالمة المتعاونة التى لاتفرض موقفاً بشأن الجزر ولاتنازع من حين لآخر فى استقلال البحرين، ولاتتدخل بأى شكل فى شئون الدول العربية خاصة تلك التى يكون الشيعة من مكونات شعبها.

أما صورة العرب كما تريدها إيران، فلاأظن أنها مستمدة من أدبيات وكتابات إيرانية بالقدر الكافى، لأن الصورة المتبادلة ليست وحدة من الجانب العربى، كما أن صورة العرب الحالية والمثالية ليست واحدة عند إيران، وإنما تتنوع بتعدد الدول العربية ومدى علاقاتها بإيران. وبخلاف هذا التحفظ العام على منهج المعالجة، هناك قناعات عامة يعبر عنها الإيرانيون فى صدد نظرتهم إلى العالم العربى، وأول هذه القناعات هى : أن التحالف السياسى الأمريكى مع الدول العربية هو فى نظر

إيران الذى يصادر حرية الدول العربية فى التواصل مع إيران. وتطبيقاً لذلك تعتقد إيران أن عمق العلاقات المصرية الأمريكية والإسرائيلية لايسمح لمصر بإنشاء علاقات دبلوماسية مع إيران. كذلك تشعر إيران أن من حقها التعريف بالمذهب الشيعى ونشره باعتباره فصيلاً منفردا من مدارس الفقه والممارسات فى الإسلام ولاتجد إيران حرجاً بل إنه واجب وحق لكل مسلم أن يلم بالمذهب الشيعى، ولولا عنصر الولاء السياسى فى هذا القول لما أثار حقيقة بعض الدول العربية. ولذلك أبدت طهران دهشتها من قرار المغرب بقطع علاقاته الدبلوماسية معها لهذا السبب. بل إن هذا العامل هو الذى يعقد الموقف الأمنى فى بعض الدول العربية من إيران ويخلط عادة بينه وبين محاولات التجسس وتجنيد العملاء وهو عمل مألوف فى جميع بلاد العالم فى كل العصور حتى بين الدول الحليفة والصديقة.

يبدو أن إيران تريد أن يقدر العالم العربى جميلها فى دعم المقاومة العربية ضد إسرائيل ولا تتعجل أن يقوم العرب بهذا الدور أو تقوم الحكومات نفسها نيابة عن المقاومة بذلك، مثلما تتمنى إيران أن تتخلص الدول العربية من النفوذ الأمريكى وأن تملك إرادة التحدى لواشنطن مثلها مادامت واشنطن تدعم إسرائيل بشكل أعمى ضد المصالح العربية ولاشك أن عدم دعم العرب للمقاومة وتجريم هذا الدعم يضع إيران فى دائرة الاستهداف ويجعل اللقاء بين الطرفين حول المنطقة بحاجة إلى الحوار.

تقدر إيران للعالم العربى إجماعه على حق إيران فى حيازة الطاقة النووية للأغراض السلمية ولكن الخليج بالذات يخشى من تحول إيران إلى قوة نووية فتجور عليه سياسياً وعسكرياً وتلجئه إلى مزيد من الارتباط بالغرب طلباً للحماية، مثلما يتخوف من الآثار البيئية للمشروع الإيرانى، ورغم ذلك أعلنت ١٣ دولة

عربية عن عزمها على حيازة التكنولوجيا النووية أيضاً تأمل إيران أن تتفهم الدول العربية تمسكها بالجزر الثلاث لاعتبارات تراها تاريخية واستراتيجية، كما ترى أنها كانت ضمن صفقة مع بريطانيا، وهذا يتطلب حوار بين موقفين متناقضين تماماً، كل مصر على حقه فيه.

يبدو أن إيران ترى أن ضعف الاتجاه القومى حالياً يساعد على الحوار والتلاحم بخلاف الحال عندما يشتد المد القومى الذى يتصادم فى بعض المواقع مع القومية الفارسية وتوجهاتها. وتشعر إيران بأنها ظلمت منذ قيام الثورة وأن العرب تحالفوا مع أمريكا والعراق لقمع الثورة وأنها تمد الجسور لكنهم يتجاهلونها، وأن موقفهم منها تحكمه واشنطن وليس النظر المستقل إلى جوهر المصالح العربية.

بقيت معضلتان: الأولى تتعلق بموقف إيران فى العراق، والثانية تتعلق بعلاقة إيران بالشيعة العرب. أما موقف إيران فى العراق، فإيران تظهر حرصها على زوال الاحتلال وأنها تريد أفضل العلاقات مع العراق رغم اتهامها بأنها ساندت ميلشيات لتصفية السنة. ولكن إيران تريد أن يسلم العرب بأنها تعرضت لعدوان صدام حسين وأن من حقها أن تؤمن أراضيها من جهة العراق، وأن يسلم العالم العربى بأن مصير العراق بسبب كل ماوجدت ترسمه طهران وواشنطن مادام العالم العربى ليس طرفاً فى الساحة العراقية.

أما موقف الشيعة فى العالم العربى فترى إيران أن العلاقة المذهبية حقيقة لكنها تنفى أية تبعات سياسية بالتأكيد أحياناً على هجر نظرية ولاية الفقيه التى تجعل زعيم الثورة فى إيران زعيماً سياسياً لكل شيعة العالم.

إن شعور إيران بأن العالم العربى قد وقف مواقف سلبية أحياناً ومعادية أحياناً أخرى، فضلاً عن شعور الأقلية الطبيعى فى العالم الإسلامى والشعور عند الشيعة

بالمظلومية انطلاقاً من ظلم سيدنا الحسين بن على سيد الشهداء وعترة آل البيت. كذلك فإن إيران تحملت كافة أنواع الضغوط منذ ثورتها الإسلامية فزاد من قدرتها على الصمود وتطوير قواها الذاتية والثقة فى قدراتها. وأخيراً، فإن إيران تستنهض التراث الحضارى لفارس عبر العصور، ومهما شابت النفس الإيرانية عبر التاريخ بعض الأمور ضد العرب فالمحقق أن إيران تريد عالماً عربياً متفهماً لطموحاتها، ولكنها ربما لاتدرك أن ساحة حركتها هى نفسها الساحة التى تخلت عنها الدول العربية ولهذا فإن الحوار له ما يبرره لتحديد مجالات الحركة، وأن توضع قواعد للحوار والعيش المشترك وليس على أساس فرض واقع وانطلاقاً من فرضيات القوة الجديدة، لأن حسن الجوار أكثر نفعاً لإيران من التعامل مع العالم العربى بمنطق حسابات القوة المعروفة فى العلاقات الدولية.

هذه ورقة من أوراق الحوار، ولكن تأصيل قواعد الحوار ومؤشراته وموضوعاته الشاملة تتطلب معالجة أخرى إذا تقررت أهمية الحوار العربى الإيرانى من الطرفين وأبدى الطرفان حرصاً متبادلاً ومماثلاً على عقده وإنجاحه.

9

كيف أصبحت إيران الطرف الأهم في الملفات العربية

أعتقد أن تحليل الإجابة على هذا السؤال قد تفيد فى جسم الجدل الدائر حالياً حول محاولة إسرائيل وواشنطن دفع العالم العربى إلى الاعتقاد بأن إيران وليس إسرائيل هى العدو على نحو ما يرى عدد من الكتاب فى العالم العربى، بل يرى هؤلاء من باب المفاضلة والمقارنة أن إيران هى الأخطر من إسرائيل حتى مع وجود المشروع الصهيونى وتقدمه وتسلحه الفعلى بكل أنواع الأسلحة بما فيها الأسلحة النووية، ومحارقه ومجازره التى لم تتوقف منذ عام ١٩٤٨ وإنكاره حتى الوجود العربى ذاته، وتلك وجهة نظر يجب أن نحترم القائلين بها رغم تهافتها الواضح وبصرف النظر عما يتردد عن الارتباط الأيديولوجى أو المصلحى أو الكراهة لأى سبب لإيران ولنتصل بها وترمز إليه من معانى إسلامية أو طائفية. يبقى فى النهاية أن رأيا يتم التعبير عنه ويشغل حيزاً فى مجال تحليل هذه القضية. نقطة البداية فى هذا التحليل لاخلاف عليها بين مانراه ومايراه غيرنا من الفريق الآخر وهو حقيقة مادية مؤداها أن إيران تعاظم دورها وأصبحت اللاعب الآخر إن لم يكن الأهم فى جميع الملفات العربية وهى العراق ولبنان وسوريا وفلسطين. أما الطرف الآخر فى هذه الملفات فهو إسرائيل وأمريكا فما جعل موقف الحكومات العربية المعارض لإيران فى هذه الملفات يصنف على أنه فى مربع إسرائيل وأمريكا حتى لو أبت الحكومات العربية ذلك كما أن هذا الموقف

يضيف على أنه مناهض بالطبع للمقاومة العربية لكل من إسرائيل وأمريكا، مع فوارق هامة بالطبع فى حالة العراق. وأكاد أقول بأعلى درجة من اليقين أن إيران تقدمت بشكل لافت فى كل الملفات العربية لسببين الأول انسحاب العالم العربى أمام إسرائيل وأمريكا فى هذه الملفات، وتقدم إسرائيل وأمريكا بدل العالم العربى فيها. أى أن إيران التى تريد أمريكا وإسرائيل اليوم تجنيد العالم العربى ضدها رغم كل ماتفعله إسرائيل فى العرب هى نفسها التى أتاحت لها أمريكا وإسرائيل بغير قصد طبعاً أن تتقدم على الضفة الأخرى عندما انقسم العالم العربى إلى شارع يقف لصد أمريكا وإسرائيل، وحكومات تاهت مواقفها مع كل منهما، فأصبح التوازى فى المواقف باديا حتى لو لم تقصد تحالفات رسمية بين أمريكا وإسرائيل وهذه الحكومات، واكتفت بتفاهمات بدت فى الكثير من المناسبات والسلوكيات. ولذلك فإن دعوة الحكومات العربية إلى الحشد الشعبى ضد إيران واستدعاء الوطنية وحتى الشعور القومى ضدها لدى الشعوب العربية ثم النظر إليه على أنه لصالح أمريكا وإسرائيل وليس للصالح العربى كما تريده هذه الشعوب، بل إن التمادى فى استعداء هذه الشعوب ضد إيران، بينما هذه الشعوب ترى استكانة هذه النظم إزاء إسرائيل وأمريكا يؤدى إلى نتائج عكسية. ولكن النتيجة الأخطر هى أنه إذا استدعت الحكومات الشعور القومى لدى الشعوب العربية ضد إيران لسبب جدى فى وقت تكون فيه مصداقية هذه الحكومات قد تلاشت، فإن ذلك يضر أيضاً بالمصالح العربية. وبقليل من الخيال نستطيع أن نتصور جدلا شكل العلاقات العربية الإيرانية لو لم تكن إسرائيل طرفاً فى المعادلة، وأكاد أقول أن إيران التى كانت حليفاً لإسرائيل ضد العرب فى زمن الشاه وصارت طرفاً فى قضايا العرب ضد إسرائيل يمكن أن تصبح مرة أخرى طرفاً ضد العرب. ولو كانت الساحة قاصرة على العرب وإيران، فربما كان هناك تنافس بين المشروعين العربى والإيرانى، أو تعاون

عربى إيرانى فى مواجهة تركيا، ولكن هذا فرض نظرى جدلى.

ويضيق المقام إذا حللنا كيف أن إسرائيل هى التى تسببت فى تمكن إيران من الملفات العربية. ففى لبنان، لم يكن لإيران أى دور قبل ١٩٨٢ أى تاريخ احتلال إسرائيل لبيروت ودخولها فى معادلات القوى داخل لبنان، فنشأت حزب الله بدعم إيرانى، وكلما تطور الصراع بين حزب الله وإسرائيل وانتكست الخطط الإسرائيلية كلما تعاظم دور حزب الله فى المقاومة كما كبر حجمه السياسى والاجتماعى والطائفى داخل لبنان، حتى نجحت إسرائيل فى تأليب البيئة العربية ضده بسبب دوره أساساً فى المقاومة، هذا تفصيل يضيق عنه هذا المقام. وكلما تألق حزب الله علا نجم إيران فى لبنان، والحل هو انسحاب إسرائيل من بقية الأراضى اللبنانية والسورية وإبرام اتفاقية عدم اعتداء متبادل، وهذا أكثر جدوى من التسوية بين إسرائيل وإيران قفزا على هذا الواقع المعقد.

فى العراق، كانت إيران الشاه هى التى حرضت الأكراد ضد بغداد، وكانت واشنطن وإسرائيل المحرض الأساسى على الحرب المدمرة الطويلة بين إيران والعراق، ثم كانت واشنطن هى التى استدرجت العراق لغزو الكويت وماتبعه من تداعيات انتهت بغزو العراق بمساندة استخباراتية وعسكرية إسرائيلية، وكان ذلك فتحاً لإيران التى تريد إسرائيل وواشنطن لها أن يتأبد نفوذها فى العراق حتى لاتقوم له قائمة كبلد عربى موحد، وهى مهمة مقدسة تريد إسرائيل وأمريكا أن تنجزها إيران. ويبدو أن أى مفاوضات بين الطرفين الإيرانى والأمريكى بشأن العراق لابد أن تراعى هذه المصالح التى تناهض بالقطع الأمل العربى فى العراق على الأقل من الناحية النظرية.

أما فى فلسطين، فقد أدى إنكار إسرائيل بدعم أمريكى لكل حقوق الفلسطينيين

وتوغل المشروع الصهيونى إلى انحسار التصدى العربى الرسمى مع دعم مقاومة الفلسطينيين لهذا المشروع، ثم عندما قرر العرب أن ينفضوا أيديهم من المقاومة تقدمت إيران، وكلما تغولت إسرائيل واستمرت المقاومة كلما ازداد الجهد الإيرانى. الحل ليس فى استئصال المقاومة بكل ماتجره من نفوذ إيرانى، ولكن فى وقف المشروع الصهيونى والإقرار بسلام عادل للجميع، وحينئذٍ لن تجد إيران ساحة لدورها فى المنطقة. أما إذا استمر المشروع الصهيونى وهذا هو المؤكد، فإن الصدام بينه وبين المشروع الإيرانى يبدو محتما إلا إذا تم التنسيق بينهما يوماً ما، وهذا أمر ليس مستبعداً.

وأخيراً، فإن الخط العام لهذه المقالة لا يجوز أن يفهم على أن المشروع الإيرانى هو المشكلة ولكن الغرض الأساسى هو دفع الحجة الإسرائيلية والأمريكية التى تريد أن تمهد المنطقة للمشروع الإسرائيلى وتزيل العقبات الإيرانية من طريقه، كما أنه من الواضح أن الأداء العربى السلبى قد ترك الساحة العربية فراغاً يستدعى كل قادراً على أن يملاه.

|10|

كيف نقرأ الاحتجاج على انتخابات إيران؟

جرت الانتخابات الإيرانية وفق الأوضاع الدستورية والقانونية فى إيران، ولكن ظهور النتائج التى فاز فيها أحمدى نجاد بهذه الأغلبية الكاسحة استتبع الاحتجاج والتشكيك فى صحة الانتخابات من جانب موسوى أقوى المنافسين لنجاد. ارتفعت وتيرة الاحتجاجات واشتد تمسك موسوى بموقفه وإن كان قد نصح أنصاره بعدم التجمهر والتظاهر مما بدا معه أن الشارع الإيرانى أصبح منقسماً انقساما موازيا للانقسام بين الساسة. فى قراءة المشهد الإيراني يجب أن نشير إلى أربعة أحداث: الأول : هو أن المرشد الأعلى للثورة الإسلامية بادر إلى مباركة النتائج بأفضل العبارات واعتبرها نصراً من السماء، بينما اعتبر أحمدي نجاد هذا الفوز صفعة على وجه الغرب. الثانى : هو أن المرشد الأعلى شدد على حق الاحتجاج على النتائج ولكن بالطرق القانونية، ويبدو أنه ليس من بينها المظاهرات خشية الاحتكاك بين مؤيدي الفائز والخاسر.

نضيف إلى ذلك أن المرشد الأعلى اضطر فيما يبدو إلى توجيه مجلس الرقابة الدستورية، أى مجلس تشخيص مصلحة النظام إلى تقديم حلول وسط من أهمها قبوله إعادة فرز الأصوات فى الدوائر المطعون فيها. الحدث الثالث : هو استمرار

التظاهر رغم قرارات وزارة الداخلية بمنعها ورغم حظر الإعلام الدولى لنقلها إلى العالم الخارجى.

أما الحدث الرابع والأخطر : فهو الاهتمام المبالغ فيه من جانب الغرب بزعامة الولايات المتحدة واستدعاء السفراء الإيرانيين لدى فرنسا وبريطانيا وألمانيا لتفسير موقف السلطات الإيرانية من قمع المتظاهرين واحتجاج الغرب على النتائج واتهام ساركوزى لها بأنها نتائج مزورة، وتردد دعوات إلى إعادة هذه الانتخابات تحت رقابة دولية للتأكد من صحة تصويت المواطن الإيرانى. بل إن أوباما شدد عدة مرات على نقد النتائج خاصة بعد تزايد اتهام أوساط معينة له بالتراخى فى هذا النقد، وإزاء حرصه على عدم تفسير نقده على أنه تدخل فى الشؤون الإيرانية وحذره فى الاقتراب من إيران تمهيداً لمرحلة المفاوضات معها.

فى ضوء هذه الوقائع الأربع يمكن أن نقدم أربعة قراءات أو تفسيرات لهذه الاحتجاجات:

النظرية الأولى: تفسر هذه الاحتجاجات على أنها جزء من الصراع بين إيران والغرب، وأن الغرب لايهمه ديمقراطية إيران، وإنما يهمه فى المقام الأول استغلال الفرصة لتوسيع الشق داخل النظام حتى يضعفه أو يسقطه ويأتى بمن يستطيع التفاهم معه. ويرى الغرب أن هذه النتائج تقوى تشدد النظام الإيرانى فى المفاوضات أو العقوبات وهى تفويض شعبى بسلامة خط النظام ضد الغرب. ولكن الغرب يرى أيضاً أن هذا التشدد يغلق الباب أمام الحلول السلمية مما يقوى احتمال مهاجمة إسرائيل لإيران عسكرياً، وهو احتمال لم يستبعد يوماً من الحساب، أى أن إضعاف النظام من الداخل يجعله أقرب إلى الاستجابة للحلول السلمية لملف إيران النووى، خاصة بعد أن لاحظ الغرب أن إسرائيل هي الطرف الوحيد الذى أسعدته

هذه النتائج مما يعلى حجة إسرائيل وتصويرها للخطر الإيرانى بقيادة أحمدى نجاد.

على الجانب الآخر: هناك نظرية تستند إلى النظرية الأولى وترى أن الاحتجاجات سببها الغرب وأنها محاولة منه لهدم النظام مما يجعل النظام يشعر بأنه هو المستهدف ويملى على النظام الدفاع عن نفسه لأن إضعافه أو انهياره ضياع للمصالح الإيرانية، فكلما زاد دعم الغرب للاحتجاج كلما تشدد النظام مع المحتجين على أساس أنه يقمع شركاء محليين فى مؤامرة خارجية.

النظرية الثالثة: تضع هذه الاحتجاجات فى إطار الصراع بين الإصلاحيين والمحافظين ولكن المصطلح أطلقه الغرب وتستخدمه الأوساط الإيرانية منذ عهد خاتمى، لدرجة أن شقيق خاتمى نفسه مؤيد لموسوى واعتقل فى هذه الأحداث. إذا كان هذا هو الحادث فى إيران فإنه يعنى أن الغرب يؤيد الإصلاحيين ويجب أن يلتقى مع مؤيدى الإصلاحيين داخل إيران الذين لايرتاحون للهجة التحدى التى يطلقها أحمدى نجاد وأنهم ليسوا منبهرين بوعوده الاقتصادية وفى مجال مكافحة الفساد. هذه النظرية تسمح بانضمام ملايين من الإيرانيين باطمئنان للمطالبة بالإصلاح والاعتدال فى الداخل والخارج، وهو أمر أيضاً لايزعج القيادة الإيرانية.

النظرية الرابعة: تقرأ المشهد على أن الصراع بين المنتفعين من الثورة والمضارين بدأ يعبر عن نفسه بعد ثلاثين عاماً وأن الانتخابات كانت مجرد مناسبة فجرت هذا الصراع، وأن القضية لاعلاقة لها بالغرب أو الإصلاح أو اللبرالية أو الديمقراطية. إذا صح هذا التفسير فإن البلاد التى عرفت أول ثورة شعبية فى القرن العشرين بعد الثورة الشيوعية فى روسيا القيصرية، وعلى أساس أيديولوجى أيضاً سياسى أو دينى، يمكن أن تنزلق بسهولة نحو حرب أهلية، وبذلك تصبح الانتخابات وحتى الديمقراطية نفسها تعبيراً عن ضعف النظام وثغرة لصالح المخالفين له. وقد لوحظ

أن موسوى ظل يؤكد على صلابة نظام الثورة الإسلامية حتى لايتهم بأنه يخرج عن دائرة هذا النظام الذى اختاره الشعب الإيرانى وعبر به كل التحديات السابقة.

والحق أن الذى يحدث فى إيران هو خليط من هذا كله ولعلنا نلاحظ أن كراهية الجميع داخل إيران للشاه وبطشه بالجميع هو الذى أطلق شرارة الثورة عام ١٩٧٩ ولكن الشركاء فى كراهية الشاه والتعاون لخلعه تنوعت اتجاهاتهم بعد خلع الشاه، وكانت البلاد عرضة لانقسام خطير سياسى وإقليمى لولا أن من الله على إيران بجيوش صدام حسين التى فاجأت حركة التصفيات الكبرى التى أجرتها الثورة ضد خصومها حتى أولئك الذين ساهموا فى إنجاحها.

فهل هذه أزمة فى نظام الحكم؟ أم هى ضغوط الخارج عليه ،أم هو تدخل الخارج لشق الداخل كله بعد أن فشل فى المواجهة السياسية؟ أم أنها أزمة مجتمع ارتضى ذات يوم نظاماً ويأمل فى إصلاح أخطاء هذا النظام فاستغل الغرب هذا الهدف النبيل فحاول توظيف هذا الهدف ضمن أجندته فى مواجهة إيران؟.

|11|

كيف يقرأ العالم العربي الذكرى الثلاثين لثورة إيران؟

لا يمكن القول ابتداء أن العالم العربى الشعبى والرسمى مجمع على قراءة واحدة للثورة الإسلامية فى إيران، ويمكن أن نقسم القراءات للعالم العربى إلى ثلاثة قراءات أساسية، تمثل صورة إيران فى العالم العربى بعد مضى ثلاثين عاماً على ثورتها الإسلامية.

القراءة الأولى: تنظر إلى إيران نظرة تقليدية فى سياق التوجه القومى القديم، فترى إيران وتطورها خطراً على العالم العربى تماماً مثلما كانت تنظر إلى تركيا فى الماضى وإلى إسرائيل، ولم يجد هذا الفريق اختلافاً فى إيران الملكية عن إيران الإسلامية، فكلاهما دولة فارسية لها مشروع يتمدد بطبيعته على حساب العالم العربى على الأقل فى منطقة الخليج، بل يرى جزء من هذا الفريق أن إيران أخطر على العالم العربى من إسرائيل، وأن التفاهم بينها وبين إسرائيل ممكن، ولذلك رأى هذا الفريق خطراً فى التسليح النووى الإيرانى. هذا الفريق تحركه دوافع قومية ودوافع علمانية، من حيث أن إيران دولة أيديولوجية ترفع شعار الإسلام المناهض للاتجاه العلمانى، ولذلك فإن هذا الفريق بشكل عام يرى فى سقوط نظام صدام حسين كارثة وفرصة لإيران للتوسع.

القراءة الثانية : ترى أن إيران دولة إقليمية قامت ثورتها على الفساد والظلم

لتصحيح أوضاع شعبها، وكانت رد فعلها عنيفاً ومتطرفاً على حالة الانفلات الاجتماعي والديني، والتغليب الذى طمس الهوية الإسلامية للشعب الإيراني فى عهد الشاه، وأن إيران الإسلامية بسبب زوال الشاه الصديق للغرب، وبسبب الطابع الإسلامي، وبسبب الرغبة فى التحرر من التبعية الغربية فإنها تعرضت للحصار وتحريض العراق عليها لإضعافها وكسر شوكتها، ولكن إيران صمدت فى وجه ذلك كله، وقادت صراعاً سياسياً محموماً ضد الولايات المتحدة، وبذلك دخلت إيران إلى دائرة الاحتكاك «بالنظم المعتدلة» الموالين للغرب والمهادنة لإسرائيل، وأن إيران تمكنت خلال الثلاثين عاماً الماضية من الصمود والاستمرار، ومن توسيع رقعة نفوذها على حساب الانسحاب العربى السياسى من جميع القضايا العربية، بحيث أصبحت إيران الطرف الآخر مع الولايات المتحدة فى جميع الملفات العربية.

أما الدول العربية الرئيسية فقد قنعت بمهاجمة إيران إعلامياً والتحريض عليها سياسياً، وكذلك فعلت مع معكسر المقاومة العربية الذى تسانده إيران، وأن نجاح إيران فى تعظيم أوراقها قد جعلها نداً للولايات المتحدة التى اضطرت فى النهاية إلى الحوار معها وربما اقتسام النفوذ مع إيران، بعد أن تملكت إيران ورقة مهمة فى أفغانستان، وورقة أهم فى التصنيع العسكرى، وورقة ثالثة فى لبنان، وورقة رابعة فى سوريا، وورقة خامسة فى فلسطين، وورقة سادسة مع روسيا والصين، ووظفت قدرتها الاقتصادية لزعزعة التحالف الأوروبى الأمريكى ضدها. يرى هذا الفريق الذى انضم إليه أن إفلاس العالم العربى السياسى وتخليه عن أوراق القوة العربية هو الذى شجع إيران على التقدم فى العراق، ولذلك من مصلحة العالم العربى أن يقيم حواراً بناءً مع إيران، حتى لا يصحو يوماً وقد اقتسمت إيران المنطقة العربية مع واشنطن، وتوافقت مع إسرائيل على إحكام السيطرة على الجسد العربى الذى فقد مراكز التأثير والتنفيذ والقرار.

أما **الفريق الثالث**: فهو الفريق الطائفى، الذى يرى أن الثورة الإسلامية فى إيران محدودة الأثر فى الخارج، لأنها ثورة شيعية وأن ظهورها قد أشاع عدم الاستقرار فى المنطقة، وقوى جانب الشيعة ضد السنة، وأشعل فتيل الأزمة بين المسلمين، كما أن مساندتها للمقاومة العربية التى يراها هذا الفريق تطرفاً وعنفاً لا لزوم له قد فرق العالم العربى بين المقاومة والاعتدال، مثلما فرق النظم العربية داخل الأوطان العربية فى لبنان وفى فلسطين وفى العراق، وقد تسببت هذه السياسة الإيرانية فى توتر العلاقات بين مصر وحماس، وبين مصر وسوريا، وبين السعودية وكل من حماس وسوريا، وبين مصر والسعودية من ناحية وحزب الله من ناحية أخرى. وبذلك أسهمت القوة الإيرانية فى تمزيق العالم العربى وتمزيق الصفوف العربية الداخلية خدمة للمشروع الإيرانى، الذى تمسك بالجزر العربية الثلاث فى الخليج، ولا يفترق فى أطماعه عن إسرائيل تجاه المنطقة العربية. فإلى أى القراءات الثلاث تميل أيها القارئ العزيز؟.



12

ماذا لو قبلت إيران المقترحات الغربية؟

لا يزال الجدل محتدما حول ما إذا كانت المبادرة الأمريكية الغربية إزاء الملف النووى الإيرانى مناورة أمريكية أم أن هذه المبادرة مؤشر على تغير استراتيجي حقيقى فى الموقف الأمريكى من الملف الإيرانى. كذلك تحاول الولايات المتحدة استنفاد كل الفرص مع إيران حتى أن وزيرة الخارجية الأمريكية لم تستبعد لقاءات أمريكية إيرانية على المستوى الوزاري أى مفاوضات ثنائية وليس مجرد وجود الولايات المتحدة فى المفاوضات مع الترويكا الأوربية، وهذا تطور كبير أغرى بعض المعلقين بالمضي بعيداً بالتأكيد على أن الولايات المتحدة أصبحت مستعدة لمفاوضات مباشرة مع إيران حول كافة الملفات مما يعنى أن واشنطن تقر بمكانة إيران وجدارتها بالتعامل معها بعد أن رفضت الاعتراف بنظامها منذ قيام الثورة الإسلامية فى إيران وظل الصراع قائماً بينهما حتى الآن. ولم يعلق هؤلاء المراقبين أهمية كبيرة على الموقف الإسرائيلى مادامت المصلحة الأمريكية تتطلب ذلك ومادام التقارب الأمريكى الإيرانى وجد العوامل الموضوعية اللازمة، ومادام هذا التقارب يؤدى إلى ترويض إيران وتخليها عن سلاحها النووى المروع لإسرائيل وقد يؤدى هذا التقارب إلى ما هو أبعد مما ينسجم مع المصالح الإسرائيلية. وهذا الاحتمال والتفسير مقبول إسرائيلياً. ولكن الوجه الآخر للمبادرة الأمريكية ومحاولات استنفاد

كل طرف الاقتراب من إيران هو أن هذا الأسلوب الأمريكى يقصد إلى دفع كل الدول الكبرى بما فيها روسيا والصين إلى الانضمام إلى التحالف الدولى الشامل ضد إيران إن رفضت المبادرة الأمريكية، وبذلك تقضى على كل معارضة أو نقد لسياستها. ومن ناحية ثالثة، نعتقد أن واشنطن تواجه ورطة كبيرة مع إيران، لأنه حتى مع تكتيل المجتمع الدولى كله ضد إيران، فإن وجود قرارات عسكرية لدى إيران وقدرتها على استخدامها يضع الولايات المتحدة فى مأزق كبير خاصة إذا كان لديها قرارات نووية وتستخدمها ضد القوات الأمريكية أو ضد إسرائيل. وموضوع هذه المقالة يركز على التداعيات التى تنشأ عن قبول إيران للمقترحات الأمريكية.

غير أن أهم هذه التداعيات يمكن فهمها بشكل أوضح إذا وضعنا المبادرة الأمريكية فى إطار نظرية الخيارات الأمريكية المتاحة أمام إيران. فقد جربت الولايات المتحدة عزل إيران وتشويه صورتها وفرض العقوبات عليها بل ودفع أوروبا عبثاً إلى الانضمام للعقوبات الأمريكية. كذلك حاولت واشنطن مداعبة شطراً من المجتمع الإيرانى وهو ما أسمته الأدبيات الأمريكية المعتدلين والإصلاحيين ولكن واشنطن اعتبرت النجاح المفاجئ لأحمدى نجاد هزيمة للاتجاه الإصلاحى، وهو مفهوم أمريكى يخضع للمعايير الأمريكية. ولابد أن واشنطن قد لاحظت أن طهران تمارس قواعد اللعبة السياسية وأنها ترسل الإشارات ولكن واشنطن ظلت تتجاهلها أملاً فى أن تحقق واشنطن أهدافها دون مقابل أو تنازلات منها.

بقى منهجان أمام الولايات المتحدة أولهما : ما تسميه الأدبيات السياسية الأمريكية بالارتباط المشروط أى باللغة الدارجة سياسة الحزمة التى تتضمن فوائد التقارب ومقابل التنازلات فى تسوية شاملة أو صفقة شاملة ، وثانى هذين المنهجين هو استخدام القوة المسلحة. فى المنهج الأول تهدف واشنطن إلى تغيير سلوك النظام

وتطويعه أما فى المنهج الثانى فتهدف واشنطن إلى استخدام القوة لتغيير النظام نفسه. ويضرب الأمريكيون مثلاً للمنهج الأول السودان التى تعاونت مع الولايات المتحدة وفق الخطة الأمريكية لمقاومة الإرهاب، ثم لتسوية قضية الجنوب، وأخيراً، للسلام فى دارفور، حيث قايضت الخرطوم تنازلاتها بالضغوط الأمريكية. كما يضربون للمنهج الثانى مثلاً ما حدث فى العراق بإسقاط نظام صدام حسين. وقد أشار فلاينت ليفريت رجل السياسة والمخابرات الأمريكى فى كتابه «وراثة سوريا: اختبار بشار بالنار» الصادر عام ٢٠٠٥ من معهد بروكينجزو الذى أعد خصيصاً بناء على طلب مارتن أنديك مدير المعهد والسفير الأمريكى اليهودى السابق فى إسرائيل والذى كافأته مادلين أولبريت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة على تجسسه لصالح إسرائيل بنقله إلى واشنطن وتعيينه مساعداً لوزيرة الخارجية لشئون الشرق الأوسط وهى نفس المهمة التى يتولاها الآن دافيد والش، أشار ليفريت إلى أن واشنطن يجب أن تجرب مع سوريا منهج الارتباط المشروط والذى لا نظن أن واشنطن مهيأة نفسياً له فى الوقت الحاضر خاصة وأن عسكرة السياسة الخارجية الأمريكية واستمرار سيطرة وزارة الدفاع نسبياً حتى الآن على قرارات السياسة الخارجية يجعل تجربة هذا المنهج صعباً.

ونحن نعتقد أنه فى الحالة الإيرانية، ربما تعرض واشنطن منهج الارتباط المشروط ليس لكى تنفذه ولكن لكى تعد العدة تماماً لضرب إيران، رغم أن واشنطن تناشد إيران قبول المبادرة واستبعاد المواجهة مع واشنطن، وهى لغة غريبة على الإدارة الأمريكية تدل إما على مأزق واشنطن أو على اقتراب ضرب إيران. وإذا صح ذلك، فلابد أن يكون تصريح الرئيس الإيرانى بأنه سيعطى فرصة لدراسة المقترحات الغربية قد أزعج واشنطن، تماماً كما أزعجها مؤشرات قبول صدام حسين بالوساطات التى جرت لكى يقبل الانسحاب من الكويت خلال الأشهر

الثلاثة الأخيرة ٩٠-١٩٩١، لأن قبول العراق بالانسحاب يحبط المخطط الأمريكى الهادف إلى ضرب العراق والتواجد فى الخليج انتهاء باحتلال العراق نفسه.

على أية حال، إذا قبلت إيران المقترحات الغربية، ترتب على ذلك فى البداية أن إيران لن يقدر لها حيازة سلاح نووى لأنها سوف تكون خاضعة للاشراف الدولى والأمريكى والتفتيش المستمر. أما من الناحية السياسية فإن شكلاً من أشكال الشراكة السياسية بين إيران وواشنطن سوف ينشأ فى الخليج وأفغانستان وخاصة فى العراق مما يؤدى إلى تواجد إيرانى رسمى فى العراق وتقسيم العراق ومناهضة الطابع العربى فيه، ولكن هذه الشراكة سوف تضع قيوداً على سياسة إيران فى الخليج وسوف تضحى واشنطن بحق الإمارات العربية فى الجزر، كما أن إيران سوف تغير مواقفها من حزب الله وسوريا وتعدل موقفها فى القضية الفلسطينية ومن حماس. وهذه كلها مكاسب هائلة للولايات المتحدة لصالح إسرائيل لم تتمكن من تحقيق أى منها حتى الآن، كما ستوفر لإسرائيل التفرد بالسلاح النووى. ولكن مثل هذه التسوية لن تكون نهاية المطاف فى نظر واشنطن، وإنما سوف تكون بداية لالتصاق أمريكى بإيران.

ونحن نعتقد أنه لا يمكن التعايش الكامل بين حكومة الثورة الإسلامية وبين الولايات المتحدة وسوف تسعى واشنطن إلى إعادة إيران إلى مرحلة ما قبل هذه الثورة. فليس سراً أن واشنطن عازمة على أن تعتبر مرحلة الثورة الإسلامية جزءاً من تاريخ المنطقة، ولكن سياسات هذه الثورة فى التحليل الأخير أسهمت فيما وصلت إليه السياسات الأمريكية فى المنطقة من مكاسب.

إن العرض الغربى يتطلب دراسة دقيقة من إيران فى حساب المحاذير والفرص والمخاطر، لأن الرفض أو القبول كليهما يحدد الكثير بالنسبة لإيران فى هذه المواجهة الفاصلة.

13

هل تهدد إيران النووية العالم العربي ؟

يبدو أن الحديث عن العالم العربى عندما يتعلق الأمر بإيران وقدراته النووية يتجه إلى التمييز بين منطقة الخليج وبين بقية مناطق العالم العربى، حيث تشعر منطقة الخليج فعلا بالقلق من قدرات إيران لأسباب عديدة أبسطها أن إيران النووية سوف تتسبب فى صراع عسكرى يضر منطقة الخليج، كما أن المفاعلات النووية الإيرانية قد تصيب المنطقة بأضرار حتى لو افترضنا حسن النية من جانب إيران. فقد لوحظ أن بعض التعليقات العربية على الأزمة النووية الإيرانية أنها تحذر من مخاطر الطموحات النووية الإيرانية على العالم العربي وخاصة منطقة الخليج ، فيما عمدت تعليقات أخرى إلى المقارنة بين الخطر الإيراني والخطر الإسرائيلي، وخلصت صراحة إلى أن إسرائيل لا تمثل خطورة على العالم العربي بسلاحها النووي، بينما إيران هي الأخطر، وحجتها في ذلك هي نفس الحجة الأمريكية، وهي أن إسرائيل نظام يتسم بالرصانة، ولا يمكن أن يستخدم هذه الأسلحة، بينما نظام إيران الإسلامي متطرف ويمكن أن يهدد المنطقة بهذه الأسلحة.

ويلاحظ أن المقارنة بين إيران وإسرائيل في هذا السياق تفترض أن إيران تحوز أسلحة نووية مثل إسرائيل، وهو أمر نفته إيران وقررته الوكالة الدولية ومراكز

الأبحاث النووية العالمية. وإذا كان بعض الذين يرون إيران أخطر من إسرائيل خلال الأزمة النووية يتخذون هذا الموقف انسجاما مع الموقف الأمريكي، فإن بعض الكتابات الثقافية العربية قد جعلت إيران مساوية لإسرائيل في خطرها على المنطقة العربية، وكان ذلك خلال الحرب العراقية الإيرانية، وهو خطر أكدته بغداد حينذاك حتى تجند العالم العربي ضد إيران، خاصة وأن بغداد كانت ترى أنها رأس الحربة العربية والدولية لمهاجمة إيران. وكان هذا الخط يرضي واشنطن وتشجع عليه، لأنه يؤدي إلى تخفيف الكراهية العربية لإسرائيل وتوزيع الكراهية على إيران أيضا.

وبعد غزو العراق للكويت التزمت واشنطن خطا مدروسا يقضي بالقول بأن الأمن القومي العربي لم يمنع غزو العراق للكويت بل إن هذا الغزو قد تم باسم العروبة، مما يعني أن العروبة أصبحت خطرا على الدول العربية نفسها، كما كانت بالأمس خطرا على الدول المجاورة عندما قام صدام حسين بحجة حماية البوابة الشرقية للعالم العربي بغزو إيران. ثم تقدم هذا الخط خطوة أخرى وهي أن الخطر ليس إسرائيل، وإنما يكمن الخطر في العراق وإيران ولذلك فإن احتواء واشنطن لكليهما ضمن سياسة الاحتواء المزدوج هو خير ضمان للدفاع عن دول الخليج. ومؤدى هذا الخط أن الأمن القومي العربي القائم على قدرة العالم العربي على ضمان أمن أعضائه، وأن هذا الأمن يعتبر إسرائيل هي المهدد له، قد انتهى، كما أنه لم يعد هناك أمن عربي، وإنما لكل دولة أمنها ومهددات مختلفة لأمنها بحيث أصبحت واشنطن هي الحامي لدول الخليج ضد إيران والعراق. وخلال الأزمة النووية الأمريكية الإيرانية ألمح المعلقون إلى أن الخطر الإيراني يتطلب باستمرار الوجود والالتزام الأمريكي بحماية دول الخليج ومواردها النفطية على أساس أن واشنطن

وإسرائيل ودول الخليج في خندق واحد، فلم تعد إسرائيل هي العدو إلا في سجلات الماضي العربي، وهذه الفرضية هي التي تشجع واشنطن وإسرائيل الآن على الفصل بين القضية الفلسطينية من ناحية، وبين العلاقات العربية الإسرائيلية وفك الارتباط بينهما، بحيث لكل اعتباراته ودواعيه. يضيف المعلقون المتأمركون أن إيران أخطر من الولايات المتحدة لأن إيران جزء من المنطقة بينما القوات الأمريكية سوف ترحل إن آجلا أو عاجلا.

في ضوء ما تقدم تبدو القضية بأبعادها جزءا من الحوار في العالم العربي، ولذلك فمن المهم مناقشة هذه القضية بطريقة موضوعية.

لعل النظر إلى مصدر الخطر على العالم العربي يرتبط بمدى تأثر المصالح الأمنية والسياسية العربية بمصدر هذا الخطر. فمن الناحية التاريخية كانت إسرائيل هي المهدد الأكبر ليس فقط للمصالح العربية وإنما للوجود العربي، وذلك نظرا لأنها كيان زرع على حساب شعب فلسطين ولا يزال يتمدد حتى يبتلع كالتنين أرض فلسطين. ثم إن إسرائيل ومشروعها الصهيوني تسعى إلى فرض الهيمنة السياسية والاستراتيجية على المنطقة العربية بالقوه العسكرية وبالاستعانة بالولايات المتحدة لتفكيك الروابط بين الدول العربية واختراقها، فضلا عن سعي إسرائيل إلى تعويق المصالح المشتركة العربية الأمريكية وسائر العلاقات العربية الدولية. يكفي أن الصراع العربي الإسرائيلي صار محور حياة العالم العربي وعلاقاته الخارجية منذ قيام إسرائيل وأحدثت طريقة التعامل مع إسرائيل داخل العالم العربي انقساما حادا كلف مصر والعالم العربي معا عشر سنوات من القطيعة، بينما تزدهر إسرائيل.

خلاصة القول أننا لا نوافق على أن الصراع بين العرب وإسرائيل هو صراع ديني وليس صراعا حضاريا، ولكنه صراع بين قوم يعيشون في ديارهم وكائن سياسي

استعماري طرأ عليهم تتناقض طبيعته مع حياة العالم العربي وثبت أنه لا يريد أن يقنع بمعظم فلسطين، وتسبب الصراع معه في زيادة ملايين من العرب والفلسطينيين ضحايا الصراعات المسلحة غير المتكافئة والإبادة الإسرائيلية المنظمة للشعب الفلسطيني حتى تخلص لإسرائيل بقية أرض فلسطين. كذلك أصبحت إسرائيل بحكم طبيعتها شريكا للولايات المتحدة في تمزيق العالم العربي وبدأت بالعراق وتثير الأزمات مع سوريا وداخل لبنان وليست بعيدة عن الحرب الأهلية في العراق وربما في أوطان عربية أخرى قادمة، يساعدها في ذلك أوضاع التدهور السياسي وانعدام الديمقراطية وعجز النظم العربية عن إدارة المجتمعات واحتواء أبنائها فتلعب إسرائيل على هذه المتناقضات العربية.

يترتب على ما تقدم أن إسرائيل بحكم مشروعها الصهيوني المتوجه إلى المنطقة العربية، هي المهدد الدائم للوجود العربي وأن أي تسوية معها لن تكون دائمة وكل تراجع عربي أمامها بدعوى الواقعية يتلوه تراجع أكبر حتى نهاية المشروع الصهيوني، وهو تجسيد للصراع بين هجمة توسعية استيطانية استعمارية خارجية وبين العالم العربي بذرائع دينية وتاريخية ساذجة.

أما إيران فهي جزء من تاريخ المنطقة في العصور القديمة والحديثة وهي جزء من المنطقة بثقافتها واندماجها وطموحاتها وصراعاتها، وليس كيانا وافدا على المنطقة كما أنها قوة إقليمية وإن أفقدتها ظروف الجغرافيا السياسية المحيطة بها ممارسة دور سواء في آسيا أو في الخليج والمنطقة العربية. ولا شك أن إيران تتمتع بنزعة قومية جارفة وسبب ذلك تاريخها كقوة عظمى في عصور ما قبل الإسلام ، أو بسبب مكانتها في الاستراتيجية الأمريكية في مرحلة وراثة بريطانيا في الخليج وضد الاتحاد السوفيتي طوال الحرب الباردة حتى قيام الثورة الإسلامية في طهران عام ١٩٧٩.

على الجانب الآخر، عندما ظهرت القومية العربية كحركة تحررية لكل المنطقة العربية حصل احتكاك وعداء بين القوميتين خاصة عندما وصلت القومية العربية إلى سواحل الخليج العربي، حيث قامت السياسات الناصرية على أساس أن طهران قبل الثورة كانت حليفا للغرب وهي استمرار للوجود الغربي وأن الأقليات الإيرانية في الخليج تهدد الخليج وتهدد عروبته. وبينما خبت الروح القومية بعد ١٩٦٧ ثم بعد الغزو العراقي للكويت، توثبت الروح القومية الإيرانية في عهد الشاه ثم توهجت بشكل أكبر بعد الثورة الإسلامية، وزاد التوهج خلال حصار العالم كله لإيران أثناء الصراع المسلح مع العراق، ولا يزال هذا الشعور يزداد ثقة وتوهجا بظهور طموحات إيران النووية، وكذلك كلما تجدد الحديث عن حصار إيران وضرب منشآتها النووية. فما هي المخاطر التي تمثلها إيران على العالم العربي قبل تحولها إلى دولة نووية، ثم بعد تحولها إلى هذا المستوى سواء بشكل مستقل عن مقارنتها بإسرائيل أو بالمقارنة بإسرائيل.

لم يسبق أن استخدمت الثورة الإيرانية بعد الثورة ضد المنطقة العربية، وليس عليها من مأخذ سوى موقفها المتعنت من الجزر العربية الثلاث في الخليج وإصرارها على ضمها ورفض أي طريق للتسوية السلمية للنزاع حولها. ويرى البعض أن التحالفات الأمريكية مع دول الخليج كان سببا في تأرجح العلاقات الإيرانية الخليجية ولكن هذه العلاقات على الجملة، ظلت بعد الثورة وحتى بعد موجتها الأولى ودعاوى تصدير الثورة ، عند مستوى معقول من الاستقرار مع مثابرة طهران على منع دول الخليج من الوقوع تحت التأثير الأمريكي في الأزمات السياسية المتلاحقة بين إيران والولايات المتحدة. كذلك قطعت العلاقات الدبلوماسية بين إيران ومصر وتونس وموريتانيا والجزائر بسبب اتهامات أمنية،

وكذلك موقف مصر من شاه إيران عقب الثورة وتناقض الموقفين المصري والإيراني من سبل التسوية السلمية مع إسرائيل. فإذا توصلت إيران إلى الطاقة النووية السلمية وحتى لو توصلت إلى سلاح نووي فماذا تريد إيران أن تحققه في الدول العربية بالسلاح النووي لم تحققه بدون هذا السلاح. الغريب أن الذين قارنوا بين إيران وإسرائيل ومخاطرهما على العالم العربي، عمدوا إلى الإشادة بالقوة الإسرائيلية وتبرير أسلحتها النووية ، وهو ما ينطوي على سياسات التوسع والابادة الوحشية التي تمارسها ضد أصحاب فلسطين لاقتلاعهم منها، بل إن هؤلاء ساقوا الخطر الإيراني كي يبرروا استمرار الوجود العسكري الأمريكى كضمان لأمن دول الخليج، فماذا لوتقاربت واشنطن وطهران، وماذا عن المخطط الأمريكي الذي لم يرحم من يدعي أنه يقدم لهم الحماية وهو المتربص بهم والمتحالف مع دولهم.

وأخيرا فإن هؤلاء يركزون في كتاباتهم على استهداف العروبة والإسلام معا، تحت ستار ما يسمونه «الإسلاموية » و« القومجية» وكانوا أبواق الغزو الأمريكي لتحطيم الرموز القومية والإسلامية وتعميم أزمة الفريقين. فإذا كانت بعض الرموز القومية قد أفسدت، وإذا كان بعض الرموز الإسلامية قد ضلت، فلا تزال العروبة والإسلام هما الأساس للحكم ولا يجوز القول بأن الممارسة حجة على الأصل، فليس فساد النطق بالعربية دليلا على فساد اللغة العربية ولكنه محنة الناطقين بها، كما أن الممارسات الخاطئة لبعض المسلمين ليست حجة على الإسلام، فهم أتباع الدين الخاتم الذين ضلوا وأضلوا ولكن الإسلام نفسه بخير في حفظ إلى يوم الدين.

وأخيرا فإن حقد هؤلاء المتأمركين المتأسلمين المستعربين على الإسلام دفعهم إلى اعتبار حزب الله حوتا التهم الدولة اللبنانية، فانضموا في هجومهم إلى إسرائيل وأمريكا دون تقديم تحليل موضوعي لموقفهم، كما دفعهم نفس الدافع إلى إدانة

حماس وكل ذنبها أنها تتحلي برومانسية وسط جو الفساد والتعفن السياسي العربي، كما أدانوا البعث لكي يبرروا غزو العراق . فكيف بهذا المنطق يمكن لهؤلاء أن يسوقوا مقولة أن إيران أشد خطرا على العالم العربي من إسرائيل إلا أن يكون هدفهم القول أن إيران أشد خطرا على المشروع الأمريكي وأنها لو تحالفت مع العرب لحررت المنطقة من الصهيونية والاحتلال وفي هذا الجو الملتبس الذي يتشابه فيه الذئب مع الحمل نضرع إلى الله ألا يزيغ قلوبنا بعد هدايتنا وأن يقيض لنا من أمرنا رشدا. وتجدر الإشارة إلى أن المفاعل النووي السلمي لكل من إيران وإسرائيل من أسباب المخاطر البيئية فإذا كانت إيران سوف تضر ببيئة الخليج خاصة وأن الضمانات النووية في الصيانة وغيرها ليست مؤكدة، مما يبرر المخاوف التي تعبر عنها دول الخليج ، رغم تسليمها بحق إيران في التمتع بالطاقة النووية السلمية، فإن مفاعلات إسرائيل تشكل خطرا على مصر وفلسطين، خاصة وأن لدى إسرائيل نفايات وصناعات نووية بالفعل لكل هذه الأسباب وغيرها، تمسكت الدول العربية بتحرير المنطقة كلها من الطاقة النووية السلمية والعسكرية حفاظا على استقرارها وأمنها، ولكن تحيز الولايات المتحدة لإسرائيل كان أحد أسباب ظهور الطموحات النووية إلى العلن. ولا نشك فى أن ظهور هذه الطموحات الإيرانية دليل على فشل سياسة الانتشار النووى الأمريكية. ولذلك يجب أن تفكر الولايات المتحدة بطريقة منطقية حتى تضمن الأمن للجميع دون تمييز، وألا تتلاعب بالورقة النووية الخطيرة التى سوف يترتب عليها انتشار كل أنواع الأسلحة فى المنطقة وأن تتجنب السياسة الانتهازية التى تبرر بها وجودها فى المنطقة، حتى لا تفقد السيطرة بعد ذلك على أطراف هذه اللعبة. وخلاصة القول أن المنطقة لا تحتمل الطاقة النووية من الجانبين أو من غيرهما لذلك يجب أن تضغط أوروبا حتى تلتزم إسرائيل بمواقف محددة فى المسألة النووية وبذلك يمكن إلزام الجميع بهذه المواقف.

14

نحو حوار عربي إيراني : صورة إيران كما يريدها العالم العربي

لابد أن العالم العربى قد شكل نظرته إلى إيران خلال العقود الثلاثة الأخيرة، كما أنه لاشك قد شكل لنفسه صورة يتمنى أن يرى إيران عليها. وفى سبيل تحليل الصورة الراهنة لإيران عند العالم العربى، أظن أنه تجب الإشارة إلى أن العالم العربى يجمع على صورة لإيران ولكنه يختلف باختلاف بعض دوله فى نظرتهم إلى إيران. فإيران الشاه كانت حليفاً لواشنطن وصديقاً لإسرائيل، وكان ذلك مدعاة للتوتر مع مصر الناصرية، بينما كان من القواسم المشتركة مع مصر السادات. وكانت إيران الشاه سبباً للمواجهات مثلما كانت إيران الثورة مع العراق فى العهدين لاختلاف العوامل الحاكمة للعلاقات بين البلدين الجارين. أما علاقة إيران الشاه بدول الخليج فهى متفاوتة أيضاً ولكنها على العموم مستقرة بعد قبول البحرين الاستقلال فى الاستفتاء الذى أجرى عام ١٩٧٠، ولكن إيران الشاه وإيران الثورة تصر على تبعية جزر الإمارات الثلاث لها دون فرق بين العهدين، مع استمرار العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين. غير أن إيران الثورة اكتسبت صوراً متعددة فى العالم العربى خلال العقود الثلاثة الماضية.

الصورة الأولى أنها السند لحركات المقاومة فى لبنان وفلسطين بينما هى المناهض للمقاومة العراقية إلا بالقدر الذى تكون فيه هذه المقاومة مفيدة للضغط على

واشنطن، ولذلك اكتسبت إيران شعبية كبيرة من هذا الباب عند الشعوب العربية.

الصورة الثانية : هى صورة إيران التى تتحدى واشنطن وإسرائيل مما أضاف إلى شعبيتها العربية عندما تقارن الشعوب بين انكسار النظم أمام بطش واشنطن وإسرائيل وخاصة عندما تشعر هذه الشعوب بأن أوباما يتودد إلى إيران وبدا وكأنه هو الذى قبل بالموقف الإيرانى وليس الالتقاء فى بعض الطريق.

الصورة الثالثة : هى صورة إيران التى تخطط للهيمنة السياسية على العالم العربى، وهى الصورة التى ترسمها بعض الحكومات العربية والتى تروج أن إيران هى التى تثير الفتنة والانقسام بين الاعتدال والتطرف، وإذا توقفت عن تغذية التطرف، فسوف يكون الأمر كله بيد الاعتدال، ويقصد بالتطرف المقاومة، والتحالف مع سوريا وانتزاعها من حضنها العربى الأصلى دون أن تلحظ هذه الحكومات تطور التحالف السورى الإيرانى وخيارات سوريا الصعبة بعد السلام المصرى الإسرائيلى، ثم بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، وسوف يزداد الخيار صعوبة إذا تصالحت إيران مع واشنطن وبقيت سوريا على مسافة أبعد من عتبات الوفاق مع واشنطن.

الصورة الرابعة : هى التى تظهر إيران بمظهر الدولة التى تسعى إلى نشر التشيع فى العالم العربى مفهوماً على أنه الولاء لزعيم الثورة الإيرانية عبر الولاءات الوطنية، وليس مجرد الانتقال من مذهب دينى إلى مذهب آخر لايفصل بينهما فى الكليات فاصل ويظل الاختلاف فى التفاصيل الفقهية والاجتهادية. وقد بلغ هذا البعد مبلغ القلق والتحذير من مصر والشيخ القرضاوى ولكنه وصل إلى حد القطيعة الدبلوماسية بين إيران والمملكة المغربية، بينما استقر عند حد التوجس من التيارات السياسية المقترنة بوضع إيران كما هو الحال مع تونس مثلاً.

صحيح أن الصراع الإيرانى الأمريكى وارتفاع حدة الهجوم على إسرائيل من

جانب أحمدى نجاد له علاقة بالموقف العربى العام من إيران، لكن من الصعب أن نطمئن دون تحليل إلى هذه المقولة، لأن لسلوك إيران أيضاً دخلا فى رسم صورتها عند العالم العربى. ولكن تظل الصورة الشعبية لإيران واضحة فى العالم العربى خاصة مع عجز إسرائيل عن النيل من لبنان بمقاومة حزب الله، أو من غزة بمقاومة حماس، ولذلك فإن الشعوب العربية التى تناهض هذه المقاومة قد شعرت بأن دعم إيران لها هو أحد أسباب التوتر الرسمى معها، وأشك أن هذه الشعوب قد فهمت معنى مطالبة الأمير سعود الفيصل لوزير خارجية إيران بأن العالم العربى يقدر لإيران هذه المساندة، ولكنه يرجو أن تكون المساندة عن طريق البوابة الرسمية. ومعلوم أن عجز النظم العربية عن مواجهة إسرائيل وإصرار الشعب الفلسطينى على انتزاع حقوقه هو الذى فتح الباب لظهور المقاومة، ومنح الفرصة لظهور إيران.

خلاصة ما تقدم : أن العالم العربى الشعبى يريد أن تكون إيران على صورة تختلف قليلاً عما تريدها النظم العربية. فالشعوب خارج الخليج تنظر إلى ملف إيران النووى على أنه المعادل لملف إسرائيل، بينما يشعر الخليج بشعوبه وحكوماته أن الملف الإيرانى والإسرائيلى خطر على المنطقة ولافرق بين هذا وذلك، بل ترى بعض النظم العربية أن الملف الإيرانى هدفه تحقيق هيمنة سياسية لإيران على العالم العربى ولاعلاقة له بالصراع مع إسرائيل فضلاً عن المخاوف البيئية.

ولكن العالم العربى كله، حكومات وشعوباً، يريد توافقاً إيرانياً أمريكياً لكن ليس على حساب المصالح العربية ولايتمنى مواجهة عسكرية ضد إيران، كما يرفض أن يكون أداة لواشنطن فى صراعها مع طهران. وأخيراً يريد العالم العربى مجمعاً أن تجد إيران فى عراق موحد عربى مصلحة لها وليس خطراً على أمنها، كما لايتسامح العالم العربى فى أن تقفز الأقليات الشيعية فوق الولاء لأوطانها العربية لأى سبب

أو ذريعة، مثلما يساند العالم العربى حق الإمارات العربية فى جزرها، ويريد العالم العربى صورة إيران على هذا النحو وأن يتم الحوار معها على هذه القواسم.

ولسنا بحاجة إلى تعداد المكاسب التى تعود على العالم العربى من الحوار مع إيران، وأن الحكم مبدئياً باستبعادها من دائرة الحوار بأى ذريعة سوف يضر بالمصالح العربية. غير أن الحوار يتطلب أمرين حتى يثمر ويحقق أهدافه: **الأمر الأول** : أن يكون لدى العالم العربى الأوراق اللازمة حتى يكون نداً للحوار وأن يكون لديه سلة من التصورات التى تصلح للحوار، وليس مجموعة من الشروط التى تجهض أى حوار فضلا عن أن الرغبة فى الحوار والحاجة إليه يجب أن تكون إليه خيار الطرفين.

15

الشيعة في المنطقة العربية بين الانتماء الوطني والانتماء المذهبي

يبدو أن سقوط بغداد فى التاسع من أبريل ٢٠٠٣ كان مؤشرا على أن العراق الدولة والوطن قد أصبحا جزءا من تاريخ السياسات الأمريكية والإسرائيلية فى المنطقة. ذلك أن الخطة الأمريكية لم تكن تتضمن إسقاط صدام حسين عام ١٩٩١ وإنما البدء فى تنفيذ مخطط تقسيم العراق طائفياً وفعليا، حتى إذا أصبح ذلك ممكنا سهل بعد ذلك إزالة الغطاء وهو شخص صدام حسين، فأرادت واشنطن أن تنقل للعالم كله رسالة واضحة وهى أن الاستبداد بالمواطن يؤدى إلى ضياع الوطن، وهى رسالة لا أظن أن كثيرين سوف يستوعبونها فى النخب الحاكمة العربية. فقد شجعت واشنطن تمرد الشيعة فى الجنوب، ليس عطفاً وشفقة، وهى التى مكنت صدام من البطش بهم، ولا تطيق الشيعة وما يرمزون إليه، كما شجعت الأكراد على التمرد انتقاما من بطش صدام الذى أعانه عليه الساسة الأمريكيون والأوربيون. وقد ميز الأمريكيون- لأغراض تفتيتِ العراق- بين أكراد العراق وأكراد تركيا. واتخذت واشنطن من قمعهم، وهى تعلم ذلك مقدما وتخطط له، فرصة لاستمرار مخططها. يبدو أيضا أن واشنطن كانت تعلم أن العرب وحدهم هم الذين يعارضون الغزو، وقد أشاعت واشنطن أنها جاءت لتخلص الشعب العراقى كله من صدام حسين، كما تخلص الأغلبية من حكم الأقلية العربية، رغم أن هذه هى المرة الأولى التى تظهر فيها

واشنطن أن هذه الأقلية هى التى ترمز إلى عروبة العراق عبر تاريخه الطويل، فأسهمت واشنطن بذلك فى الفصل بين الشيعة والعرب، مستغلة سجل صدام الذى شجعته هى عليه. وقد عمدت سياسات الاحتلال إلى تكريس هذا الخط بعدة وسائل، من بينها الإصرار على إجراء الانتخابات التى كانت مظهرا واضحا للفصل الفعلى بين الطرفين: الشيعة الذين كافحوا لإجرائها فى موعدها متحدين فى ذلك مع الموقف الأمريكى، والسنة الذين كافحوا لعرقلتها فوقفوا بذلك ضد كل الأطراف، وبذلك كان إجراء الانتخابات انتصارا لواشنطن وللشيعة مثلما كان هزيمة بشكل ما للسنه المقاومة. وهكذا دفعت واشنطن الشيعة إلى الشعور بالتخلص من نظام علمانى قمعى، فخلطوا بذلك بين النظام والوطن، خاصة وأن صدام حسين قد أشعل نيران العداء بين القومية الفارسية الشيعية والقومية العربية خلال الصراع العسكرى بين إيران والعراق، فأصبح الشيعة يتخذون إيران وطنا وملاذا ومقصدا سياسيا ودينيا. وليس بخاف أن قضية الشيعة فى العراق والمنطقة العربية عموما قد صارت مثار جدل ونقاش، وهى قضية عامة لا يجوز التذرع بأية حساسيات بشأنها. فقد ركزت الكتابات الأمريكية على المذهب الشيعى واتجاهاته السياسية منذ الثورة الإسلامية فى إيران، حيث لم يكن مصطلح الشيعة يثير أى جدل أو التفات سوى ماتضمنته البرامج السرية الأمريكية والإسرائيلية من دراسة إشعال الفتنة بين كل الطوائف فى المنطقة العربية لتمزيقها. ولم يكن أحد يسمع عن قضية الشيعة فى الستينيات والسبعينيات، بل كان الجدل يدور حول الصراع بين الأطماع الفارسية فى الخليج والأقليات الفارسية المنتشرة فيه فى ظل طغيان المد القومى الفارسى، ويقابل الزخم القومى العربي فيما صورته الناصرية والبعث فى المنطقة، حتى انشغلت بعض أعمال الجامعة العربية بالتصدى للخطر الإيرانى (وليس الشيعى) والتحذير من الأقليات الشيعية فى دول الخليج إزاء ضعف التركيبة العربية لهذه الدول، مما دفعها

إلى استخدام الهنود والبلوش والباكستانيين وغيرهم من أبناء آسيا لموازنة التركيبة الفارسية- العربية.

وحتى عندما أصرت إيران على تبعية البحرين لها حتى عام ١٩٦٩ واختيار البحرين استقلالها فى استفتاء الأمم المتحدة، وتخلى إيران تماما منذ ذلك الوقت عن أطماعها التى استمرت قرنا ونصفا فى البحرين، كان هناك التباس بين العنصر الفارسى والشيعى فى مواجهة العنصر العربي فى البحرين، ولكن التطور السياسى فى البلاد منذ استقلالها عام ١٩٧١ وحد أبناء البحرين بصرف النظر عن انتمائهم المذهبى. وعندما انسحبت بريطانيا من الخليج فى ديسمبر ١٩٧١ كان العراق يستعد لوراثة بريطانيا ضد إيران وحلفائها الإقليميين والدوليين، فبدأت المشاكل بين العراق وإيران باسم الخليج عربيا أم فارسيا، وانتهاء بمنطقة شط العرب وقرى الحدود التى تعرضت للإجراءات الثأرية المتبادلة فى إطار الصراع بين إيران والعراق. ولكن العراق لم يثر نغمة الشيعة، ويقال أن صدام عندما بدأ غزو إيران فى سبتمبر ١٩٨٠ دفع بقواته من الشيعة لمقاتلة شيعة إيران، مثلما دفع الاتحاد السوفيتى السابق بالجنود المسلمين لديه لمقاتلة الأفغان عام ١٩٨٠ أيضاً. بل إن صدام هاجم فى دعاياته إسلام إيران أصلاً ونعتهم بالفرس المجوس، فى الوقت الذى نكل فيه بالزعامات الشيعية وقلل من أهمية المزارات الشيعية المقدسة مما أعلى من شأن مدينة قم الإيرانية على حساب النجف الأشرف وكربلاء.

أما شيعة لبنان، فلم يكن لهم قضية أو ذكر حتى وضعهم حزب الله فى وضع متميز فى تركيبة المجتمع اللبنانى بعد عام ١٩٨٢ عندما تشكل الحزب لمقاومة الغزو الإسرائيلي لبيروت.

على أن الغزو الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣ هو المفجر الأكبر لقضية الشيعة،

حيث قدرت واشنطن أن شيعة العراق يتمنون زوال المستبد العراقى العربى السنى، ولم يرتبطوا بالمقاومة العراقية السنية حتى لاتؤدى هذه المقاومة إلى عودة الحكم العربى السنى. واتخذ الشيعة موقفاً وصف بأنه مهادن للاحتلال الأمريكى متواطئ معه كما فعل الأكراد. وبدا المشهد العراقى وكأن الولايات المتحدة تحظى بدعم شيعى كردى، وهما معا يمثلان الأغلبية الساحقة للشعب العراقى فى مواجهة المقاومة العربية السنية. وفى نفس الوقت فإن خطة واشنطن فى تمزيق العراق والقضاء على العراق القديم الموحد بصورته العربية الإسلامية التقت مع آمال الشيعة والأكراد الذين استماتوا لإجراء الانتخابات، ثقة فى النصر، وهو ماحدث تماماً، حيث سارع زعماء السنة إلى اللحاق بالعملية السياسية وأيدهم زعماء الأكراد والشيعة، ليس حرصا منهم على وحدة الشعب العراقى، ولكن ضماناً لشرعية العملية السياسية، وحتى لا تبدو هذه العملية وكأنها صنيعة سلطات الاحتلال. فأصبحت التركيبة السياسية فى العراق، بعد الانتخابات، وإن كانت مؤقتة، إلا أنها تعكس شكل العراق الجديد بين الأكراد فى رئاسة الدولة والشيعة فى رئاسة الحكومة وأخيراً السنة فى رئاسة الجمعية الوطنية.

فما الذى جعل الشيعة قضية تستحق التحليل؟

هناك أربعة أسباب على الأقل جعلت قضية الشيعة تشغل بال المراقبين.

أما السبب الأول : فهو أن إيران تراهن على مستقبل المنطقة من خلالهم، وكانت أحيانا تبدى انحيازا غير مقصود ضد السنة خاصة عندما تحالفت القوات الأمريكية مع القوات العراقية فى اقتحام المثلث السنى بقسوة ووحشية وصلت إلى حد الإبادة، لم تحرك إيران وحزب الله ساكنا، بل صدرت عنهما تصريحات- إن صحت- فإنها موضع قلق شديد. والمعلوم أن إيران تعاملت مع ضرب المدن الشيعية العراقية

بشكل أذهل العامة، ولكن الحقيقة هى أن إيران شجعت جناح العقلاء فى قيادات الشيعة بقيادة السيستانى الإيرانى ضد تمرد شباب الشيعة العرب بقيادة مقتدى الصدر، لأن نجاحه كان سيؤدى إلى التحامه مع العرب السنة المقاومين فتختلط الأوراق.

أما السبب الثانى: فهو التركيز على أن العرق يضم الأكراد والشيعة والعرب السنة. فإذا كان الأكراد عرقاً مختلفا يلتقى مع بقية المجتمع العراقى، فيما كان من صفته العراقية، وفى الإسلام، فإن تفريد الشيعة يثير التساؤل حول ما إذا كان الشيعة عرقا وطائفة، أم أنها مذهب دينى، مع العلم بأن الشيعة عرب من حيث الانتماء العرقى. كذلك تأكدت هذه المخاوف عندما نص مشروع الدستور العراقى على موقع متميز للأكراد فى الحكم وعلى الأرض، بينما أشار إلى أن الذى ينتمى إلى الأمة العربية هم العرب السنة وحدهم، ولم يعلق الشيعة على ذلك. فإذا كان الشيعة يتصرفون على أنهم ليسوا عربا، وأن الافتراض هو أنهم يهمشون العرب السنة، فإن ذلك يقوى الشعور بالانتماء الشيعى من الناحية الدينية، وكأن المذهب الشيعى قد أصبح بديلا عن الانتماء الوطنى أو القومى، وأنه يقف فى مواجهة الانتماء العربى، مما يؤدى إلى مزيد من الانقسام فى العراق. فإذا صح هذا الافتراض، فإن شيعة العراق قد يصبحون منافسين لإيران، كما قد ينسقون معها. كذلك فإن شيعة العراق قد يصبحون جزءا من تركيبة شيعية أوسع يلتقى عندها شيعة لبنان والخليج وشيعة العالم بما يقدر إجمالا بحوالى مائة مليون نسمة يتوزعون فى مختلف أنحاء العالم.

الظاهر حتى الآن أن شيعة العراق لديهم حسابات مختلفة، وقد يتجهون إلى دمج الوطنى بالطائفى فيتمسكون بالطابع العراقى عصمة لهم من الاندماج عبر الإقليم فى إيران، فيصبح العراق الشيعية إزاء إيران الشيعية بحسابات مختلفة تخالطها الورقة

الأمريكية التى تخيم على سياسات العراق فيصبح السنة أقلية عراقية، أو أن يتحول الجميع إلى الاعتصام بالعراق الوطنى فى ظل فيدرالية تستجيب لرغبات الجميع، وهذا هو الاحتمال الذى يجب أن تغذيه المنطقة العربية، فيصبح الشيعة عربا قبل أن يكونوا شيعة، ويظل الإيرانيون إيرانيين قبل أن تعتنق إيران المذهب الشيعى قبل أربعة قرون فى عهد الدولة الصفوية، مما يبدو احتمال أووهم قيام دولة شيعية كبرى عبر الأوطان القومية التى يعيشون فيها.



الفصل الثاني

العرب والصراع الإيراني الأمريكي

1

العالم العربي بين إيران والولايات المتحدة

تتزايد المؤشرات على أن الولايات المتحدة تفكر في مهاجمة إيران وتتعمد الولايات المتحدة أن تكثف هذه المؤشرات ولكنها في نفس الوقت تعلن أنها لا تنوي مهاجمة إيران مما دفع الديمقراطيين في الكونجرس إلى تحذير الإدارة الأمريكية من مخاطر التحايل للقيام بمغامرة عسكرية ضد إيران تقضي على ما تبقى من هيبة الولايات المتحدة التي لا يدركها الرئيس بوش تمامًا في العراق .

وبدا المشهد في واشنطن وكأن هناك سباقًا محمومًا بين الإدارة الأمريكية لكسب الوقت وتمهيد الطريق لهذا الهجوم الذي لم يعد يخفى على كل المراقبين وبين القوى السياسية المعارضة لهذا الهجوم داخل الولايات المتحدة فانضم إلى الديمقراطيين سياسيون سابقون مثل برجينسيكي وكلينتون وكارتر وغيرهم .

وتعلم الولايات المتحدة أن مثل هذا الهجوم لا يلقى حماسًا من أوروبا ولا من أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة لما لهذا الهجوم من آثار مدمرة ولما يراه كثيرون من أنه جرعة جديدة من التورط الأمريكي لإشعال المنطقة .

ولكن أخطر مظاهر الإعداد لهذا الهجوم يكاد يلتهم المنطقة العربية حتى دون أن يبدأ هذا الهجوم ونعني به نجاح الولايات المتحدة وإسرائيل في إشعال الفتنة

الطائفية بين الشيعة والسنة . فقد أشاعت الولايات المتحدة في لبنان ما صدقه الكثيرون من قيادات السنة السياسيين والدينيين وعلى رأسهم مفتى لبنان من أن الاعتصام الذي ينفذه أنصار حزب الله هو احتلال شيعي لمدينة عمرها الزعيم السني رفيق الحريري .

ورغم أن الطبقة الحاكمة في العراق من الشيعة قد أبدت موقفًا غير موال لإيران إلا أن ذلك لم يمنع المراقبين العرب من وضع شيعة العراق وإيران في سلة واحدة . كذلك يلاحظ المراقبون العرب أن الولايات المتحدة وهي تشعل الفتنة بين المسلمين تلعب دورًا مزدوجًا ، ففي الوقت الذي تبدو فيه الولايات المتحدة معادية لإيران وتعطي الانطباع بأن عدائها لإيران يشتمل على عدائها لشيعة العراق وربما شيعة المنطقة بشكل عام ، فإن الولايات المتحدة أبدت من مظاهر التقارب مع الشيعة ما أربك المراقبين في فهم السلوك الأمريكي .

ويدرك المراقبون أن قضية الشيعة والسنة هي فتنة أرادتها الولايات تقسيمًا جديدًا للعالم العربي حتى تمتد هذه الفتنة لكل المسلمين من الشيعة والسنة في العالم بأسره فتضرب العالمين العربي والإسلامي بضربة واحدة .

ويدرك المراقبون أيضًا أن قضية الشيعة والسنة قضية مفتعلة ورغم ذلك فإن الاستجابة لها بدأت بالمواقف الرسمية العربية عندما بدأت إسرائيل عدوانها على حزب الله ، وكذلك عندما بدأ الجدل يشتد بين حزب الله والحكومة اللبنانية في لبنان ، وهم يرون الشيعة في لبنان ضد الولايات المتحدة بينما شيعة العراق يعملون على تنفيذ المخطط الأمريكي ، ولو كان الأمر يتعلق بمسألة أيديولوجية لكان الشيعة بطبيعتهم معادين للولايات المتحدة وكان السنة بطبيعتهم متحالفين مع الولايات المتحدة ، ولو كانت إيران هي مركز الولاء للشيعة في العالم لاصطف شيعة العالم

حول إيران في حربها ضد الولايات المتحدة ، ولكن هذه التقاطعات تثبت أن افتعال الصراع بين الشيعة والسنة في المنطقة يهدف إلى تحقيق مرامي المشروع الأمريكي الصهيوني .

في إطار الصراع الحالي بين إيران والولايات المتحدة وتفاقم مظاهره التي دفعت مراقبين إلى القول بأن احتمالات المواجهة العسكرية باتت عالية فإن العالم العربي قد انقسم هو الآخر بين إيران والولايات المتحدة ، وبدا هذا الانقسام على قاعدتين هما :

القاعدة الأولى : هي أن حلفاء الولايات المتحدة في العالم العربي قد اتخذوا موقفًا سياسيًا من إيران وهذا الموقف لا علاقة له بالانقسام بين السنة والشيعة .

القاعدة الثانية : هي الجدل الدائر بشدة في العالم العربي حول صعود القوة الإيرانية وانتهاجها سياسة أيديولوجية مندفعة نحو أهداف تصطدم بثوابت المنطقة العربية .

ويمكن أن نقسم المواقف في العالم العربي إزاء الصراع الأمريكي الإيراني إلى فريقين :

الفريق الأول يرى أنه يجب مساندة كل من يعادي الولايات المتحدة لأن الولايات المتحدة أساءت للعرب والمسلمين ومزقت العراق وتعرض لبنان للخطر وتساند إسرائيل مساندة تامة ، كما أنها تهدف إلى السيطرة الكاملة على العالم العربي ضمن مشروعها الإمبراطوري للسيطرة على العالم فتشعر العالم العربي بالإذلال وامتهان القضايا العربية وتقزيم هذه المنطقة واستغلال ثرواتها بشكل فاضح .

هذا الفريق يشترك مع قطاعات كبيرة على امتداد العالم ممن يرون نفس الرأي في الولايات المتحدة وخاصة اليسار الدولي الجديد الذي يريد أن يوقف عجلة

العولمة وتداعياتها الجهنمية على الدول الصغيرة والطبقات الفقيرة والتي تقودها الولايات المتحدة بنفس الشراسة التي تحدثها العولمة .

في داخل هذا الفريق هناك تيار يبرر مساندة إيران بالذات ضد الولايات المتحدة لأن إيران دولة إسلامية وأنها إذا تمكنت من الإضرار بالقوة الأمريكية فإن ذلك سيكون انتقامًا من الولايات المتحدة بسبب ما أنزلته بالعالم الإسلامي عقب ملهاة ١١ سبتمبر التي يراها بعض الكتاب العرب حقيقية .

وفي داخل هذا الفريق أيضًا هناك تيار يساند إيران لأن التحدي الأمريكي لها منذ قيام ثورتها عام ١٩٧٩ هو محاولة لقتل إرادات الدول المناهضة للولايات المتحدة فضلاً عن اعتقاد هذا التيار بأن الولايات المتحدة التي عزلت الثورة الإسلامية منذ قيامها لا يمكن أن تقبل بقيام نظام إسلامي في إيران ، قادت إليه ثورة اجتماعية اتخذت شكلاً دينيًا على ما وصف بالظلم الاجتماعي والقهر السياسي لحكم الشاه .

وتدرك الولايات المتحدة أن الثورة الإسلامية في إيران يمكن أن تغذي ثورات إسلامية أخرى في العالم الإسلامي بل إن بعض الدراسات الأمريكية ترى أن انتصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر عام ١٩٩٢ بشكل كاسح ومفاجئ وصل لأكثر من ٩٠ ٪ من المقاعد كان من آثار انتصار الثورة الإسلامية ولكن ثبت أن المحاولات السياسية الأمريكية تمكنت من تحييد آثار هذه الثورة بل واستعداء الوسط الإقليمي عليها وتصويرها وربما بمساعدة أخطاء إيرانية كثيرة على أنها سوف تلتهم الاستقرار وتهدد الأنظمة السياسية في المنطقة .

والغريب أن الإعلام الأمريكي لم يركز عند قيام الثورة الإسلامية في إيران على الانقسام الشيعي السني على ضفتي الخليج ، ولكن مراكز الدراسات الأمريكية

كانت تؤسس لذلك منذ الستينيات ولم يكن ممكنًا أن يظهر الطابع الطائفي في الصراع السياسي الذي كان قائمًا بين عبد الناصر والشاه لأن عبد الناصر كان المحرك للقومية العربية التي ادعت أنها تحمي كل أطراف المنطقة العربية ضد أي خطر قومي أو سياسي أو استعماري خصوصًا في منطقة الخليج مادام الشاه أحد أهم أعمدة الاستعمار الغربي في المنطقة . وهذا هو السبب في أن الذاكرة العربية في الخليج لا تزال تستعيد صورة عبد الناصر كلما اشتد العداء لإيران على أساس أنه رمز للقومية العربية التي يجب أن تقف في نظرهم ضد القومية الفارسية التي تلبست برداء الشيعة في إطار الثورة الإسلامية في إيران رغم أن المراقب العادي يمكن أن يدرك أن إيران هي نفسها إيران بقطع النظر عن الثوب الذي تلبسه ، لأن العوامل الحاكمة للسياسة الإيرانية لا علاقة لها بالدين ولكن الجديد هو ما ظهر مؤخرًا من تسييس للدين على الجانبين .

الفريق الثاني : في العالم العربي يرى أن مهاجمة الولايات المتحدة لإيران يجب أن تكون حاسمة حتى تسقط القوة الإيرانية التي صعدت على حساب الفراغ السياسي في العالم العربي والتي عبرت الخليج إلى الضفة العربية وارتكبت الكثير من الحماقات في وقت تشعر فيه الدول العربية بالعجز تجاه إيران والهوان تجاه الولايات المتحدة وتشعر فيه النظم العربية بالإفلاس تجاه شعوبها ولا تستطيع أن توفي بما تطالب به هذه الشعوب من بعث للقوة العربية في مواجهة كل من إيران والولايات المتحدة .

وقد سبق أن ذكرنا في مناسبات متعددة عددًا من الملاحظات السلبية التي أبداها هذا الفريق على إيران وطالبنا إيران بمراجعة هذه الملاحظات بشكل جدي إذا أرادت أن تضمن مساندة الشعوب العربية لها لأن هذه المساعدة تحتاج إلى أمرين : الأول : هو أن تثبت إيران أنها تدافع عن إرادة دولة عادية ضد الجبروت الأمريكي

وهـذا يسـعد المـواطن العـربي . والثـاني أن عليهـا أن تثبـت أنهـا تـدافع عـن القـيم الإسـلامية في مواجهـة طمسـها مـن جانـب القـوى العظمـى في العـالم وهـذا يسـعد المواطن المسلم .

ولكـن الدعايـة الأمريكيـة والصـهيونية إضـافة إلى بعـض السياسـات الإيرانيـة قدمت إيران بشكل جعل هذا الفريق على الأقل ينقسم لقسمين :

القسم الأول: يرى أن الهجوم على إيران هـو صراع على المصالح لا ناقة للعالم العربي فيه ولا جمل وأن نتيجتـه في كـل الأحـوال سـلبية بالنسـبة للعـالم العـربي ، فـإن تمكنت إيران من إلحاق الأذى بالولايات المتحدة فإن أسهمها سترتفع على حساب العـالم العـربي أو بمعنـى أدق عـلى حسـاب دول الخلـيج ، وإن هزمـت إيـران هزيمـة ساحقة فإن ذلك سيقضي على كل أمـل في العـالم العـربي لإضـعاف القـوة الأمريكيـة التي سيطرت على مقاليد الحياة والأمور البسيطة في المنطقة العربية ، يكفـي أن نشـير إلى أن هذه الهيمنة قد وصلت لحد محاولة تكميم الأفواه وكسر الأقـلام في الصـحف العربية التي تنتقد السياسـات الأمريكيـة بـل وصـل الفجـور السياسي إلى درجـة أن السفير الأمريكي في القاهرة كتب مقالاً بصحيفة الأهـرام عـام ٢٠٠٥ ينتقـد فيـه مـا أسماه بتطرف الكتاب المصريين الذين ينكرون أن القاعدة هي التي شنت هجوم ١١ سبتمبر وفات السفير الأمريكي أن يتهم هؤلاء بأنهم أعضاء في القاعدة .

القسم الثاني: من هذا الفريق يتمنى هزيمة إيران على عدة مستويات لأنـه يعتقـد أن صعود القوة الإيرانية سيؤدي إلى أضرار فادحة في منطقة الخليج حيـث يعتقـد أن إيران تسيطر على كل الشيعة في المنطقـة وأنهـا تسـتطيع أن تحـرك هـذه الطائفـة وقـتما تشاء ضد الأوطان التي ينتمون إليها وعلى أساس أن ولاء الشيعة في منطقـة الخلـيج بحكم نظرية الإمامة هي للإمام الأكبر في طهران وليس للحاكم العربي في دولهم .

وقد لاحظ هذا القسم أن بعض التصرفات في بعض الدول في الخليج تتم بفتاوى من المرجعية الشيعية الكبرى في العراق وإيران وقد حدث ذلك بالنسبة لشيعة البحرين وشيعة لبنان حيث أقر السيستاني أن مشاركة شيعة البحرين في الانتخابات يتفق مع أصول المذهب ، وبصرف النظر عما إذا كانت مشاركتهم قد تمت استجابة لقناعة سياسية أو قناعة مذهبية فإن هذه الفتوى قد عمقت الاعتقاد لدى هذا القسم بما خلص إليه . ويرى هذا القسم داخل الفريق الثاني أن هزيمة إيران يمكن أن تتم على ثلاث مستويات :

الأول : ضرب المنشآت النووية الإيرانية لأن القدرات النووية الإيرانية هي أهم ورقة سياسية لسطوة إيران في المنطقة وفقًا لرؤية هذا القسم من أقسام الرأي العام في العالم العربي والذي يرى أن إيران أخطر من إسرائيل رغم أن هذا التصوير ينطوي على مبالغة كبيرة وعلى تضليل سبق لنا أن فصلناه في مناسبات أخرى لأن إسرائيل هي رأس المشروع الصهيوني الذي ينفي الوجود العربي تمامًا وأن محطات السلام العربية الإسرائيلية هي محطات في سبيل استكمال المشروع الصهيوني .

المستوى الثاني: من الهزيمة الإيرانية هو ضرب القدرات العسكرية الإيرانية إلى جانب القدرات النووية لأن إيران بقدراتها العسكرية التقليدية تستطيع أن تمارس هيمنة على دول الخليج ، وأن ضرب هذه القدرات سوف ينهي كل الممارسات السلبية التي تمارسها إيران في المنطقة .

أما المستوى الثالث : فهو القضاء على النظام السياسي الإيراني وإحلال نظام مدني لا يتضمن تلك الرسالة الأيديولوجية الإسلامية عمومًا أو الشيعية بشكل خاص .

والحق أن هذا الفريق الثاني يأخذ على إيران عددًا من المثالب أهمها ما أذاعته

الولايات المتحدة في إطار حملتها الإعلامية على إيران من أن إيران سلحت ميليشيات شيعية لضرب سنة العراق وأن النظام الحاكم في العراق قد تعاون مع إيران في هذا الشأن وهم في نهاية المطاف أبناء لدولة عربية عريقة بصرف النظر عن طائفتهم .

والحق أيضًا أن نشر الولايات المتحدة لوثائق وأدلة في هذا الشأن ليس حبًا في سنة العراق ولكن هذه الأدلة أوضحت أن أسلحة إيران قد تسببت في قتل عدد كبير من الأمريكيين وهو ما يسعد هذا الفريق مرة أخرى .

أما المأخذ الثاني فهو ما يتردد بشدة من أن إيران تقوم بنشر المذهب الشيعي في عدد من الدول الإسلامية ومن بينها مصر وجزر القمر . إذا صح ذلك فإن إيران تكون قد أخطأت خطئًا فادحًا في حق نفسها وفي حق الإسلام والمسلمين كما أخطأت في حق الدول التي تقوم فيها بنشر هذا المذهب لأن المعلوم أن المذاهب الإسلامية هي اجتهادات فقهية وأن الذي يجب نشره هو عقيدة الإسلام وليس أحد المذاهب في العالم الإسلامي لأن نشر إيران لهذا المذهب لن يؤدي إلى غلبة هذا المذهب على مذاهب السنة الأخرى بين أكثر من مليار ونصف مسلم في العالم ، وليست إيران قيمًا على المذهب الشيعي ولكن قيامها بهذا العمل لا علاقة له بالدين وإنما هو استخدام للدين وإضرار به لأهداف سياسية ولا يمكن أن يفهم هذا الموقف الإيراني إلا في إطار نظرية الإمامة ، فإذا صح ذلك حقًا وصح أن نظرية الإمامة لا تزال جزءًا حقيقيًا من المذهب الشيعي فإن نشر المذهب الشيعي عن طريق إيران يعني تحويل المواطن الأجنبي إلى الحكومة الإيرانية وهذا يعد أخطر من التجسس كما يعد عملاً فاضحًا ضد الحكومة الإيرانية .

وقد لوحظ أن الحكومة الإيرانية لم تنف ما تردد في هذا الشأن بل الأكثر من ذلك فإن الشيخ القرضاوي عندما اتهم إيران بذلك صراحة في مؤتمر الدوحة لم

يتمكن الوفد الإيراني من أن يعقب تعقيبًا مقنعًا على ما أثير في هذا الشأن . ونعتقد أن هذه السياسة تلحق أفدح الضرر بالسياسة الإيرانية كما أنها من أهم عوامل الفتنة بين الشيعة والسنة خصوصًا وأن المسلمين السنة لا يكترثون مطلقًا بمذاهبهم ولا يعلمون إلى أي مذهب تسير دولهم .

وهكذا فإن سلوك إيران في العراق والملاحظات التي تتردد حول علاقتها بشيعة لبنان وكذلك سياسة التشييع في العالم الإسلامي تحتاج إلى إيضاح من الحكومة الإيرانية ، صحيح أن العراق كان خطرًا دائمًا في عصر صدام حسين على الأمن القومي الإيراني وأن سقوط صدام كان نعمة من السماء ولكن العراق في نهاية المطاف دولة عربية ولا يمكن أن نقبل القضاء على طابعه العربي من جانب كل من الولايات المتحدة وإيران .

والحق أيضًا أننا لم نجد حرجًا في مساندة إيران لسوريا وحزب الله وحماس مادامت هذه الأطراف قد تخلى عنها العالم العربي وأنها تحتاج إلى نصير في مواجهة الهجمة الأمريكية الصهيونية ولم نكن مطلقًا من الفريق الذي كان ينتقد التحالف بين إيران وبين الأطراف العربية لأن هذا النقد كان يغفل هذا التحالف الآثم بين إسرائيل والولايات المتحدة. ولكن لا يمكن أن نجرى تسوية بين أخطاء إيران في العراق وسياسة التشييع وبين موقفها من الأطراف العربية الثلاثة مما أدى إلى خلط الأوراق ودفع الفريق الثاني إلى إنكار الدعم الإيراني لهذه الأطراف بل واعتباره دعمًا انتهازيًا .

وطبيعي أن إيران لا تقدم الدعم لهذه الأطراف لوجه الله تعالى وإنما تقدمه لمساندة أطراف تقف حجرة عثرة في وجه المشروع الصهيوني الأمريكي وحتى يكون لإيران وزن في تسوية القضايا التي تتعلق بهذه الأطراف وهذا أمر مشروع في

التحليل السياسي لأن الدول مهما كانت خيرة فإنها تعلي مصالحها الوطنية السياسية على طابعها الديني أو المثالي وكانت النظرية الواقعية هي السائدة منذ نشأة المجتمعات البشرية وستظل كذلك إلى نهاية الخليقة .

ومن ناحية أخرى فإن موقف العالم العربي من الصراع الإيراني الأمريكي وإن كان متأثرًا بشكل عام على المستوى الرسمي والشعبي ببعض السياسات الإيرانية التي يجب أن تهتم بها القيادة الإيرانية بسبب خطرها الجسيم على المصالح الإيرانية وعلى صورة إيران في العالم العربي فإن العالم العربي يجب أن يدرك ثلاثة حقائق أساسية في التحليل بعيد المدى :

الحقيقة الأولى: أن إيران كانت هدفًا لكل القوى بما في ذلك المنطقة العربية وكان العراق رأس الحربة ضد إيران ، كما أن العالم العربي ظل على موقف العداء أو الترقب أو الحذر أو الابتعاد عن إيران تمشيًا مع السياسات الأمريكية المعادية لإيران ، وهذه الحقيقة يجب أن تظل ماثلة في التحليل حتى نفهم أسباب السلوك الإيراني تجاه القضايا الشائكة في العالم العربي ، وبطبيعة الحال فإن هذه الحقيقة ليست مبررًا للسلوك الإيراني ولكنها دافع على فهم هذا السلوك من الناحية النفسية.

الحقيقة الثانية: هي أن عزلة إيران في المنطقة والصد العربي عنها والتردد من جانب بعض الدول مثل مصر لأسباب قد تكون مشروعة من وجهة النظر المصرية ولكنها ليست مفهومة من وجهة النظر الإيرانية قد أدى بإيران إلى أن تبحث عن مصادر القوة وأهمها التحالف الاقتصادي العميق مع الصين وروسيا والهند ، والتحالف السياسي مع أمريكا اللاتينية وهي لا تثق في أن العالم العربي في مرحلة الهيمنة الأمريكية يمكن أن يكون أحد حلفائها وربما كان هذا هو السبب في أن الدبلوماسية الإيرانية تجاه العالم العربي ليست واضحة ولا تتسم بالحماس والمبادرة

رغم أن إيران أحوج ما تكون إلى التقارب مع العالم العربي وتجفيف أسباب النقد لها لأن الشعوب العربية تقبل على إيران ربما نكاية في الولايات المتحدة .

وقد سجل المراقبون أن نجاح أحمدي نجاد الكاسح في انتخابات الرئاسة الإيرانية وكذلك تصريحاته ضد اليهود والهولوكوست قد أكسبه شعبية طاغية بلغت وفق قياسات الرأي العام في جريدة الواشنطن بوست أكثر من ٨٠ ٪ من مسلمي العالم، ولولا أن الولايات المتحدة والإعلام الدولي قد تصدى لهذه التصريحات بمختلف الوسائل لما أبدت الحكومات العربية تحفظًا عليها وامتعاضًا من آثارها خاصة بعد أن نشط الصهاينة العرب في محاربة هذه التصريحات التي تدخل في باب الإثارة الضارة دون أن تقدم حلولاً لمشكلة إسرائيل سوى التهديد بإزالتها من خريطة العالم وهو ما يرى المراقبون أنه هو السبب الحقيقي أو الذريعة الأساسية التي اتخذتها الولايات المتحدة كخلفية رئيسية لعدائها لإيران .

ويتفرع عن هذه الحقيقة أن العالم العربي خصوصًا المستنيرون فيه يدركون أن الصراع الأمريكي الإيراني قد يتحول إلى تحالف إيراني أمريكي تدخل فيه إسرائيل لأن الصراعات عادة تدور حول مصالح فإذا كانت التسوية هي التي تحقق المصالح فإن الصراع يتحول فورًا إلى موائد المفاوضات وقد رأينا أحدث نموذج في ذلك في الملف النووي الكوري يوم ١٣/ ٢/ ٢٠٠٧ وإذا تم التفاهم الأمريكي الإيراني فإن منطقة الخليج سوف يتم اقتسامها بين الطرفين خاصة وأن الصراع بينهما لا يدور على قضايا أساسية بقدر ما يدور حول نصيب كل منهما من القسمة وإذا حدث فقد يتوارى الأمل في إحياء المنطقة العربية وتنكسر كل الجهود الرامية حتى على المستوى الفكري إلى إحياء العالم العربي .

الحقيقة الثالثة : هي أن إيران جزء من ثقافة المنطقة العربية وأن اللغتين الفارسية

والعربية أعضاء في أسرة لغوية واحدة ولذلك فإن التأثير الإيراني الثقافي الذي تغنت به أم كلثوم وغيرها لا يقل عن تأثير الثقافة العربية على الثقافة الإيرانية ، واعتزاز الإيرانيين بأنهم جزء من ثقافة العالم العربي رغم اعتزازهم بثقافتهم الفارسية التي يرون أنها أكثر رقيًا وإلهامًا من الثقافة العربية ، وهذه حقيقة تاريخية ولكن تفوق الثقافة العربية على الثقافة الإيرانية سببها الرئيسي هو القرآن الكريم الذي حسم قضية التفاضل بين اللغات والثقافات . كما يدرك الإيرانيون أن العالم العربي هو جسد الإسلام وأنه بغيره يكون الإسلام هائمًا بحاجة إلى قلعة تأويه ولذلك فإننا نأمل أن تزيل إيران ما يحول بين التقارب الإيراني العربي لأن هذه النتيجة المترتبة على هذه الحقيقة تستند على حقيقة أخرى وهي أن الصراعات بين القوى الإقليمية وبين القوى الدولية هي صراعات مؤقتة وأن بناء المستقبل والاستقرار يجب أن يقوم على بناء ثقافة جديدة بين العالم العربي وبين إيران تتسامى فيه على كل الطموحات السياسية المحدودة التي تؤدي إلى سلوكيات إجرامية في حق العالم العربي وفي حق المسلمين عمومًا .

ولسنا بحاجة إلى القول بأن من أهم مزايا التقارب العربي الإيراني هو تسوية مشاكل المنطقة في العراق ولبنان والجزر العربية في الخليج والعلاقات مع دول الخليج بشكل عام .

| 2 |

العرب واحتمالات الانتشار النووي في المنطقة

حرص العالم منذ قنبلة هيروشيما ونجازاكي على أن يحصر السباق النووي بين العملاقين السوفيتي والأمريكي وقد أجمع المحللون على أن توازن الرعب النووي قد قدم خدمة هائلة في منع المواجهات المسلحة بين العملاقين وكان العملاقان يتفاديان المواقف التي تهدد بهذه المواجهة كما حدث في مناسبات قليلة وأهمها إعفاء الجنرال ماك أرثر من منصبه قائدًا عامًا للقوات الأمريكية في المحيط الهادي عندما أصر على ضرب الصين بالقنابل الذرية ، وكذلك الحوار الساخن الذي دار في عهد الرئيس كينيدي في أزمة خليج الخنازير ، وتعلم العملاقان درسًا وهو أن سلام العالم يتوقف على سلوكهما فاتجها إلى وجهتين الأولى تأكيد الاتصال المباشر عن طريق الخط الساخن حتى لا تترك نوايا الطرفين لنوازع سوء النية أو التكهنات ، وأما الطريق الثاني فهو التنفيس عن التوترات بين الطرفين عن طريق حروب الوكالة التي عهد بها إلى دول العالم الثالث ولذلك فإن مئات الحروب التي اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية كان مسرحها العالم الثالث وكانت كلها مدفوعة بواحدة من القوتين العظميين .

ثم أصر المجتمع الدولي بعد ذلك على حصر أعضاء النادي النووي في عدد قليل وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق والصين الشعبية وبريطانيا

وفرنسا أي الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن ، وكان معلومًا أن منع الانتشار النووي خارج إطار هذه الدول أمر لا خلاف عليه .

ولكن الاحتقان في العلاقات الإقليمية قد أدى إلى محاولة بعض القوى الإقليمية حيازة السلاح النووي على أساس أنه يضمن التوازن ويترك الباب مفتوحًا أمام موازين القوى العسكرية التقليدية . فبدأت الهند بإدخال السلاح النووي ردًا على دخول هذا السلاح إلى الصين وحتى يكون هذا السلاح رادعًا لباكستان في الصراع التاريخي بين الهند وباكستان رغم أن الهند هي التي هزمت باكستان ثلاث مرات في أعوام ١٩٤٧ و ١٩٦٥ و ١٩٧١ عندما تمكنت الهند من فصل بنجلاديش عن باكستان . وإذا كانت الدول الخمس النووية قد اعتمدت معاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية لعام ١٩٦٨ ثم طورتها عام ١٩٩٥ لتكون أبدية وتتم مراجعتها في مؤتمر المراجعة مرة كل خمس سنوات ، فإن الهدف من هذه المعاهدة هو ضبط سلوك الدول النووية وغير النووية حيث أقامت المعاهدة توازنًا دقيقًا يكفل إذا حسنت النوايا صيانة السلم الدولي من مخاطر السلاح النووي .

من ناحية أخرى فإن إسرائيل تسرب منها وعنها أنها تحوز السلاح النووي ولم يحجب هذه الحقيقة أنها سجنت أحد مواطنيها وهو فانونو لعدة سنوات لأنه تجرأ على نشر معلومات حقيقية عن مفاعل ديمونة الذي كان يعمل فيه ، ولكن الدول العربية لم تلتفت إلى القنبلة الإسرائيلية في البداية ، بل إن كل الدول العربية قد انضمت إلى اتفاقية منع الانتشار النووي وحتى مصر التي انضمت إلى الاتفاقية عام ١٩٨٦ لم تتحفظ بسبب رفض إسرائيل الانضمام وسرى الاعتقاد لدى المحللين بأن انضمام مصر لهذه المعاهدة كان جزءًا من صفقة السلام المصرية الإسرائيلية . أما باكستان فإنها طورت السلاح النووي ووسائل حمله وحققت بذلك نقلة ضخمة في ميزان القوة مع الهند ثم

تبعتها كوريا الشمالية ثم ظهر بعد ذلك الملف النووي الإيراني .

لاشك أن العالم العربي لم يهتم بالقنبلة الإسرائيلية رغم كل ما نشر وحتى رغم اعتراف أولمرت فيما أسماها سقطة لغوية ، كما أن العالم العربي لم يكترث بقنبلة كوريا الشمالية ، فضلاً عن أنه لم يكترث أيضًا بتطورات الملف النووي الإيراني الذي ظهر منذ أكثر من ثلاث سنوات حيث ظل هذا الملف يشكل نزاعًا ثنائيًا بين إيران من ناحية والغرب من ناحية أخرى ، ولم يعلن العالم العربي حتى رأيه في هذه القضية ، وفجأة بدأ العالم العربي في أركان متفاوتة يردد أن الخيار النووي الإيراني خطر على المنطقة العربية بل ظهرت مقاربات ومقارنات بين البرنامج النووي الإيراني والإسرائيلي مع الفارق بينهما وهو أن النووي الإسرائيلي جاهز للعمل أما النووي الإيراني لا يزال في طور تخصيب الوقود النووي وأن إيران تؤكد على قبول كل الضمانات الدولية والتفتيش وتؤكد على أنها لا تريد الحصول على سلاح نووي ، كما أنه من المعلوم أن إيران طرف في معاهدة منع الانتشار النووي بينما إسرائيل ترفض النداءات الدولية المتكررة خصوصًا العربية بالانضمام لهذه المعاهدة .

هذا التطور التاريخي يطرح عدة تساؤلات : لماذا صحا العالم العربي فجأة وأعلنت دول مجلس التعاون أنها تدرس الخيار النووي كما أعلنت مصر وتونس والجزائر ذلك ، وهل هذه النوايا العربية إبراء ذمة أم أنها ناجمة عن ظروف سياسية تتعلق بمجمل العلاقات الأمريكية العربية ، هل الخيار النووي العربي سيكون خيارًا جماعيًا أم سيكون خيارًا لكل دولة حسبما تشاء ، وهل الخيار النووي ممكن مع الانضمام لمعاهدة الانتشار ، وهل هو ممكن في ظل التكاليف الباهظة للبرامج النووية وهل هو موجه إلى إسرائيل أم إلى إيران وما هي وظيفة السلاح النووي على وجه اليقين ، وأين الدول العربية من بين ٤٧ تستخدم التكنولوجيا النووية ، ولم يثر أحد السؤال حول

تحول استخداماتها السلمية للطاقة النووية إلى سلاح نووي عسكري .

هذه الأسئلة وغيرها بالإضافة إلى الآثار البيئية الخطيرة المترتبة على الاستخدام السلمي للطاقة النووية لم تظهر إلا مع الملف النووي الإيراني وفي مرحلته الحالية ، فهل إيران أخطر من إسرائيل أم أن الحديث عن القدرة النووية العربية موجه إلى غير العرب إيرانيًا كان أو إسرائيليًا ، وهل صحيح أن الحديث عن الخيار النووي العربي مرتبط بالتعبئة الأمريكية والحشد الدبلوماسي والإعلامي ضد إيران، وماذا لو اتفقت إيران والولايات المتحدة ؟ ما هو مصير هذا الخيار العربي ولماذا لم تعترض إسرائيل عليه ؟

أسئلة كثيرة تحتاج إلى بيان ولكنني أظن أن الخيار العربي ليس جادًا وأن موقف العالم العربي من القوة النووية الإسرائيلية كان موقفًا سطحيًا ، وقد عالجت ذلك بالتفصيل في مناسبات أخرى ، وقد آن الآوان لكي يتخذ العالم العربي موقفًا واضحًا مدروسًا ومنطقيًا يفهمه العالم وألا يعبث بهذا الملف كما يتم العبث بملفات عربية كثيرة خصوصًا وأن أهمية السلاح النووي من الناحية السياسية لم تعد كما كان أيام الحرب الباردة اللهم إلا إذا كانت الدولة تريد الانتحار فتقضي على نفسها وعلى غيرها . ولا أظن أن العالم العربي يستطيع أن يطور أسلحة نوعية تكتيكية كما فعلت إسرائيل أو أن يستخدمها ضد إسرائيل كما تستخدم إسرائيل هذه الأسلحة ضدنا لأن العالم العربي كان أكد التزامه بالسلام كخيار استراتيجي وهو يعني أن إسرائيل لم تعد طرفًا في معادلة العداء من الجانب العربي .



3

الصراع الأمريكي الإيراني وأثره على أمن الخليج

يركز المراقبون منذ عام ٢٠٠٣ على ملف العلاقات الأمريكية الإيرانية تحت عنوان الملف النووي الإيراني وقد تبين للجميع أن الملف النووي الإيراني لا يعدو أن يكون عنوانًا لصراع أكبر متعدد الجوانب بدأ منذ القطيعة الإيرانية الأمريكية في الرابع من نوفمبر عام ١٩٧٩ المعروفة بأزمة الرهائن الأمريكيين أي أن القضية تتعلق بمجمل العلاقات الأمريكية الإيرانية ، فالحكم الإسلامي في إيران يريد أن يفرض نفسه ووجوده وأن يعترف به كطرف في المعادلات الإقليمية بعد أن كانت إيران الشاه طرفًا أساسيًا في معادلة القوة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وفي إطار المصالح الأمريكية والغربية في الخليج ، وقد أرادت إيران أن تلعب دورًا محوريًا سواء في إطار السياسات الأمريكية أو خارج هذه السياسات ولم يكن ممكنًا أن تلعب هذا الدور في إطار السياسات الأمريكية لسبب بسيط وهو التركيز الطاغي في الخطاب السياسي والإعلامي الإيراني على معاداة الولايات المتحدة بكل ما تحمله هذه الكلمة من رموز وتداعيات ولذلك كان الاقتراب الإيراني من الولايات المتحدة تحوطه الكثير من الألغاز .

والحق أن الولايات المتحدة قررت إزالة النظام الإيراني وحاولت تطويعه تمهيدًا

لإزالته وهي لا تطيق أن ترى نظامًا إسلاميًا يحقق بعض النجاحات ويتقاسم السلطة معها ويجلس معها على مائدة واحدة ، فقد ألفت الولايات المتحدة أن تعامل دول المنطقة كسبايا ولم تتعود أن تتعامل مع أي طرف على سبيل التفاوض والأخذ والعطاء لأن الولايات المتحدة تعلم جيدًا أن الصراع بين إيران والولايات المتحدة معادلة صفرية وأن كل نفوذ تحصل عليه إيران سوف يكون خصمًا من النفوذ الأمريكي ومادامت الولايات المتحدة تعاني مزاجًا حادًا في التفرد والشيفونية فإنها ترفض أن يشاركها أحد في هذا العالم على اتساعه ولذلك لا يجب أن تخالجنا أي أوهام في أن الولايات المتحدة تريد في نهاية المطاف إزالة النظام في إيران ، وربما يرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى أمرين :

الأمر الأول : بعض الشكوك التي تشعر بها دول المنطقة للقوة الإيرانية وحاجتها إلى الحماية من هذه القوة بعد التجربة المريرة مع القوة العراقية عضو الأسرة العربية .

الأمر الثاني : هو أن إسرائيل بعد أن سيطرت بشكل واضح على معادلات القوة في المنطقة العربية لا تريد قوة إيرانية تتغذى على العداء لإسرائيل والحركة الصهيونية ولذلك نعتقد أن الخطاب السياسي للرئيس نجاد قد نجح جماهيريًا وسجل موقفًا تاريخيًا ولكنه أظهر أداءً متواضعًا في حسابات القوة والسياسة لأن هذا الخطاب وإن لم يكن جديدًا تمامًا إلا أن صدوره عن إيران بالذات وعلى أعلى مستوى وبشكل واضح قد داعب عواطف الشارع الإسلامي الذي تختلط عنده الاعتبارات الدينية بالسياسية بحالة العجز التي تعانيها النظم الرسمية في العالم الإسلامي وهذا الخطاب قد جدد مخاوف اليهود التاريخية التي عاشت عليها الحركة الصهيونية حتى الآن ، ولذلك لا يخالجنا أي شك في أن إسرائيل سوف تقوم بنفسها بتحجيم القوة الإيرانية ما لم تنب عنها الولايات المتحدة لأن إسرائيل تؤمن بالمثل

العربي القائل : « ما حك جلد مثل ظفرك فتول أنت جميع أمرك »، وتؤمن بأن قوتها الذاتية هي درع حمايتها ، كما تؤمن بالمثل الصيني القائل بأن الماء البعيد لا يروى ظمئًا ، كما تدرك إسرائيل أن إيران لا تستطيع أن تضحي بالأوراق التي تغذي قوتها في المنطقة وهي معاداة الصهيونية وإسرائيل والولايات المتحدة في سبيل التوافق العلني بين إسرائيل وإيران .

في إطار هذه الخلفية العامة انتعشت البورصات السياسية التي ركزت على احتمالات الصراع العسكري بين إيران وكل من إسرائيل والولايات المتحدة كما نشط المعلقون في تصور مخاطر الصراع العسكري مثلما يتصور المراقبون العرب مخاطر الوفاق الأمريكي الإيراني على المنطقة العربية في الوقت الذي تخلو فيه المنطقة العربية من قوة حقيقية تضارع القوة الإيرانية لأن المسألة في نهاية المطاف هي تدافع بأسلحة العصر بقطع النظر عن التفاهات والدعايات التي تروج للرابطة الإسلامية أو الطائفية أو غيرها فالأصل في نظرية الصراع هو المصلحة كما تراها القيادة السياسية لكل دولة وأن تقاطع المصالح أو تصارعها قد يلتحف ببعض المقولات الدينية أو الأخلاقية أو القانونية .

فما هو أثر الصراع العسكري أو التوافق السياسي بشكل محدد على أمن الخليج ؟

أزعم أن اهتمامي بأمن الخليج يرجع إلى العقود الأربعة الماضية عندما بدأت دراسة الماجستير حول اتحاد الإمارات التسع الذي انفرط عقده في آخر اجتماع للمجلس الأعلى لشيوخ المنطقة في أكتوبر ١٩٧٠ وهو الذي مهد لاستقلال البحرين وقطر وإنشاء دولة الإمارات العربية خلال عام ١٩٧١ ، كما ظل الاهتمام بقضية أمن الخليج منذ ذلك اليوم متصلاً .

وأعتقد أن دراسة أثر الصراع الأمريكي الإيراني على أمن الخليج لابد أن يبدأ

بتحديد معنى أمن الخليج فقد كان معنى أمن الخليج في العصر البريطاني هو تحقيق السلام البريطاني « PAXA BRITANICA » أي ضمان السيطرة الكاملة لبريطانيا العظمى على كل مقدرات منطقة الخليج ، وبلغ النفوذ البريطاني غايته في العقد الأخير من القرن ١٩ عندما أبرمت بريطانيا اتفاقات مع مشايخ الخليج لتأكيد وصايتها على شؤون المنطقة عرفت بالاتفاقات المانعة أي التي تمنع غير بريطانيا من أن يتدخل في أي شأن خليجي دون إذن بريطاني .

وعندما رحلت بريطانيا عن الخليج في عام ١٩٧١ رحيلاً نهائيًا أصبح لأمن الخليج معنى مزدوج فقد كان يعني من ناحية المحافظة على استقرار النظم في الخليج الذي انضمت إليه في هذه الحالة المملكة العربية السعودية وضمان تدفق البترول ومنع الأنشطة التخريبية الفكرية أو الحركية اليسارية في هذه الدول ، ومن ناحية أخرى كان يعني المحافظة على رؤية هنري كيسنجر للعلاقات الثلاثية بين إيران والسعودية والولايات المتحدة لحماية الخليج بالمعنى السابق إيضاحه من المد الشيوعي السوفيتي أو الصيني .

والملاحظ أن المد القومي كان في العصر البريطاني من أهم مهددات أمن الخليج بالمفهوم البريطاني ولكن هذا المد بدأ في الزوال بعد ضرب المشروع القومي في مصر عام ١٩٦٧ فأفسح المجال لمفهوم عملي يخدم مصالح الدول الرئيسية في زمن الحرب الباردة ومصالح دول الخليج من ناحية أخرى ، ولكن الملاحظ أيضًا أنه بعد رحيل بريطانيا بدأ يظهر البعد العربي في أمن الخليج عندما تقرر إنشاء اتحاد الإمارات العربية الذي بدأ باتحاد دبي وأبو ظبي عام ١٩٦٨ ثم استكمل عام ١٩٧٢ بانضمام رأس الخيمة إلى الإمارات الست .

وقد دخل أمن الخليج إلى مرحلة ثالثة بعد الثورة الإسلامية في إيران وبدايات

تآكل النظام الإقليمي العربي الذي بدأت تباشير ازدهاره عام ١٩٧٣ ولكن هذا الظهور اضمحل وذبل عام ١٩٧٩ باتفاقية السلام المصرية -الإسرائيلية التي كان استعجالها ردًا في الواقع على الثورة الإسلامية في إيران .

وهكذا شهدت المرحلة الثالثة بداية التباين في مفهوم أمن الخليج وخاصة استبعاد إيران والعراق من هذا المفهوم بعد أن كان العراق مهددًا لأمن الخليج من الناحية الأيديولوجية وكانت إيران الشاه تدافع عنه بالمفهوم الذي سبق إيراده . وقد ترتب على الصراع العراقي الإيراني الذي يعزى أساسا إلى التوتر الإيراني الأمريكي مخاطر كبيرة لأمن الخليج سواء من حيث أن الخليج ممر مائي تجاري وممر أساسي لحاملات النفط ومصدر للثروة المائية لدول الخليج كما أن أمن الخليج كان يعني توفير الاستقرار للدول العربية المطلة عليه في مواجهة ما سمي يومها بخطر تصدير الثورة من إيران إلى الضفة العربية للخليج .

وبصرف النظر عن مدى صحة هذه المقولات فإن الثابت أن إيران قد أصبحت من مهددات أمن الخليج كما أنها أصبحت تطالب بمفهوم مشترك لأمن الخليج لم يكن ممكنًا تنفيذه لأن الصراع الأمريكي الإيراني كان لا يزال قائمًا وأن شعور دول الخليج بالحماية الأمريكية ضد هذا الخطر الإيراني كان جزءًا من الثقافة السياسية لهذه الدول ، ولكل هذه الأسباب فإن دول الخليج كانت تحاول أن تعيد مصر بأسرع ما يمكن للساحة العربية ولو بكل التزاماتها والمآخذ عليها بسبب اتفاقية السلام مع إسرائيل . ولكن عودة مصر للساحة العربية أعقبتها بشهور قليلة مرحلة رابعة لأمن الخليج خاصة وأن مصر كانت تعتبر أن الأمن القومي المصري يبدأ من الشاطئ العربي للخليج وكان ذلك مفهومًا رومانسيًا لا تسنده عوامل القوة المصرية ولا القراءة الصحيحة لواقع المنطقة في ذلك الوقت .

وعندما قام العراق بغزو الكويت أسقط ما تبقى من أمل في إنشاء شرنقة للأمن القومي العربي تقف لحماية الخليج من إيران وأدخل العراق كمهدد حقيقي لأمن الخليج بعد أن كان ظل العراق الأيدلوجي يهدد الفكر والسياسة في دول الخليج . ونقصد بدول الخليج النظم الحاكمة فيها لأن شعوب الخليج قد توزعت بين كل التيارات في المنطقة العربية ، فإذا كان البعث خطرًا على حكومات دول الخليج فقد كانت شرائح من دول الخليج تعتنق فكر البعث وتعتبر انتشاره اضمحلالاً لتبعية الخليج للهيمنة الأمريكية .

وهكذا أصبح أمن الخليج يعني أمن كل دولة خليجية على حدة ولم يفلح مجلس التعاون الخليجي وقوات درع الجزيرة رغم كل ما بذل لتحرير الكويت والتضامن معها في إرساء مفهوم متماسك لأمن الخليج عن طريق الدول الخليجية كما انهار البعد العربي تمامًا عند دراسة هذا المفهوم ، وقد تواكب عن غزو العراق للكويت بكل هذه التداعيات مع تحول النظام الدولي وانتهاء الحرب الباردة وانفراد الولايات المتحدة بقمة القرار الدولي ولذلك يجب التساؤل حول معنى أمن الخليج في حالتي الصدام والتوافق الإيراني الأمريكي بعد أن رأينا كيف أن تاريخ أمن الخليج ينقسم إلى حقب ثلاثة رئيسية : الحقبة الأولى : هي الحقبة البريطانية ، والثانية: هي حقبة إيران الشاه ، والثالثة : هي الصراع الأمريكي الإيراني منذ عام ١٩٧٩ حتى هذه اللحظة .

نحن نعتقد أن هذا الموضوع يحتاج لتفصيل كثير ولكن اعتبارات المقال تقتضي أن نركز على معنى أمن الخليج في الحالتين المطروحتين .إذا وقع صدام عسكري في الخليج بين إيران والولايات المتحدة فإن احتمال القضاء على القوة الإيرانية تمامًا وهو احتمال نادر سوف يمكن الدول العربية في الخليج من الاستمرار في علاقاتها

الأمريكية على أساس أن الولايات المتحدة هي التي توفر مقومات الأمن في الخليج ولحكوماته خصوصًا إذا امتزج ذلك بمحاولات إقامة الديمقراطية والانفتاح السياسي في هذه الدول ، ولكن إذا تمكنت إيران من الرد على الهجوم الأمريكي فإن أمن الدول والنظم في المنطقة سوف يتعرض للهلاك كما يترتب على ذلك صعود إيران وقدرتها على السيطرة الاقتصادية والمادية والنفسية والسياسية على منطقة الخليج .

أما إذا تمت التسوية السياسية بين إيران والولايات المتحدة فإن واشنطن سوف تطلق يد إيران في المنطقة ولكن بالقدر الذي يحافظ على المصالح البترولية والنفوذ السياسي للولايات المتحدة وقد يتضمن الاتفاق ترتيب العلاقات الإسرائيلية الإيرانية مما يسمح بانفتاح خليجي إسرائيلي أوضح .

فما الذي يخدم أمن الخليج من الناحية البراجماتية ، مقصودًا على أنه يعني استمرار التطور السياسي والاقتصادي في منطقة الخليج والمحافظة على الموارد البترولية والمحافظة على السلامة الإقليمية لهذه الدول ونظمها والاستقرار الاجتماعي والسياسي فيها وتأمين هذه الدول من أي عدوان عليها ؟

نعتقد أن الصدام العسكري قد يقضي على كل شيء فيصعب أن نرى بعده أي مستقبل لأي مفهوم للأمن في المنطقة ، ولكن التوافق الإيراني الأمريكي سوف يضمن هذا الأمن بالمفهوم السابق ، والضمانة الأساسية له هي استمرار هذا التوافق بحيث يتم تهديد هذا الأمن كلما اختل هذا التوافق .

4

العالم العربي والتسلح النووي الإيراني

الملاحظ أن الأزمة النووية فى إيران قد بدأت منذ أكثر من عام، وخاصة بعد شعور الولايات المتحدة باشتداد المقاومة العراقية ضد الوجود العسكرى الأمريكى فى العراق. وتتلخص هذه الأزمة فى أن إيران بدأت برنامج تخصيب اليورانيوم بالتعاون مع روسيا، فأثارت إسرائيل ثائرة الولايات المتحدة، مما دفع واشنطن إلى ممارسة ضغوط عنيفة على روسيا حتى توقف تعاونها مع إيران، مثلما فعلت إسرائيل أيضاً، وسوف يكون هذا الموضوع على جدول أعمال الرئيس الروسى خلال زيارته لإسرائيل فى نهاية أبريل ٢٠٠٥، كما مارست واشنطن ضغوطاً هائلة على إيران، ودفعت الاتحاد الأوروبى للقيام بدور فى هذا الشأن، حيث تمكن من إقناع إيران بتقديم عدد من التنازلات، ولكن إيران رفضت الطلب الأمريكى والأوروبى بوقف برنامجها النووى كلية. أما إسرائيل فقد جعلت التسلح النووى الإيرانى على رأس أولوياتها، وتجاذبت مع إيران تصريحات تصاعدت فى الحدة، ولايزال الموقف بالغ التوتر بين إيران من ناحية، وواشنطن وإسرائيل من ناحية أخرى. وأصبح التكهن وارداً حول ما إذا كانت واشنطن وإسرائيل يمكن أن يهاجما معاً أو بشكل منفصل المفاعل النووى لإيران، فى الوقت الذى يبدو أن إيران قد تيقنت من ارتفاع هذا الاحتمال بدرجة عالية، واتخذت إجراءات لمواجهة هذا الاحتمال. وفى ضوء ذلك حذر الرئيس

مبارك من أن مهاجمة إيران قد تؤدى إلى تفجير المنطقة، مما يجعل السيطرة على الموقف فيها مستحيلاً. وتبرر واشنطن موقفها من إيران بأمور ثلاثة : أولها : أن التسلح الإيرانى يهدد امن إسرائيل، والثانى : أنه يمثل تهديدا للقوات الأمريكية فى الخليج وكذلك يعتبر تهديدا لحلفاء الولايات المتحدة فى المنطقة، وقد ركزت واشنطن على أن أمن إسرائيل وأمن الحلفاء جزء لا يتجزأ من الأمن الأمريكى. أما المبرر الثالث : فهو أن التسلح الايرانى يخل بميزان القوة العالمى على المستوى النووى كما انه يعتبر تحدياً لسياسة منع الانتشار النووى التى تدعمها واشنطن، خاصة وان إيران تعارض السياسات الأمريكية فى المنطقة والعالم. ولم تشفع كل المواقف الإيرانية المتعاونة مع الولايات المتحدة ضد طالبان والقاعدة، وكذلك المحاولات الإيرانية لتهدئة المخاوف الأمريكية فى أثناء الولايات المتحدة عن الاستجابة للضغوط الإسرائيلية لدرجة ان الرئيس بوش هدد بنفسه أن واشنطن هى التى ستقوم بضرب المنشآت النووية الإيرانية.

والواقع أن التسلح النووى الإيرانى، والأزمة التى أثارتها إسرائيل بسببه تثير عدداً من القضايا الحيوية، كما تشغل العالم بأسره، وخاصة إسرائيل والولايات المتحدة، ولكن الطرف الوحيد الذى يبدو أنه ليس معنياً بهذه الأزمة هو العالم العربى، فكيف ينظر العالم العربى إلى التسلح النووى الإيرانى من ناحية، وإلى الأزمة التى تثيرها أمريكا وإسرائيل من ناحية أخرى. خصوصاً تهديد الولايات المتحدة بإحالة الملف النووى الإيرانى الذى وصل إلى طريق مسدود من الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى مجلس الأمن. وأخيراً ما هو موقف العالم العربى من تداعيات الأزمة، واحتمالات مهاجمة إسرائيل والولايات المتحدة للمنشآت النووية الإيرانية؟

المعروف أن إسرائيل التى تحوز كل أنواع الأسلحة تعتبر التسلح النووى لأى دولة عربية أو إسلامية تهديداً لأمنها، وبشكل خاص إيران التى ترى إسرائيل أن العداء الإيرانى لها، واتصال إيران بسوريا وحزب الله والمنظمات الفلسطينية يجعل إيران طرفاً غير مباشر فى الصراع العربى الإسرائيلى، ولذلك ترفض إسرائيل التخلى عن سلاحها النووى لهذا السبب ولغيره. وربما لم تعد إسرائيل تشعر بالخطر من السلاح النووى الباكستانى، لأنها تعلم أنه تحت سيطرة الولايات المتحدة، ولم تعد تثير هذا الخطر الآن، رغم أن إسرائيل قبل الغزو الأمريكى لأفغانستان كانت تعتبر القنبلة الباكستانية قنبلة إسلامية، وكانت تحاول كسر خطورتها بأساليب متعددة من بينها التحالف الاستراتيجى مع الهند.

أما الولايات المتحدة، فإن هناك تاريخاً من العداء نحو إيران منذ سقوط نظام الشاه عام ١٩٧٩، واحتجاز الدبلوماسيين الأمريكيين رهائن فى طهران، وما تبع ذلك من سياسات الاحتواء العراقى الإيرانى، ثم المواجهة مع إيران بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق. وقد شعرت إيران أن الولايات المتحدة تحاصرها من كل جانب عسكرياً فى أفغانستان والعراق والخليج، والدول المجاورة أعضاء الاتحاد السوفيتى السابق، كما تعتقد واشنطن أن إيران تساند المقاومة العراقية ضد الاحتلال الأمريكى. من ناحية أخرى، فإن واشنطن تثير الأزمة النووية مع إيران آملة أن تتخلى عن برنامجها النووى، ولكن واشنطن تخطط للقضاء على الثورة الإسلامية فى إيران، وفى الحالة المثلى تريد إعادة الملكية فى إيران، أو أن تصل إلى الحد الأدنى وهو تغيير معادلة السياسة الإيرانية فى المنطقة.

وقد رأينا كيف أن واشنطن وإسرائيل تفككان العلاقة بين إيران وحلفائها عن طريق الضغط الشديد على سوريا بسبب علاقاتها بحزب الله، ووجودها العسكرى

فى لبنـان، واستضـافتها لـزعماء الفصـائل الفلسـطينية، واتهامهـا بمسـاعدة المقاومـة العراقية ضد الاحتلال الأمريكى. وقد ساندت واشنطن شارون فى القضاء على المقاومة الفلسطينية، كما تستخدم القرار ١٥٥٩ لمحاصرة سوريا من ناحية، ولتصفية حزب الله من ناحية أخرى، مستغلة فى ذلك اغتيال رفيق الحريرى رئيس وزراء لبنان الأسبق على أساس أن تصفية هذه العناصر الثلاثة: حزب الله، وسوريا، والفصائل والتهدئة فى فلسطين، دون أن تقدم حلاً حقيقياً للمشكلة الفلسطينية، فضلا عن الضغط المتصاعد على إيران، فإن ذلك يمكن أن يصل إلى حد مهاجمة المنشآت النووية الإيرانية فى ظروف مثالية. وتذكر الولايات المتحدة أنه عندما قدرت إسرائيل أن العراق يوشك أن يصنع سلاحاً نووياً، قامت إسرائيل بتنسيق أمريكى بضرب المفاعل العراقى فى يوليو ١٩٨١، بينما كان العراق منغمساً بكل قوته فى تنفيذ المخطط الأمريكى بغزو إيران، الذى بدأه فى الأسبوع الثالث من سبتمبر عام ١٩٨٠، وليس صحيحاً أن الولايات المتحدة قد اعترضت على هذا العمل الإسرائيلى، لأن إسرائيل قدرت أن المفاعل موجه أصلاً لإسرائيل وليس لإيران، بخلاف المصادر الإسرائيلية ومن بينها مذكرات شارون.

ومن الصعب القول بأن العالم العربى قد حسم موقفه من القضايا التى يثيرها أزمة المفاعل النووى الإيرانى، فمن ناحية. هل يعتقد العالم العربى أن التسلح النووى الإيرانى جزء من القوة الشاملة العربية ضد إسرائيل، وورقة فى يد العرب عند التفاوض مع إسرائيل؟ هذا الاعتقاد يساور عدداً من الدول العربية، كما يساور القطاع الأكبر من الشعوب العربية، التى تريد قوة إسلامية أو عربية فى مواجهة القوة الإسرائيلية الكاسحة. غير أن هناك اتجاها آخر ينظر إلى التسلح النووى الإيرانى على أنه تهديد لدول الخليج، ويربط هذا الاتجاه بين هذا المنطق وبين إعلان

إيـران بشـكل مفـاجئ قبيـل القمـة العربيـة مبـاشرة فى الجزائـر أن الجـزر الـثلاث فى مدخل الخليج العربى، وهى جزر طنب الكبرى والصغرى وأبـو موسـى هـى جـزر إيرانيـة، ولـيس للإمـارات العربيـة المتحـدة الحـق فى المطالبـة بهـا، فاضـطرت القمـة العربية فى الجزائر إلى أن تصدر قراراً بتأييـد ملكيـة هـذه الجزر للإمـارات، ومطالبـة إيران بتسوية النزاع حول الجزر بالطرق السلمية، وخاصة عن طريق محكمـة العـدل الدولية. وقد ردت إيران بأن موقفهـا مـن الجـزر الـذى يتسـم بالتشـدد والحـدة كـان سـببه موقـف دول الخلـيج التـى دفعتهـا الولايـات المتحـدة إلى مسـاندة الموقـف الأمريكى فى الأزمة النوويـة الإيرانيـة. مـن ناحيـة ثالثـة، هنـاك أوسـاط عسـكرية فى بعـض الـدول العربيـة تعتقـد أن إيـران تتسـلح نوويـاً لتحقيـق أهـداف لا علاقـة لهـا بالمنطقة العربية، وأهمها إسرائيل والولايات المتحدة، ويرى البعض أيضـاً أن القـوى الإيرانية كانت تتخذ الخليج والمنطقة العربية مسرحاً لها، وأنها كانت تلتفت تماماً عن السياسات الآسيوية.

وفى ضوء ما تقدم، فإن إقدام إسرائيل أو الولايـات المتحـدة عـلى ضرب المفاعـل النـووى العراقـى سـوف يصـيب الشـعوب العربيـة والإسـلامية بالصـدمة، لأنـه لا يسـتطيع أن يفهـم لمـاذا تبـارك الولايـات المتحـدة التسـلح الإسرائيلى، بيـنما تنـاهض التسـلح الإيرانـى؟ أمـا معظـم الحكومـات العربيـة فإنهـا لا تمـانع فى مهاجمـة إيـران، ولكنها تخشـى مـن الآثـار المترتبـة عـلى الهجـوم، حيـث تشـعر دول الخلـيج بـأن هـذا الهجوم يمكن أن يؤدى إلى مواجهة دموية بين إيران من ناحية، وإسرائيـل والقـوات الأمريكية فى المنطقة من ناحية أخرى. ومادام الخليج بما فى ذلـك العـراق هـو مسرح هذه العمليات، فإن دول الخليج ستكون الضحية الأولى لهذه المواجهة بصرف النظر عن نتيجتها. كما يذكرون بما حدث خلال الحرب العراقية الإيرانية حيث ألقت هـذه

الحرب بظلال كئيبة. ويلاحظ المراقبون فى هذا الشأن أن إيران تمتلك قدرات بشرية واقتصادية وعسكرية كبيرة، وأنه ليس من السهل إخضاعها عسكرياً، يضاف إلى ذلك العامل الأيديولوجى والنفوذ الإيرانى لدى الشيعة فى كل الخليج وفى العالم الإسلامى. ونذكر فى هذا الصدد أن الولايات المتحدة تعانى أسوء تدهور فى صورتها فى المنطقة العربية وفى العالم، ولذلك فإن هذا الهجوم ضد إيران يمكن أن يؤدى إلى آثار بالغة الخطر على المصالح الأمريكية فى أنحاء متفرقة من العالم. ومن ناحية رابعة، يذكر أنه عندما قام العراق بغزو إيران انقسم العالم الإسلامى انقساماً متساوياً رغم أن العالم العربى كله باستثناء ليبيا وسوريا أيد العراق وبرر ذلك من الناحية العلنية بالتضامن العربى مع العراق ضد إيران على أساس التناقض بين القومية العربية والقومية الفارسية، ولكن السبب الحقيقى للتضامن العربى مع العراق هو ظهور العراق بديلاً عن مصر فى الساحة العربية بعد إبرامها لاتفاقية السلام مع إسرائيل وذلك بدعم أمريكى واضح، فضلاً عن أن العراق كان مفوضاً بالعمل باسم الولايات المتحدة ضد إيران، ولم تتخلف دولة عربية واحدة عن مساندة الولايات المتحدة فى شخص العراق، أما الموقف الآن فيختلف اختلافاً كاملاً فى ظل الظروف التى أشرنا إليها.

ومن المستحيل أن تؤثر المنطقة العربية على القرار الأمريكى أو الإسرائيلى بمهاجمة إيران حتى لو تبينت كلتا الدولتين الآثار الخطيرة العسكرية والإنسانية البيئية المترتبة على هذا القرار.

أما الاحتمال المتعلق بتقديم مساعدات لوجيستية للولايات المتحدة وإسرائيل فهو لا شك فيه، فقد فعلت ذلك عند غزو الولايات المتحدة للعراق لأسباب متفاوتة.

وأما الموقف السياسى فهو متضمن فيما تعلنه الدول العربية جميعاً وفى مقدمتها مصر من أنها ملتزمة بسياسة إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل، بما فى ذلك الأسلحة النووية، ومعنى ذلك أن قيام أى دولة فى المنطقة بالتسلح النووى يناقض هذه السياسة، ومن ثم تستطيع الدول العربية المؤيدة للولايات المتحدة أن تطالب إيران بوقف تسلحها النووى، أى أن تستند إلى هذه الذريعة لمساندة الموقف الأمريكى فى مهاجمة إيران رغم أن الدول العربية واثقة من أن إسرائيل لن تنزع سلاحها النووى تحت أى ظرف، كما أنها واثقة أن السلاح النووى الإيرانى لن يستخدم هو الآخر ضد إسرائيل أو ضد غيرها، ولكنه يزيد أوراق القوة الإيرانية، ويدخل إيران إلى النادى النووى بحساباته المختلفة لعناصر القوة. وقد تجد هذه الدول العربية ذريعة أخرى، وهى أنه إذا كانت باكستان بحاجة إلى السلاح النووى لموازنة السلاح النووى الهندى، وهما فى صراع منذ إنشاء باكستان عام ١٩٤٧، فإن هذه الدول قد لا تجد نفس المنطق فى حالة إيران، خاصة وأن إيران لم تقدم مبرراً واحداً لتسلحها النووى، حتى يمكن مناقشته فى هذا السياق.

ومن الملاحظ أن فشل سياسة الولايات المتحدة فى منع الانتشار النووى عندما ميزت بين إسرائيل وغيرها، وتساهلت مع كل من الهند وباكستان، عندما كان مقابل هذا التساهل هو مساندة البلدين لها مساندة تامة فى أفغانستان، فإن هذا الفشل سوف يغرى دولاً أخرى مثل إيران وغيرها فى أن تنظر إلى أمنها على أساس أن هناك فوضى فى النظام الدولى، وأن الأمن الجماعى أصبح وهماً، وأن التمييز فى المعاملة بشكل واضح أصبح قاعدة. والحق أن إيران لديها تجربة خلفت لديها آثاراً نفسية سحيقة عندما وجدت نفسها وحيدة فى مواجهة العالم بأسره تقريباً، عندما كان العراق ينوب عن هذا العالم شرقه وغربه للقضاء على الثورة الإسلامية فيها،

وكانت القوة الإيرانية قد تجمعت لطرد الشاه، ولكنها كانت قد بدأت بعد قيام الثورة مباشرة فى توزيع التركة، حيث شهدت طهران صراعاً حاداً بين هذه القوى، إلا أن الغزو العراقى لإيران قد دفع كل الفرقاء على الساحة الإيرانية إلى الاعتصام بالوطنية الفارسية والدفاع عن إيران الوطن قبل أن تكون إيران الدولة، وليس من المبالغة فى شيء أن نقرر أن الغزو العراقى لإيران هو الذى أعاد إليها وحدتها، وجعل الخومينى زعيماً مرتين، مرة عندما حرك الشارع الإيرانى ضد الشاه بكل جبروته وهو فى باريس، ومرة أخرى عندما جمع الشعب الإيرانى وراءه فى مواجهة حاسمة مع العراق، التى تلقت المساندة المادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية من كل الدول بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى، الذى كان يخشى من الثورة الإسلامية الجديدة على المسلمين فيه. أما إيران فقد فرض عليها حظر السلاح، فلم يبق لديها سوى بقايا أسلحة، وملايين من الأطفال قرب سن الشباب الذين عمرت قلوبهم بالدفاع عن مبادئ الثورة عن وطنهم بعد أن أطاحت الثورة بالقيادات العسكرية المختلفة التى تكونت فى عهد الشاه، حيث كان الجيش الإيرانى قبل الثورة يعد من أقوى جيوش العالم تسليحاً وتدريباً، لأنه كان يجهز لأى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى، وحيث كانت إيران الشاه الركيزة الأساسية للاستراتيجية الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتى على امتداد ٢٥٠٠ كيلومتر من الحدود المشتركة التى تجاور مراكز الصناعة النووية السوفيتية. ومعنى ذلك أن حسابات إيران وتكوينها النفسى وشعورها بالتفرد من ناحية، والعداء للولايات المتحدة من ناحية أخرى، قد يجعل المواجهة بينهما أمراً غير مأمون، وقد تؤدى هذه المواجهة إلى واحدة من أشد الكوارث أثراً منذ الحرب العالمية الثانية.

وفى ضوء هذه الحقائق فإن الدول العربية يجب أن تهتم بمتابعة الأزمة النووية

الإيرانية، وأن تدرس احتمال تطورها فى مختلف الساحات، وأن تقرر لنفسها الموقف الذى يجب اتخاذه فى ظل كل الاحتمالات، حتى لا تفاجأ بنتائج لا تستطيع تداركها أو مواجهتها. ولا يغيب عن البال مشهد آخر يؤثر على الأزمة الإيرانية، وهو الأزمة النووية لكوريا الشمالية، وهذه الأزمة لها أبعادها وخصوصيتها، والتى تختلف تماماً عن عوامل وخصوصيات الأزمة الإيرانية، ولكن كوريا الشمالية أرادت أن تربط بين أزمتها والأزمة الإيرانية، فأعلنت تضامنها مع إيران، ولكن إيران أدركت مخاطر هذا التطور، فرفضت التعليق على التصريحات الكورية، لأنها تدرك أن كوريا الشمالية أشد خطراً على الولايات المتحدة، وعلى الأقاليم الأمريكية ذاتها، مثلما هى خطر على حلفاء الولايات المتحدة، وأهمها اليابان، كما تدرك إيران أنها وكوريا الشمالية من أشد أعداء الولايات المتحدة، ولكن أهمية التسلح النووى الإيرانى لا يرجع فقط إلى العداء الأمريكى الإيرانى، ولكنه يتصل اتصالا مباشراً بنظرية الأمن الإسرائيلية التى تقع إيران فى دائرتها، بينما تخرج كوريا الشمالية تماماً عن إطار اهتمامها.

وأخيراً فان العالم العربى مطالب بان ينظر بدقة فى عدد من العوامل المهمة فى تحديد موقفه **أولها** : أن إيران يجب أن تكون إضافة لقدرات العالم العربى والإسلامى . **وثانيها** : أن نزع سلاح إيران لا يخدم المنطقة العربية فى نظرى ولكنه يخدم إسرائيل وحدها وثالثها أن إيران محاطة بالوجود الأمريكى من كل جانب ولذلك فإن التسلح النووى يعد رادعاً هاماً ضد الولايات المتحدة إذا فكرت فى مهاجمة إيران ونذكر أنه عندما تأكدت واشنطن من خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل.

5

أمن الخليج
والأزمة النووية الإيرانية

الأزمة النووية الإيرانية مصطلح شاع فى أوروبا والولايات المتحدة، ليعنى ذلك الجدل الدائر منذ عدة سنوات بين إيران من ناحية والترويكا الأوروبية المُشَكَلة من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا من ناحية أخرى، وخلفها الولايات المتحدة. إيران تريد الحصول على التكنولوجيا النووية للاستخدام السلمى، والطرف الآخر يخشى أن يتحول الاستخدام السلمى إلى صناعة عسكرية نووية. وظل الجدل يراوح نطاقاً من الاتفاق، حاولت خلاله إيران أن تهدئ مخاوف الطرف الأوروبى، ودارت المحادثات بين الطرفين، وتعثرت عدة مرات، ونُقل الملف إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، ووقعت أزمات بين الوكالة وإيران. ولكن إسرائيل تتابع بخوف هذا الملف، وتحث الولايات المتحدة، بل تنتقدها صراحة بعدم جديتها فى تناول هذا الملف حتى ضغطت الولايات المتحدة على الترويكا. ويبدو إن وزيرة الخارجية الأمريكية انتقدت بشدة ما أسمته الليونة الأوروبية، واتهمت رايس أوروبا كلها بأنها تتعمد التعامل اللين مع إيران، وخلق جبهة من المصالح المشتركة، بحيث لا تستجيب أوروبا للمخاوف الأمريكية من السلاح النووى الإيرانى. وقد انتهى الأمر إلى حلقة جديدة من التصعيد بسبب مواقف إيران الأخيرة، وهى الإصرار على أن الاستفادة السلمية من الطاقة النووية

هو حق مقرر لها فى اتفاقية منع الانتشار النووى، وعادت عن بعض الخطوات التى كانت قد اتخذتها إظهاراً لحسن النية، فأزالت الأختام عن مراكز الأبحاث النووية، وأصرت على الاستمرار فى تخصيب اليورانيوم، فى الوقت الذى حاولت روسيا تقديم حل وسط بأن يتم تخصيب اليورانيوم الإيرانى فى روسيا، بما يحقق لإيران هدف التخصيب، ويضمن للترويكا أن روسيا تضبط مستوى التخصيب دون المستوى اللازم لصناعة القنبلة النووية. ويبدو أن المشكلة ذات شقين: أولهما، رغبة إيران فى فرض إرادتها السياسية على الترويكا. والشق الثانى، هو اختبار الأطراف الأخرى فيما لو مضت لصناعة القنبلة النووية، وفرض هذا الواقع الجديد لتصبح عضواً فى النادى النووى. وبينما استغلق الموقف وتمكنت واشنطن من تشكيل جبهة سياسية أوسع ضمت أوروبا وروسيا والصين المساندتين لإيران لإحالة ملف إيران من الوكالة إلى مجلس الأمن، بما يفضى إلى فرض عقوبات على إيران. ولكن الولايات المتحدة وإسرائيل تدرسان خطوات عملية لوقف البرنامج النووى الإيرانى، خاصة بعد تصريحات الرئيس الإيرانى حول الهولوكوست وإسرائيل. ولاشك أن إسرائيل تدرس جدياً إمكانية ضرب المنشآت الإيرانية، وبالتوازى تحاول زعزعة استقرار إيران، ولكن واشنطن وإسرائيل تدرسان بشكل أدق رد الفعل الإيرانى على ضربها للمنشآت الإيرانية، وتضييق الخيارات العسكرية المتاحة أمام إيران. يدخل فى إطار هذه الجهود الأمريكية والإسرائيلية تشكيل جبهة سياسية أوسع على مستوى العالم لتساند ضرب إيران وخنقها.

على الجانب الآخر، لاشك أن أمن الخليج، أى أمن شعوبه، وخطوط مواصلاته، ونظمه السياسية واستقراره تتعرض لخطر جسيم من تصاعد أزمة الملف النووى الإيرانى. وقد فرض هذا الواقع على دول الخليج أن تحدد موقفها،

فعارضت القمة الخليجية أى تسلح نووى فى المنطقة، وهو الموقف الذى ينسجم مع الموقف العربى بتخليص العالم العربى والشرق الأوسط من كل أسلحة الدمار الشامل.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة تريد أن يتخذ مجلس التعاون موقفاً مناهضاً لإيران بشكل مباشر، على أساس أن التسلح النووى الإيرانى سيكون أيضاً مرتبطاً بالسياسات الإيرانية فى منطقة الخليج. ولكن الموقف الخليجى هو مجرد جزء من مسرح أشمل فى المواجهة السياسية، وربما العسكرية، بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل.

أعتقد أن التجاذب السياسى مع إيران من جانب الترويكا، ومواقف روسيا والصين، تضع جميعاً فى اعتبارها مصالحها الاقتصادية والسياسية، كما أن الدفع إلى محاصرة إيران من جانب إسرائيل يعنى أن إسرائيل تريد أن تستخدم الجميع لتحقيق هدفها الوحيد حالياً تجاه إيران، وهو منعها من امتلاك السلاح النووى. ولا أظن أن هناك توافقاً فى الهدف وفى الأساليب بين المنطقة وبين إسرائيل، ولذلك يمكن أن تدفع إسرائيل إلى مواجهة عسكرية مع إيران، وهو احتمال وارد تدفع المنطقة بأسرها ثمناً باهظاً له.

وفى ضوء ذلك، نعتقد أن أمن الخليج الذى يتعرض فى كل الأحوال للمخاطر يمكن المحافظة عليه تماماً إذا تم تسوية أزمة الملف النووى سلمياً. وفى كل الأحول، فإن حياد دول المجلس التعاون فى هذه الملحمة سوف يتغير إذا خاطرت إسرائيل بعمل عسكرى ضد إيران، خاصة إذا وسعت إيران خيارات الرد. والمحقق أن إسرائيل لها حسابات عملية، وهى تنظر بكل القلق للمحاولات السياسية، وهى على يقين بأن إيران مصرة على امتلاك السلاح النووى، يقابله إصرار إسرائيل على

منعها ولو بالقوة. وهذا الرهان الخطر يضع منطقة الخليج رهينة لتطوراته، لذلك فإن الحياد فى هذا السجال هو خير سبيل فى هذا الطريق الوعر.

وقد نظرت إيران إلى انتقادات دولة الإمارات العربية لحيازتها التكنولوجيا النووية بسبب المخاطر البيئية التى قد تترتب على ذلك نظرة شك. وعلى إيران أن تهدئ خواطر الإمارات، خصوصاً وأن هناك نزاعاً حول الجزر، ومن مصلحة إيران أن تتجه اتجاهاً سلمياً ، وأن تعلن عدداً من المبادرات الهادفة إلى تسوية هذه القضايا تسوية ودية ولو بعد حين. من ناحية أخرى، فإن الجدل حول الملف النووى الإيرانى قد أحدث انقساماً فى الساحة الخليجية. ففى الوقت الذى تؤيد فيه سلطنة عمان حق إيران فى الحصول على الطاقة النووية السلمية، ولا تعلن الدول الأخرى موقفاً واضحاً، فإن اجتماعات مجلس التعاون تتخذ موقفاً أقرب إلى النقد منه إلى الحياد. ولذلك فإن أمن الخليج منظوراً إليه من زاوية عربية يتحدد بالاحتمالات الآتية:

الاحتمال الأول: استمرار أزمة الملف النووى الإيرانى بين إصرار إيران على المضى فى برنامج الطاقة النووية السلمية، وبين إصرار الدول الخمس الدائمة العضوية فى مجلس على منعها خوفاً من تحولها إلى قوة نووية، وخاصة بعد عدم قبول إيران بشكل واضح للاقتراح الروسى. ولعل انضمام روسيا والصين إلى الدول المؤيدة لإحالة الملف الإيرانى من الوكالة إلى مجلس الأمن يدفع إيران إلى مراجعة حساباتها، لأنه لم يعد بوسع إيران أن تعتقد أن مجلس الأمن لن يستطيع اتخاذ إجراءات عقابية ضدها بعد انضمام روسيا والصين إلى التوافق داخل المجلس. كذلك، فإن معظم الدول الأعضاء فى مجلس محافظى الوكالة يؤيدون إحالة ملفها إلى مجلس الأمن. لكن لهذا الاحتمال حد أدنى وحد أقصى، ولا نظن أنه سوف

يستمر طويلاً.

الاحتمال الثانى: هو قيام إسرائيل أو الولايات المتحدة بضربة ضد المنشآت النووية الإيرانية، وفى هذه الحالة، فإن كل شيء يعتمد على رد الفعل الإيرانى. وهذا احتمال وارد، ولكنه سيكون أسوأ الاحتمالات من زاوية أمن الخليج. ولعلنا نذكر بأن ضرب إسرائيل للمنشآت النووية العراقية عام ١٩٩١، والعراق يقود حرباً إقليمية ضد إيران لصالح الولايات المتحدة لم يؤثر على أمن الخليج، فلماذا نفترض أن الوضع ضد إيران يختلف عن الضربة ضد العراق؟ الإجابة تحتاج إلى تفصيل، ولكن الفارق كبير بين الحالتين.

الاحتمال الثالث: هو أن تتوصل إيران إلى تسوية فى إطار الملف، أو تسوية مع الولايات المتحدة. وفى هذه الحالة، فإن هذا الافتراض هو أفضل الافتراضات لأمن الخليج، ولذلك يجب أن تشجع دول الخليج عليه، أخذاً فى الاعتبار أن هذا الاحتمال وارد، ولذلك تخشى أوروبا والولايات المتحدة منه، ويثور الشك بين الطرفين حول سعى كل جانب لتحقيقه. والمؤكد أنه إذا ل توصلت إليه واشنطن فسوف تحصل على نصيب الأسد من المزايا الإيرانية، وليس العكس صحيحاً إذا تواصلت إلى هذا الاحتمال الولايات المتحدة نفسها.



6

إيران النووية
دلالاتها في المنطقة والعالم

أعلن الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد منذ أيام أنه سوف يزف بشرى طيبة إلى الشعب الإيرانى. وفى مساء يوم ١١ أبريل ٢٠٠٦ أعلن الرئيس الإيرانى فى مدينة مشهد هذه البشرى الطيبة، وهى توصل إيران إلى التكنولوجيا النووية التى تستخدم فى جميع الأغراض السلمية، والتى تؤدى إلى المساهمة فى خطط التنمية. وشدد الرئيس الإيرانى على أن تحول إيران إلى دولة نووية لا يعنى أنها قد حازت القنبلة الذرية، وإنما يعنى أنها تمتلك القدرات النووية اللازمة للأغراض السلمية. هذا الإعلان ارتبط بمظاهر متعمدة لإضفاء الأهمية السياسية والمعنوية على هذا الحدث، ولكى يكون ذلك هو برنامج الشعب الإيرانى القومى فى المرحلة المقبلة، ولكى يرفع الروح المعنوية للشعب الإيرانى، ويحقق اختراقاً إعلامياً وسياسياً ضخماً فى مواجهة حالة الحصار التى فرضتها الولايات المتحدة وأوروبا والوكالة الدولية للطاقة الذرية، خاصة وأن الولايات المتحدة كانت تردد أنها تفكر فى استخدام القوة العسكرية لضرب المنشآت الإيرانية، مما أعطى الانطباع بأن إيران أصبحت فى مرمى الهدف الأمريكى، وأثارت تكهنات حول ردود الفعل الإيرانية والخسائر البشرية الضخمة، ومدى ارتباط ضرب إيران بالفشل الأمريكى فى العراق، ودور إسرائيل فى ذلك كله.

فى مواجهة هذه الحالة، والحرب النفسية الهائلة، قامت إيران بإجراءات مناورات عسكرية وبحرية كبيرة فى الخليج، وتعمدت أن تعلن عن أجيال جديدة من الصواريخ التى تفلت من الرادار، والصواريخ البحرية التى تضرب الغواصات تحت الماء. ثم جاء الإعلان عن تحول إيران إلى دولة نووية بعد كل هذه المقدمات لكى يسدد ضربة ضخمة للحسابات الأمريكية والإسرائيلية. والمؤكد أن إيران لم تحقق على المستوى الفنى أمراً فريداً أو مفاجئاً، ولكنها استخدمت هذا التطور فى برنامجها النووى استخداماً سياسياً مدوياً وسط الضغوط التى تتعرض لها.

وقد لوحظ على سلوك إيران فى المجال النووى أنها انتهجت دبلوماسية تتسم بعدد من الخصائص: أولها، التركيز على أن القضية اختصاص الوكالة النووية للطاقة الذرية وحدها، وأن مجلس الأمن لا علاقة له بالموضوع، إلا أن يكون أداة فى يد الولايات المتحدة، وضمن مخطط الضغط على إيران. اتسمت الدبلوماسية الإيرانية أيضاً بخط ثابت، وهو الإصرار على أن تقوم بتخصيب اليورانيوم فى أراضيها، رغم أنها تركت الباب موارباً أمام المبادرة الروسية التى كانت تهدف، من ناحية إلى تخفيف الضغط عن إيران، ومن ناحية أخرى أن تقدم روسيا نفسها وسيطاً مفيداً فى طمأنة المجتمع الدولى، خاصة الولايات المتحدة إلى عدم تحول التخصيب الإيرانى إلى الأغراض العسكرية، وبذلك يمكن لروسيا أن تمتص الضغط الأمريكى على إيران وعليها لوقف برنامج التعاون النووى بين روسيا وإيران.

ومن ناحية ثالثة، تمسكت إيران بموقف مختلط تجاه المفاوضات من الترويكا الأوروبية، حيث أصرت على أن فرص التفاوض قائمة بشكل دائم، وفى نفس الوقت حاولت أن ترويض أوروبا على خط التخصيب الإيرانى، وأن تبدأ المفاوضات بعد هذه النقطة. من ناحية رابعة، أكدت إيران فى جميع الأوقات أن من

حقهـا، وفقـاً لاتفاقيـة منـع الانتشـار النـووى، أن تقـوم بتخصيب اليورانيـوم فى أراضيها، لكى تستخدم الطاقة النووية فى الأغراض السلمية، وأنها مصرة على ذلـك مهما كلفها ذلك من ثمن. كما أكدت فى نفس الوقت على أنها مستعدة لفتح منشآتها النووية كل الوقت للتفتيش غير الدولى من جانب الوكالة، ولكنها لن تسمح بـذلك إلا فى إطار اتفاق شامل. هذه الدبلوماسية النووية الإيرانية دفعت المراقبين دفعاً إلى نتائج ثلاثة: الأولى، أن إيران تتفاوض من منطلق حافة الهاوية، أى موقـف التشـدد الكامل، وقد فُسر ذلك بأنه عقدة إيرانية تجاه الغرب، خاصـة بعـد الثـورة، وهـى أن تفرض إيران موقفها على الغرب، وألا تنحنى لإملاءاته، مما يذكرنا بحركـة مصـدق عـام ١٩٥١، الـذى قـام بتـأمين شركـات الـنفط البريطانيـة فى إيـران، وأسـقط نظـام الشاة، ثم تمكنت الاحتكارات الدولية من إسقاطه. أما النتيجة الثانية: فهى أن إيران تقوم بكسر الوقت للتوصل إلى التسلح النـووى، وأن الجدل بينهـا وبـين الولايـات المتحدة حول أسباب السعى الإيرانـى لحيازة سـلاح نـووى لا علاقـة لـه بمحاولـة إيران تحدى الولايات المتحدة. فقد أعلنت إيران صراحة، وهـى تعلـن للعـالم تحولها إلى قوة نووية أنها سوف توفر الكثير من الأموال بدلاً من استخدام الطاقة البترولية، كما أن الطاقة النوويـة تقـدم حلـولاً فى مشـاكل التنميـة، وليسـت قـاصرة عـلى مجـال الطاقة التقليدية التى يقوم بها البترول، وأنه مادام من حقها أن تحوز القدرة النوويـة، فإن ذلك لا يجوز القضاء عليه لمجـرد أن واشـنطن والغـرب لا يريـدون ذلـك. وأمـا النتيجـة الثالثـة، فهـى أن إسرائيـل هـى التـى تحـرك الملـف النـووى الإيرانـى، وأن مصلحة الولايات المتحدة للتصدى لإيران ليست واضحة.

ولا شك أن تحول إيران إلى دولة نوويـة يثـير أسـئلة هامـة: **أولهـا**: أسـباب إصـرار إيران على التحول إلى قوة نوويـة. ويبـدو أن إيـران لا تشـعر بـالأمن منـذ أن تمكنـت

الولايات المتحدة من حشد مختلف الدول وراء صدام حسين لإنهاء الثورة الإسلامية فى إيران طوال ثمانى سنوات، ولم يكن لإيران حليف واحد. من ناحية أخرى، فإن اضطراب الأمن الإقليمى والعالمى، وتفاخر إسرائيل بأنها الدولة الوحيدة التى تملك سلاحاً رادعاً ضد الجميع قد دخل فى الحسابات الإيرانية. أما القضية الثانية، فهى أثر ظهور إيران كقوة نووية على وزنها فى القضايا الإقليمية والعالمية. لا جدال فى أن السلاح النووى أو الطاقة النووية التى يمكن أن تتحول فى وقت قصير إلى سلاح نووى تعتبر سلاحاً سياسياً وليس عسكرياً، كما أنها تضع الدولة المعنية فى وضع أفضل فى مختلف القضايا الإقليمية والعالمية، ولكن إيران بالذات تواجه مشكلة ضخمة يمكن أن تتحلل فى عدد من التفاصيل.

من ناحية، لاشك أن العالم الإسلامى بشكل عام قد شعر بالفخر لأن دولة إسلامية تتحدى الولايات المتحدة وإسرائيل، وهذا هو أحد التداعيات التى تدخل فى الحسابات الأمريكية والإسرائيلية. من ناحية أخرى، فإن تعامل الولايات المتحدة فى الملف النووى الإيرانى لن يستوعب هذه الحقيقة الجديدة، ولذلك لوحظ على ردود الفعل الأمريكية والأولية أنها تتجه إلى التقليل من شأن الخطوة الإيرانية ومن آثارها ومن خطرها، كما تتجه إلى تفضيل الخيار الدبلوماسى مع عدم استبعاد الخيار العسكرى. ويبدو أن الموقف الإيرانى قد شكل مشكلة حقيقية للولايات المتحدة، كما أن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية سوف تصاب بالكثير من الضرر، لأن إسرائيل كانت تلح على أهمية عامل الوقت، وكانت تستعجل الولايات المتحدة لضرب المنشآت الإيرانية قبل أن تصل لهذا المستوى. **من ناحية ثالثة:** لم تتضح بعد ردود الفعل فى العالم العربى، ولكن بعض المحللين العرب بدؤوا يشيرون إلى خطورة الخطوة الإيرانية على دول الخليج، وهو نفس الاتجاه الذى تفضله الولايات

المتحدة، رغم أن هذه النقطة معقدة وتحتاج إلى مزيد من التحليل فى مقال مستقل.

أما السؤال الذى يجب أن يحظى بالمتابعة والدراسة، فهو الموقف المحتمل لإسرائيل والولايات المتحدة من إيران. فلم تعلن إيران أنها توصلت إلى السلاح النووى، بل على العكس، أعلنت إيران أنها لا تنوى التوصل إلى هذا السلاح. ومعنى ذلك أن ضرب المنشآت النووية الإيرانية من وجهة نظر إسرائيل والولايات المتحدة لايزال ممكناً. وأظن أن الخطوة الإيرانية قد أدخلت الملف النووى الإيرانى إلى نفق تبحث فيه كل الخيارات، وخصوصاً رد الفعل الإيرانى، وهذه فى الواقع قضايا شائكة لا يجوز التسرع فى الإجابة عليها، لأن الأطراف المعنية بها مباشرة قد لا تملك فى هذه المرحلة هذا النوع من الإجابة على قضية قد تؤدى إلى إشعال المنطقة بأسرها إذا قررت واشنطن المغامرة بضربة عسكرية، كما قد تؤدى إلى أن تفرض إيران إرادتها على واشنطن فى المنطقة، وأن تعترف بها شريكاً مكافئاً فى تدبير شؤون هذه المنطقة.



7

مخاطر الانتشار النووي وملامح الحرب الباردة الجديدة!

لاشك أن مصلحة السلام والأمن فى العالم وفى مناطقه المختلفة تكمن فى إزالة كل أنواع الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، وفى أن يحترم الجميع قواعد السلوك الدولى، وأن يتعاون الجميع من أجل السلام والاستقرار والأمن والازدهار الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لصالح الجميع بلا استثناء. ويبدو أن أوروبا تتجه إلى تحقيق هذا النموذج تقريباً. أما فى المنطقة العربية، فإن المشكلة الرئيسية فيها هى وضع إسرائيل وسياستها وخططها وإصرارها على أن تسمو فوق مجتمع الدول وفوق قانون هذا المجتمع، مما جعل المنطقة بسبب تفرد إسرائيل بفرض مفاهيم خاصة، واعتمادها المطلق على القوة، وحيازتها لكل أصناف القوة بما فى ذلك القوة النووية تعانى من القلق والاضطراب وعدم الاستقرار. ورغم هذه الحقيقة الساطعة، فإن الولايات المتحدة ومعظم الإعلام الأمريكى يتحدثون عن منع الانتشار النووى فى أى مكان فى العالم ولا يذكرون إسرائيل، وكأن هناك تسليماً كاملاً بأن إسرائيل فوق كل القواعد والأحكام. وقد سبق للدول العربية أن اتخذت موقفاً جمعياً، وهو أن السلام العادل يتحقق بالالتزام بأحكام القانون الدولى، وأن الأمن الشامل يتحقق بالتزام إسرائيل بقواعد منع الانتشار النووى، والانضمام إلى اتفاقية منع الانتشار، والخضوع لنظام التفتيش والتحقق والمراقبة الذى تقوم به الوكالة الدولية للطاقة الذرية. والغريب

أن الصحف العربية تتحدث عن نجاح عربى فى مؤتمر المراجعة الخمسى فى نيويورك لمجرد أن المؤتمر وافق على أن يدرج الترسانة النووية الإسرائيلية ضمن جدول أعماله، رغم أن إسرائيل لا تنكر أنها دولة نووية وأن تقديرات الوكالة النووية للطاقة الذرية تشير إلى أنها تمتلك أكثر من مائتى رأس نووى بالإضافة إلى القدرات الكيماوية والبيولوجية.

ومن الواضح أن الموقف الأمريكى من التسلح النووى الإسرائيلى هو الذى أدى إلى فشل السياسة الأمريكية فى منع الانتشار النووى، لأن التمييز بين الدول فى حيازة الأسلحة النووية يفتح الباب أمام الشعور الوطنى بعدم الأمن من خلال الترتيبات الدولية، كما أن الدول النووية لم تحترم التزاماتها فى اتفاقيات منع التجارب والانتشار. وقد حاول توماس فريدمان فى مقالته فى نيويورك تايمز حول هذا الموضوع المنشورة يوم ١٢ مايو الجارى أن يتجاهل هذه الحقائق الساطعة، وأن يقفز بدلاً من ذلك إلى كل من إيران وكوريا الشمالية. فهو يرى أن إيران يمكن أن توقف برنامجها النووى لمجرد أن يظهر لها الاتحاد الأوروبى الحزم الكافى، وألا يسكت على ممارساتها عمداً، وهو الاعتقاد الذى ساد لدى الإدارة الأمريكية أيضاً بدليل أن وزيرة الخارجية الأمريكية وبخت الدول الأوروبية التى زارتها على ميوعة الموقف الأوروبى من إيران.

أما كوريا الشمالية، فتعتقد الولايات المتحدة أنها تدير الأزمة النووية بمساندة صينية، وأن الصراع فى الحرب الباردة الجديدة قد بدأت بشائره، وأن السلاح النووى يستخدم رادعاً فى تعظيم القوة السياسية، مثلما كان الأمر فى الحرب الباردة التى سادت العالم من ١٩٤٥ حتى ١٩٩٠، لأن الصين فى نظر الولايات المتحدة تسد احتياجات كوريا الشمالية من الغذاء والوقود، كما تقدم لها سراً الدعم

الدبلوماسى فى المحادثات السداسية.

وقد رتب فريدمان على هذا الواقع فى إيران وكوريا الشمالية عدداً من النتائج أهمها، أن هناك كراهية متنامية وحقداً على القوى الأمريكية الطاغية من جانب أوروبا والصين، فكانت المسألة النووية فى إيران وكوريا الشمالية تعبيراً واضحاً عن هذا الموقف، ومحاولة بهذه الطريقة لإعادة صياغة النظام الدولى بحيث لا تنفرد به الولايات المتحدة، أى إعادة توزيع معدل التركز فى النظام الدولى.

أما النتيجة الثانية، فهى أن حصول إيران على أسلحة نووية سوف يؤدى إلى سباق نووى فى المنطقة، ورشح بشكل خاص مصر والسعودية للتسابق مع إيران، بالإضافة إلى رد فعل إسرائيل التى لن تسمح بأن تنازعها دولة أخرى فى امتلاك السلاح النووى. أما النتيجة الثالثة، فهى أن اليابان التى تعتمد على الحماية الأمريكية فى أمنها لن تظل قلقة طويلاً من التسلح الكورى، وأن تسلح اليابان وكوريا الجنوبية لمواجهة الخطر الكورى الشمالى سوف ينهى النفوذ الأمريكى فى البلدين. فى هذا المناخ من المتصور أن تنضم روسيا إلى الصين وكوريا وإيران، وقد تنضم أيضاً الهند فى مناهضة الولايات المتحدة، وبذلك تتشكل جبهة عريضة تضم روسيا والصين والاتحاد الأوروبى عدا بريطانيا فى مواجهة الولايات المتحدة.

والحق أن ظهور جغرافيا سياسية جديدة بسبب الانتشار النووى على هذا النحو، وظهور حرب باردة جديدة لها أطراف وموضوع وقواعد وأهداف وساحات مختلفة سببه الأساسى فشل سياسة منع الانتشار النووى الأمريكية، والتستر على إسرائيل، وعدم الحزم والإخلاص فى متابعة هذه السياسة، وليس من الصعب أن نلاحظ أن الدول النووية تتحمل المسؤولية الرئيسية فى تأكيد احترام نظام منع الانتشار بالوفاء بالتزاماتها أولاً ثم بعدم التمييز بين الدول فى حيازة الأسلحة

النووية، ولذلك يجب أن تدرس بموضوعية الدوافع التى دعت باكستان إلى حيازة الأسلحة النووية، حيث اعتقدت أن هذا السلاح لازم لمواجهة الهند فى شبة القارة الهندية، أو بعبارة أدق تحييد أثر السلاح الهندى. أما كوريا الشمالية، فقد تسلحت نووياً لأنها تعتقد أن الولايات المتحدة لم تحترم التزاماتها، وليست عادلة فى التعامل معها. وأما إيران، فإنها تشعر بأن الوجود الأمريكى فى المنطقة يهدد أمنها حيث تحيط بها القوات الأمريكية من جميع الجبهات.

ومن الواضح أيضاً أن روسيا تشعر بضيق شديد من الولايات المتحدة لأنها بعد أن قضت على الاتحاد السوفيتى تحاول إذلال الروس وتحجيمهم والقضاء على أى أمل لهم فى إحياء سياساتهم الإقليمية أو العالمية، وهم يشعرون بقلق شديد تجاه السيطرة الأمريكية على خلفاء الاتحاد السوفيتى، وتحريض هذه الدول على طرد القواعد والجاليات الروسية، بل والتدخل فى النظام الديمقراطى فى روسيا، فضلاً عن غموض السياسة الأمريكية فى الشيشان، مما سبب قلقاً شديداً لروسيا، ودفعها إلى التحالف مع إيران والصين وتخفيف لهجتها مع اليابان بالنسبة لقضية الجزر، والإشادة بالقانون الصينى الخاص بتايوان مثلما فعلت فرنسا، وتسعى فى إطار الاتحاد الأوروبى لرفع حظر بيع الأسلحة والمواد التكنولوجيا إلى الصين. ومعنى ما تقدم أن قضايا تايوان واليابان وكوريا الشمالية والعلاقات الصينية اليابانية والوجود العسكرى الأمريكى، ومحاولة واشنطن السيطرة على مناطق النفط فى العالم، واستهدافها لروسيا وسياساتها الإقليمية والداخلية، وكان آخرها تحريض الدول الخمس «الديمقراطية» التى شجعتها واشنطن على الإطاحة بنظمها الموالية لموسكو، ونقد سياساتها تجاه إيران، وكذلك تطبيقاتها الديمقراطية وخاصة تعديل الدستور الروسى بحيث يسمح بولاية جديدة للرئيس بوتين، كل ذلك إذا أضيف إليه

احتمال السباق النووى يتطلب وقفة جادة فى مؤتمر دولى لوضع قواعد مقبولة فى السلوك الدولى، ويجب أن تكون إسرائيل النووية وسياساتها الإقليمية على رأس جدول أعمال هذا المؤتمر.

ورغم كل ذلك فنحن نعتقد أن الانتشار النووى بطريقة غير محسوبة على ما يحدث الآن سوف يؤدى إلى سباق نووى، وأن نقطة البداية فى ضبط هذه المسألة فى العالم العربى هو تجريد إسرائيل من أسلحة الدمار الشامل، وفرض هذه السياسة على بقية دول المنطقة بما فى ذلك إيران، باعتبار أنها جزء من التركيبة الجيوسياسية للمنطقة العربية.

8

إيران والولايات المتحدة مقدمة لشراكة إقليمية أم لمواجهة عسكرية؟

الأزمة المتصاعدة بين إيران والولايات المتحدة تتخذ أحد مسارين وفقا لقراءة المراقبين، إما أن هذه الأزمة تؤدى إلى إرغام واشنطن على الاعتراف بإيران كقوة إقليمية لها دور في قضايا المنطقة وعلى الأخص الاعتراف بالثورة الإسلامية التى تصدت لها واشنطن منذ قيامها. هذا الافتراض يقوم على أساس أن واشنطن تقدر مخاطر العمل العسكرى وأنها تفضل الخيار الدبلوماسى حتى تقنع إيران بالتراجع عما يسميه الغرب «طموحاتها النووية» والتي تستخدمها أداة فى جلب هذا الاعتراف مادامت الطاقة النووية مكلفة ومادامت طهران وفق هذا الافتراض لاتنوي إنتاج سلاح نووى، وهى تؤكد ذلك، وتدعو إلى مراقبة وتفتيش منشآتها النووية، وأن كل مايهمها هو عدم كسر إرادتها، وأنه يستحيل عزلها وتقزيم دورها. فى مثل هذا الافتراض، فإن واشنطن تجند مجلس الأمن وتحث الدول الكبرى الأخرى وهى روسيا والصين وربما الهند وبعض الدول العربية والخليجية حتى تشعر إيران بوطأة الضغوط السياسية والنفسية والاقتصادية فيسهل على واشنطن التفاوض مع طهران من مركز أقوى. يقوم هذا الافتراض أيضا على أن إسرائيل وإن كانت تشعر بالقلق من احتمال الحوار الإيرانى الأمريكى، فهى لاتمانع أن تشملها صفقة المحادثات بحيث تصل مع إيران إلى تسوية سياسية تريح إسرائيل، خاصة وأن إيران تتجه مباشرة إلى

التصدى لإسرائيل، وتكشف كل مقدساتها بدءا بالمحرقة وأكذوبة الدولة اليهودية ومخاطرها في المنطقة وانتهاء بالسعى إلى مهاجمتها كرهينة إذا هاجمت الولايات المتحدة إيران.

على الجانب الآخر، يرى فريق آخر أن واشنطن قد اتخذت بالفعل قرار مهاجمة إيران عسكريا، وأن هناك بالفعل خططاً جاهزة لذلك، وأن الهجوم الأمريكى سوف يكون مدعوماً من الاتحاد الأوروبى الذى يشعر بالإهانة من الموقف الإيرانى، مما يعني أن واشنطن تسعى بعد اتخاذ قرار الهجوم إلى بناء تحالف دولى عسكرى وسياسى ودبلوماسى وقانونى، تجند فيه الأمم المتحدة والرأى العام العالمى، وتعد لذلك بمبررات قوية مستفيدة بذلك من تجربة غزو العراق. هذه النظرية تقوم على افتراضات وشواهد. أما الافتراضات فأهمها أن أى اتفاق أمريكى إيرانى لا يمكن أن يرضى إسرائيل، وأن هذا الطريق سوف يكون سبباً لهدم التحالف الأمريكي الإسرائيلى، ولكن إدارة بوش لاتحتمل هذه النتيجة. ولما كان حرص الولايات المتحدة على إرضاء إسرائيل أعظم من أي كسب آخر، كما أنه أسبق من أي أضرار تصيب المصالح الأمريكية، فضلا عن أن التزام واشنطن بتقديم المصالح الإسرائيلية على المصالح الأمريكية التزام ثابت وإن لم يسنده أي سبب مقنع للشعب الأمريكي،فإن هذا الافتراض يبدو ضعيفا . **الافتراض الثانى**: أن واشنطن قد شوهت صورة نظام إيران، ولم تظهر في أي وقت استعدادها للتعامل معه، ولذلك ليس هناك ما يدفع للاعتقاد بأن واشنطن قد غيرت موقفها من إيران، ومن باب أولى لايمكن أن تغير هذا الموقف في جو الأزمة ،كما لا تستطيع واشنطن أن تبرر التعامل فجأة مع نظام تسعى إلى تغييره، وأعلنت بالفعل هذه السياسة، ورصدت أموالا لهذا الغرض، كما أن واشنطن لاتستطيع أن تنفذ سياسة

التفاوض مع إيران سراً ولمدة طويلة لأن إيران تريد اعترافاً علنياً بها بما يحقق أهداف سياستها النووية.

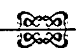
أما أهم الشواهد على أن واشنطن تبحث عن ذرائع لقرار الهجوم العسكرى فهو ما ردده بعض الاستراتيجيين والسياسيين فى الولايات المتحدة مْن أن القرار السياسى في إدارة بوش لاتراعي فيه الدقة والحكمة وأن تحكم بعض معاونيه بعقلية متطرفة مثل صقور البنتاجون يجعل مثل هذا القرار ممكنا. وإذا كان البعض يرى أن واشنطن قد لاتتخذ هذا القرار بسبب تور طها في العراق، فإن البعض الآخر يرى أن تورطها في العراق يدفع إلى مغامرة جديدة تخفف الضغط والتركيز على الورطة الأمريكية في العراق. ومن الشواهد أن د.هنرى كيسنجر الذي يظهر في المناسبات الدقيقة قد قدم تبريراً للإدارة الأمريكية فى مقالة في نيويورك تايمز يوم ١٥/ ٤/ ٢٠٠٦.

ونذكر أن كيسنجر اشترك في حث الإدارة الأمركية على إسقاط صدام حسين عن طريق الغزو، وكان من أوائل الذين تحدثوا صراحة عن ضرورة الغزو في مقالته في النيويورك تايمز في أول ديسمبر عام ٢٠٠٢. وقد أوضحت الوثائق اللاحقة أن الاتجاه لغزو العراق لم يكن وليد هذه الفترة وإنما كان قد تردد فى خيارات واشنطن يوم الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ قبل اختيار أفغانستان، وتأجل قرار غزو العراق حتى يتم التمهيد له بذرائع،ولم تكن حجة إقصاء صدام حسين ضمن هذه الذرائع، ولكن هدف إزاحة هذا النظام أضافته الولايات المتحدة لشروط مجلس الأمن في القرار ٦٨٧ لسنة ١٩٩١ حتى ترفع العقوبات عن العراق. ولذلك شعرت الولايات المتحدة بالارتباك لاقتراح الإمارات قبيل الغزو بأيام بتخلي صدام عن السلطة إذا كان ذلك يقي العراق من الغزو. فما هي مبررات الهجوم الأمريكي

بما في ذلك تلك التي قدمها هنري كيسنجر. المبرر الأول : أن إيران تسعى لحيازة الأسلحة النووية وأنه لا يمكن تصديق ادعائها بخلاف ذلك. وهذا يؤدي إلى مخاطر على العالم كله، لأن نظام إيران وفق هذا المنطق لا يتمتع بالرصانة السياسية، ولأنه يمكن أن ينقل هذه الأسلحة إلى المنظمات الإرهابية. وإذا كانت إيران قد توصلت بالفعل لصناعة السلاح النووى فإن الهجوم الفورى أصبح ضروريا، وإذا لم تكن قد توصلت بعد فإن مثل هذا الهجوم أشد إلحاحاً ولزوماً. ومادام الخطر يهدد العالم كله، فيجب أن يشترك العالم كله في حملة مهاجمة إيران. أما لجوء واشنطن إلى مجلس الأمن، بدعم من تقرير البرادعي الذي سيدين فيه إيران والذي ليس مضطراً لتقديمه بنهاية مهلة نهاية إبريل، حيث لم يعد للمهلة معنى بعد إعلان طهران أنها أصبحت دولة نووية، فإنه يهدف إلى اتخاذ قرار يدين إيران ويطالبها بوقف أنشطتها النووية، كحد أدنى حتى يكون رفضها للقرار سبباً لشن الهجوم عليها وحتى لا تتهم واشنطن بأنها تجاهلت المجلس كما حدث في غزو العراق. والأفضل، ولكنه الأصعب، أن يصدر المجلس قراراً يؤكد فيه أن أنشطة إيران النووية تعكر صفو السلم والاستقرار، وأن رفضها الامتثال للقرار بموجب المادة ٤٠ من الميثاق يفتح الطريق أمام المجلس لاتخاذ إجراءات عسكرية أو غير عسكرية وفق المادتين ٤١، ٤٢ من الميثاق.

أما المبرر الثاني الذي تقدمه الإدارة الأمريكية فهو : أن إيران قد انتهكت اتفاقية منع الانتشار النووي، ولكن الوكالة هي التي تستطيع أن تقرر ذلك. والواضح أن إيران لم تنتهك التزاماتها وفق هذه الاتفاقية. وأما المبررات التي قدمها كيسنجر فهي أنه رغم أن نظرية الضربة الاستباقية التي قدمها الرئيس بوش قد لقيت نقداً كبيراً، إلا أنها في نظره تصلح في حالة إيران ما دامت إيران تهدد المصالح الأمريكية تهديدا

مباشرا. وقدم كيسنجر عدداً من مبررات تطبيق نظرية الضربة الاستباقية، منها التدخل الإنساني، كما حدث في كوسوفو، حيث قامت ١٩ دولة بقيادة الولايات المتحدة في إطار حلف الناتو بضربات جوية ضد يوغوسلافيا. كما قامت واشنطن بإسقاط نظام صدام حسين استجابة لرغبات الشعب العراقي. ويفهم من نظرية كيسنجر أنه يبرر الهجوم على إيران ليس فقط بسبب أنشطتها النووية التي تشكل، كما يقول، تهديداً للمصالح الأمريكية، وإنما للتخلص من نظامها الذي تسبب في هذه الأزمة والذي يتناقض في زعمه مع احتياجات الشعب الإيراني. وهكذا يوسع كيسنجر أهداف الهجوم الأمريكي على إيران متجاهلاً الطابع الديمقراطي للنظام الإيراني، والشعور القومي الجارف للشعب الإيراني، والظروف الإقليمية التي تعاني فيها واشنطن من كراهية مريرة في العالم العربي والإسلامي، كما يتجاهل مخاطر الهجوم العسكري، فضلاً عن أنه يتجاهل الفوارق الجوهرية بين العراق وإيران والظروف المحيطة بكل منهما، فأوعز إلى واشنطن بكل هذه المزاعم، مع فارق هام، وهو أن العراق نفى وجود أسلحة دمار شامل ، وأصرت واشنطن على الكشف عن كذبه، بينما إيران تعلن عما لديها من أسلحة وترى واشنطن أن تهاجمها عسكريا، فتكون إيران في نظره أولى بالهجوم من العراق.



9

إيران أمام مجلس الأمن: تطور علاقة المجلس بالقضايا النووية

وافقت الدول الخمس الدائمة العضوية فى مجلس الأمن على إحالة الملف الإيرانى النووى إلى مجلس الأمن عن طريق الوكالة الدولية للطاقة الذرية، حتى يكون المجلس هو المختص بإدارة الأزمة النووية ضد إيران.

أما علاقة المجلس بالقضايا النووية، فقد تطورت فى إطار تطور دور المجلس بعد انتهاء الحرب الباردة، حيث أصبح المجلس هو الحكومة العالمية التى تقرر مصير السلم والأمن الدوليين. ولذلك نشط المجلس فى مجال الجزاءات، وخاصة فى المنطقة العربية. ولم يكن للمجلس علاقة بنزع السلاح والقضايا النووية قبل غزو العراق للكويت. ومما يذكر أن واشنطن كانت تهدد أيضاً كوريا الشمالية بإحالة ملفها إلى مجلس الأمن خلال الأزمة النووية الأولى معها عام ١٩٩٤. فكيف تطور دور مجلس الأمن فى القضايا النووية منذ نهاية الحرب الباردة حتى الآن؟

الوكالة والجمعية العامة وقضايا التسلح:

الأصل أن الميثاق قد عهد إلى الجمعية العامة بالاشراف العام على أعمال المنظمة الدولية، وخاصة في قضايا السلم والأمن الدوليين، ومن بينهما قضايا نزع السلاح، حيث راود واضعى الميثاق حلم النزع الشامل والكامل للسلاح بجميع أنواعه

تقليدياً وكيماوياً ونووياً، على أساس أن العلاقة بين إنتاج السلاح وحيازته، وبين التوترات والحروب علاقة مؤكدة. ومن ثم، فإن نزع السلاح يخفف أدوات الصراع بما يؤدى إلى تسويتها، ولا يزال هذا المفهوم سائداً فيما نراه في كل القرارات الصادرة إبان الحروب والأعمال المسلحة، والتي تؤكد على خطر تزويد المتقاتلين بالسلاح حتى يضطروا إلى التفاوض والسلام.

وإذا كانت الجمعية العامة هي الجهاز المختص بقضايا نزع السلاح بالنظر إلى الدور الشامل للجمعية في الميثاق، فقد خص الميثاق مجلس الأمن بمهمة دقيقة، وهي المسئولية الأولى عن حفظ السلم والأمن الدوليين، متذرعاً بسلطات وصلاحيات محددة إذا قرر أن موقفاً أوعملاً يؤدي إلى تعكير صفو السلام أو انتهاكه أو كونه عملاً من أعمال العدوان، وترك للمجلس بموجب المادة ٣٩ سلطة تعتبر واسعة دون معقب عليه حول ما يشكل أحد هذه المحددات الثلاثة.

وفي ضوء ظروف الحرب الباردة كان ينظر إلى قضايا التسلح نظرة هامشية، ولكن الوكالة الدولية للطاقة الذرية قد نشأت خصيصاً لضمان عدم تحول الأنشطة والطاقة النووية عن الأغراض السلمية إلى الاستخدامات العسكرية، وأن علاقاتها الأساسية في ذلك تنحصر في الجمعية العامة وليس المجلس، الذي تقلب دوره خلال الحرب الباردة، فبدأ قوياً في نظر الاتحاد السوفيتي، ضعيفاً في نظر واشنطن التي كان لها اليد الطولى في الجمعية العامة، ثم عادت واشنطن تركز على المجلس، وتغفل الجمعية منذ منتصف السبعينات عندما بدأ العالم الثالث يحكم قبضته على قراراتها المناهضة للولايات المتحدة. وهكذا صارت الوكالة والجمعية وقضايا التسلح من سقط المتاع، خاصة وأن مستوى التسلح إبان اشتداد الحرب الباردة واحتدام سباق التسلح كان يتحدد بمستوى الصراع بين العملاقين، وتجمد

دور مجلس الأمن والأمم المتحدة بأسرها وحل محلها نسق العلاقات الثنائية بين العملاقين .

تطور دور المجلس في القضايا النووية

مع نهاية الحرب الباردة أدى اختفاء الاتحاد السوفيتي كقوى عظمى، وانتهاء الحرب الباردة، وتطورات أزمة الخليج في تلك الأثناء عامى ١٩٩٠-١٩٩١ إلى تطور غير مسبوق في دور مجلس الأمن، حيث توسع المجلس كثيراً في تفسير أحوال انتهاكات السلم وتعكير صفوه، وأعمال العدوان، واستخدام الفصل السابع، ورأينا ذلك في أزمة الخليج والأزمة الليبية الغربية والصومال والبوسنة وهايتي، حيث اعتبر المجلس أن خلع الرئيس المنتخب ديمقراطياً في انقلاب عسكري يهدد السلم الدولي، مما يتطلب الضغط بالجزاءات الدولية في الفصل السابع على الحكومة الانقلابية، بل والتفاوض معها على شروط انهاء الجزاءات، وعودة الرئيس المخلوع.

ولما كان اتساع دور مجلس الأمن وتوسعه في تفسير قضايا السلام من خصائص الوضع الدولي الذي أعقب انتهاء الحرب الباردة، فقد بدأ المجلس دوراً جديداً في قضايا نزع السلاح بمناسبة أزمة الخليج، حيث قرر المجلس بقراره رقم ٦٨٧ عددا من الإجراءات لتصفية القدرات العراقية في مجال الأسلحة غير التقليدية، استكملها بإجراءات القرار ٧١٥، وعهد المجلس إلى لجنة خاصة وإلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية مهمة القيام بالتفتيش على المنشآت والمواقع العراقية، التى التزم العراق بالتعاون مع الأمم المتحدة بإخضاعها للتفتيش وتدمير محتوياتها، على أساس أن السلوك العدواني في أزمة الخليج يجعل وجود هذه الأسلحة لدى العراق خطر يهدد السلم والأمن الدوليين، وأن تدمير هذه الأسلحة وإخضاع العراق للرقابة الدولية

الدائمة في هذا المجال من عناصر تقدير عودة السلم والأمن في المنطقة إلى نصابها .

وتأتي الحالة الكورية بعد حالة العراق بأوضاع وظروف مختلفة، لتطرح من جديد دور الوكالة وعلاقاتها بمجلس الأمن، حيث يُلاحظ أن الصين لها دور في المسألة الكورية، مثلما كان لها دور حاسم في الأزمة الكورية في الخمسينات. ولذلك لا نعتقد أن مجلس الأمن سوف يكون بوسعه أن يقوم بدور في المسألة الكورية رغم أهميتها وخطورتها بالنسبة للولايات المتحدة، مثلما تصرف بحرية كاملة في حالة العراق، حيث تقطع الشواهد التي ترتسم كل يوم في الممارسات الدولية أن البعد الإسرائيلي كان العامل الحاسم في القضية العراقية، وهذا البعد ليس واضحاً في المسألة الكورية، إلا بقدر ما يتعلق بالتعاون الكوري مع بعض الدول المناهضة لإسرائيل بما يثير حساسيتها، ويزعج واشنطن بالتالي. ولا شك أن البُعد الإسرائيلي أشد وضوحاً فى حالة إيران، بل إن إسرائيل تهدد بضرب المنشآت النووية الإيرانية.

ومن السهل أن يؤكد مجلس الأمن حقه في استخدام إجراءات الفصل السابع إذا رفضت دولة الامتثال لطلب إخضاع منشآتها التي تحوطها الريب والشك للتفتيش الدولي، على أساس أن رفض التعاون مع الوكالة يُعرض السلم الدولي للخطر من حيث أنه يثير الجزع في نفوس الدول المستهدفة لهذا الخطر النووي، ويبيح لهذه الدول الدخول في سباق التسلح بما يعصف بالأمن والاستقرار في المنطقة .

العالم العربي ودور المجلس في إطار اتفاقية منع الانتشار النووي

إننا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في الأمن العربي النووي، في ضوء الاعتبارات الآتية:

أولاً : أن المتأمل في اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية يخلص إلى أنها تجمد أوضاع القوة النووية، بحيث تظل الدول النووية على حالها، ويحظر على الدول غير

النووية التحول إلى قوى نووية، ولم تتضمن نظاماً خاصاً للضمان والرقابة والتفتيش، وتركت للدول أن تتفاوض مع الوكالة لتحديد نظام الضمانات الذي يناسبها، بل للدول حق الانسحاب إذا قدرت أن أحداثاً استثنائية متصلة بموضوع الاتفاقية قد هددت المصالح العليا لها، ويخطر مجلس الأمن بذلك دون أن يحرك ساكناً .

وقد استشعرت الدول النووية الكبرى هذا الخلل الكبير الذي أثار مخاوف الدول غير النووية، فأصدرت إعلاناً مشتركاً يؤكد عزمها على العمل على أن يتخذ مجلس الأمن عملاً لكي يقدم المساعدة الفورية لأية دولة غير نووية طرف في الاتفاقية تقع ضحية عمل من أعمال العدوان أو التهديد باستخدام الأسلحة النووية، وهي تعلم وظيفة الأسلحة النووية الأساسية هي التأثير في موازين القوى السياسية والتفاوضية وليس العسكرية.

ثانياً: إذا كان مجلس الأمن سوف يقوم بدور في منع الانتشار النووي، وأنه بالفعل تحمس لذلك في مسألتي العراق وكوريا وإيران، فنحن نأمل أيضاً أن يتحمس بشأن التسلح النووي الإسرائيلي الذي يشكل عقبة نفسية وعملية في سبيل إشاعة مفهوم السلام الآمن في المنطقة، ولا يجوز التذرع بمقولة أن السلاح النووي في أيد إسرائيلية تقدر ظروف استخدامه واستغلاله مقارنة بالسلوك العراقي إبان أزمة الخليج، ولابد من تأمينه من كل أسلحة الفتك الشامل، والانصراف إلى علاقات سلمية تنموية عامة.

ثالثاً: أن الموقف العربي المطالب بوقفة نووية مع إسرائيل يجب أن يكون موقفاً جماعياً لا هوادة فيه صيانة لحق الجميع في البقاء على المستقبل الآمن من الخوف والتهديد. ويستند الموقف العربي إلى حقيقتين:

الحقيقة الأولى: أن عدداً من الدول العربية قد انضمت إلى هذه الاتفاقية ومنها مصر والعراق والكويت وليبيا والمغرب والسودان واليمن وسوريا، أي معظم الدول العربية عند بدء نفاذ الاتفاقية عام ١٩٧٠، وترفض إسرائيل حتى الآن الانضمام إلى الاتفاقية أو القبول بنظام الضمانات مع الوكالة الذرية، مما يجعل الدول العربية في موقف أضعف قانوناً من إسرائيل في هذا المجال.

الحقيقة الثانية: هى أن قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ قد أشار صراحة إلى أن الإجراءات الدولية إزاء أسلحة العراق هي خطوة أولى نحو تحرير الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

ومادام العالم العربي قد قبل تدمير أسلحة العراق لصالح السلام الشامل وافترض أن إسرائيل هي المحطة التالية، وانضم بكل الإخلاص لاتفاقية منع الانتشار النووي، وأن التفوق النووي والتسليحي الإسرائيلي يثير قلقه ومخاوفه ويؤثر على قراراته، فإن العالم العربي يجب أن يتخذ موقفاً موحداً بمطالبة إسرائيل بالانضمام للاتفاقية، وفتح منشآتها للتفتيش، ومطالبة الوكالة بتبني هذا الموقف، وكذلك حث مجلس الأمن على اتخاذ موقف تجاه إسرائيل إذا هي لم تكترث بطلب الوكالة، ولا يجوز أن نفوت فرصة إثارة المسألة الكورية لتضاف إلى الفرص الكثيرة الضائعة في سجلنا.

ومن المفيد أن يتخذ العالم العربى موقفاً موحداً من التسلح النووى فى المنطقة، وأن يتخذ موقفاً واضحاً من الملف النووى الإيرانى فى ضوء ما يعلمه الجميع من أن الولايات المتحدة تحاول تثبيت إسرائيل كقوة نووية وحيدة فى المنطقة، بصرف النظر عن الجدل الدائر حول جدوى السلاح النووى الإيرانى، وما يستهدفه هذا السلاح، ونوايا إيران فى الاستفادة السلمية أو التسلح النووى.

10

إيران وإسرائيل وانشطار مفهوم الأمن القومي العربي

يجب أن نعترف ابتداء بأن مفهوم الأمن القومى العربى ارتبط بالمد القومى على افتراض أن الأمة العربية أمة واحدة ومن حقها أن يكون لها دولة واحدة. نعترف أيضاً بأن ضرب المد القومى بدد فكرة الأمن القومى وكل ما هو قومى. وإذا كان العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧ قد سدد ضربة نجلاء إلى قاطرة المد القومى وهى مصر، فإنه بنفس القدر تابعت إسرائيل مصر حتى أخرجتها تماماً من الساحة القومية من منظور مواجهة المشروع الصهيونى. ولكن صدام حسين بغزوه الكويت وتداعيات هذا العمل أنهى كل حديث عن الأمن القومى مادامت الكويت لم يسعفها هذا الأمن القومى الذى رفع رايته الغزو العراقى، ثم كان غزو الولايات المتحدة للعراق وتداخل الدور الإيرانى مع الأمريكى والإسرائيلى هو المناسبة التى جعلت المقارنة واردة عند البعض بين إيران وإسرائيل كمصادر لتهديد الأمن القومى، على خلاف بين الكتاب والمفكرين حول درجة تهديد كل منهما لهذا الأمن الذى أظن أنه لم يعد موجوداً. نعترف ثالثاً بأن فكرة الأمن القومى ليست موجودة إلا فى المنطقة العربية، أو فى النسق الاستراتيجية للدول العظمى مثل الولايات المتحدة التى ترى أن معظم ما يقع فى العالم له علاقة بشكل ما بأمنها القومى.

وتلح على المنطقة العربية بعد مجيء نتانياهو إلى الحكم فى إسرائيل حالة من التشتت والضياع أعقبت حالة الانسحاب الأختيارى من الساحات تركت للصراع إما بين إيران وواشنطن أو بين إيران وإسرائيل أو بين إيران من ناحية وواشنطن وإسرائيل من ناحية أخرى فى الأغلبية الساحقة من الحالات. وسبب التشتت وضياع البوصلة واضح وهو غموض الموقف الأمريكى من إيران أو قل عجزه وميله إلى المساومة والحلول الوسط، يقابله تشدد إسرائيل فى فرض البرنامج الصهيونى بالكامل وفرض خيار ضرب إيران، وكذلك تشدد إيران فى ملفها النووى.

وبين إيران وإسرائيل بدأ يظهر إلحاح أمريكى يسانده طلب مباشر إسرائيلى مفاده أن المشكلة بين العرب وإسرائيل سببها إيران التى تساند المقاومة، ولولا المقاومة لأمكن تسوية كل شيء ولعاش العرب واليهود فى سلام دائم. يترتب على ذلك أن العرب لا يجب أن يواجهوا ضغطهم إلى إسرائيل من أجل تسوية القضية الفلسطينية وإنما يعترف بإسرائيل مقابل مواجهة إسرائيل لخطر عاجل وهو الخطر الإيرانى الذى يهدد الأمن القومى العربى، وبعد إزاحة الخطر الإيرانى يصبح التفاهم ممكنا بين إسرائيل المنتصرة النووية المتفردة بكل أصناف القوة وبين العرب الضعفاء الحلفاء نيابة عن الفلسطينيين، ثم يطلب من العرب توطين الفلسطينيين فى أراضيهم الشاسعة وإخلاء فلسطين كلها لإسرائيل واليهود مما يجعل للتحالف العربى الصهيونى معنى، ويتوقف سبب المشكلة وهو مطالبة الفلسطينيين بحقوق من إسرائيل يدعونها، ورفض إخلاء فلسطين ومقاومة حتى محاولات إبادتهم.

يبدو أن هذا التصور هو الذى يتم التفاهم حوله بحيث تتحدد مساهمات الخليج ومصر فى التسهيلات اللوجستية الإسرائيلية وأظن أن الغواصة النووية التى قالت

الصحف الإسرائيلية أنها عبرت قناة السويس قد اتجهت إلى القاعدة البحرية الأمريكية فى البحرين، وقد أعلن عن مرور أخرى يوم ١٤ يوليو.

عند هذه النقطة يمكن أن نفهم الأمن القومى العربى الذى ورد مرة واحدة فى قمة الرياض ٢٠٠٧ على أنه قد انشطر إلى نوعين من الأمن متعارضين ومتصارعين: أمن النظم العربية وأمن الأوطان العربية. فلا يجادل أحد فى أن أمن بعض النظم العربية قد أصبح على حساب أمن الوطن وخصما منه لصالح أعداء الوطن أو الذين يعملون لتقويضه وأخص به المشروع الصهيونى وما يلحقه قطعاً من دعم أمريكى أعمى ولكنه فى عهد أوباما أصبح دعماً بصيراً. فإيران تحارب المشروع الصهيونى. وهذا هو السبب فى تصدى هذا المشروع لها، وتحارب إيران المشروع من خلال التصدى المباشر له، ودعم المقاومة العربية له، فتكون حربها للمشروع خدمة لأمن الأوطان العربية، وهذه المساندة الإيرانية هى التى تفزع بعض النظم العربية التى يرتهن بقاؤها بالاستجابة لمتطلبات التحالف مع واشنطن وطلبات إسرائيل بالتالى. ومادام الحاكم فى العالم العربى هو الذى يحدد معنى الأمن القومى لبلاده وللعالم العربى من خلال ما يؤمن نظامه فقد ساد منذ فترة حديث متواتر من المفكرين والنظم على السواء عن الأمن القومى العربى فمن ينتصر فى المعركة الراهنة: أمن النظم، أم أمن الأوطان؟ ولهذا السبب فإن كل مطالبات بتحويل السلطة بطرق مختلفة إلى الشعوب العربية يؤدى إلى نقل مركز الثقل من أمن الحاكم إلى أمن الوطن ويتبقى اللغز: إذا كانت النظم المستبدة فى العالم العربى كانت هدفاً لإسرائيل لأنها حمت نظمها فى ظل حماية الأوطان، فهل تصدق أن واشنطن تريد حقاً نظماً ديمقراطية تنحاز تماماً لأمن الأوطان وتناهض تماماً المخطط الصهيونى؟.

11

أين يقف العرب في صراع المشروعين الإيراني والإسرائيلي

يفترض هذا التحليل أن القضية الأساسية فى المنطقة هو المشروع الصهيونى، وأن المشروع الإيرانى عقبة فى مثل هذا المشروع، وكلاهما يتصارع مع الآخر للسيطرة على الجسد العربى

وتكمن مصالح العرب فى هزيمة المشروع الصهيونى و ترشيد المشروع الإيرانى.

عندما يعلن نتانياهو بعد لقائه بزعماء مصر والأردن أن الخطر الاستراتيجى حل محل الصراع العربى الإسرائيلى وأن هناك تفاهما إسرائيليا عربيا على ذلك لأول مرة منذ قيام إسرائيل، فإن هذا التصريح إما أنه يعكس تفاهمات حقيقية كما يقول، فى وقت تعلن فيه واشنطن أن أولوياتها المطلقة فى المنطقة هى إيران وكيفية مواجهتها ، و إما أنه يعبر عن تمنياته بأن يصطف العرب معه فى معركته ضد إيران، وفى هذه الحالة يجب على الدول العربية المعنية أن توضح موقفها من الصراع الجديد بين إيران وإسرائيل .

وهناك حقائق لا يجوز أن تغيب وراء السحب التى تنشرها واشنطن وإسرائيل حتى لا تغيب الرؤية العربية الصحيحة ، كما يجب أن يحدد العرب بوصلتهم وفق هذه الحقائق.

الحقيقة الأولى: هى أن المصلحة العربية المؤكدة هى أن تتجاوب إسرائيل بلا أى

مقابل فى ملف إيران أو غيره مع المبادرة العربية للسلام ، وأى التفاف عليها مرفوض ، و يتطلب البحث عن سبيل أكثر جدية لمواجهة إسرائيل فى ملف الصراع.

الحقيقة الثانية: هى أن الصراع العربى الإسرائيلى أساسه زرع إسرائيل فى المنطقة و أن عملية التبسيط و التقليل من مخاطر المشروع الصهيونى التى نسمعها من بعض المسؤولين وبعض السياسيين العرب و بعض الأوساط تعبر إما عن يأس عن المواجهة وإرهاق من طول هذه المواجهة، أو يأس من الحال العربية ، أو تناغم مع المشروع الصهيونى. يترتب على ذلك أن إسرائيل هى العدو الدائم، وأنه لايمكن مقاومتها ،بخلاف ما يحدث الآن بإيران أو بغيرها ، بل ذهب البعض إلى أن إيران أخطر على العرب من إسرائيل ، وتلك قد تكون نظره آنيه غير استراتيجية ناجمة عن الخطر الحال و ليس اخطار المآل. فقد نفهم أن بعض العراقيين يرون فى أن إيران خطر أكبر من إسرائيل وهم يعلمون أن إسرائيل شاركت وحرضت وساهمت فى غزو العراق و أن دمار العراق كان دائما مطلبا إسرائيليا، كما تتمنى دمار مصر وغيرها من الدول العربية الرئيسية. وقد نفهم أن الكويتيين تضرروا من صدام حسين و ليس من إسرائيل، مما جعل العراق صدام و ليس إسرائيل هى الخطر المآل بل الخطر المفترض. ونفس القول ينطبق على سكان البحرين ، كما قد يرى المغاربة فى أقصى الأرض أن عداءهم لإسرائيل يقوم على أساس التضامن مع الفلسطينيين والتعاطف مع وحشية إسرائيل ضدهم. ولكن الذى لا أفهمه مطلقا أن توافق الأردن ومصر أو غيرهما على أن يقوم إسرائيل بضرب إيران لأن ذلك يعنى أمرين لا ثالث لهما : الأول هو أن إسرائيل تحارب إيران نيابة عنهم و هذا غير صحيح والثانى هو أن إسرائيل ليست مطالبة بأى التزام تجاه العرب حتى تنتهى تسوية

ملفها مع إيران ، و التسليم بذلك يجافى أبسط مبادئ الفهم لقواعد اللعبة الأساسية الأولية ، وهى أن إسرائيل المنتصرة على إيران مع إسرائيل المعتدية بحكم مشروعها سوف يطلق مشروعها فى جسد العالم العربى بلا كوابح، و معنى ذلك أن العرب يحاربون قضاياهم عمليا بينما يظهرون نظريا حرصهم على الدفاع عن هذه المصالح. و لا أظن أن عربيا واحدا حاكما أو محكوما يوافق على هذا المنطق السقيم.

الحقيقة الثالثة: هى أن العرب لا علاقة لهم بملف إيران مع إسرائيل وأن انشغال إسرائيل بهذا الملف دون مستحقات السلام المطلوب منها لا يعفيها مطلقا من استحقاقات هذا السلام. ولذلك فإن موقف العرب يجب أن يتراوح بين اتجاهين،إما الحياد التام فى هذا الصراع الذى يقوم بين مشروعين متنافسين على جثة العالم العربى، و إما منع المواجهة العسكرية أصلا حتى لايضار العالم العربى من شظايا هذه المعركة المدمرة. أما الاصطفاف العربى مع إسرائيل ضد إيران فإنه يلحق بالعرب ثلاثة مجموعات من الخسائر بشكل محقق:الخسارة الأولى هى توجيه الضغط على إسرائيل، الذى يمارس الآن لصالح العرب وإفلاتها من الاستخفافات السياسية والجنائية بسبب وحشيتها ضد الفلسطينيين ، والخسارة الثانية هى حتما التفاهم الإسرائيلى الإيرانى على حساب العرب بالطبع.

فإذا جاز للحكام العرب أن يجتهدوا فى اتخاذ المواقف فإنه فى هذا الموقف بالذات الذى يضر بالعرب ضررا بليغا لا أظن أنهم يملكون ترف القرار وأن أمامهم قرار واحد هو انقاذ بلادهم من الأضرار المحققة لأى صراع عسكرى إيرانى إسرائيلى، ودفع إسرائيل إلى التخلى عن مشروعها فى العالم العربى.

الحقيقة الرابعة: من الخطأ إحداث مقايضة بين مساندة العرب لإسرائيل ضد إيران على أمل أن تبدى إسرائيل مرونتها فى ملف الصراع العربى الإسرائيلى .

وسبب الخطأ هو أن العرب سوف يخسرون فى هذه الصفقة كما خسروا فى جميع مراحل عملية السلام التى ترفع شعار السلام لإسرائيل على حساب العرب ، بل إن استجابة العرب لإسرائيل يقنع إسرائيل بأن العرب قد استجابوا فى الواقع للضغط الأمريكى وليس حبا فى إسرائيل أو حبا فى إيران، فتكون النتيجة فى استمرار التشدد الإسرائيلى والمطالبة بالتطبيع مع كل العالم العربى ، بيد أن الحقد الإسرائيلى على العرب و النظرة السلبية اليهم لن تزول.

الخلاصة، أنه فى هذا الصراع بين المشروعين الإيرانى والإسرائيلى يجب أن يدرك العرب أنه تكالب على الجسد العربى، فكيف يسلم العرب أنهم مأكولون و أنه أفضل لهم أن تأكلهم إسرائيل أفضل أن تلتهمهم إيران.

فإذا كانت تلك هى نظرة الحكومات العربية، فإن شعوب المنطقة وعقلاءها يعطون الأولوية المطلقة للمصلحة العربية و التى تدعو إلى حقن الدماء ومنع الصدام الإيرانى الإسرائيلى، والحوار مع إيران ، واستمرار الضغط على إسرائيل ، لأن الصراع المميت بين الطرفين خطر على العرب، كما أن التوافق بينهما سيكون على حساب العالم العربى. أن التهام العرب ليس قدرا مقدورا كما يسلم المشروع الصهيونى والإيرانى ، وأن العرب يجب أن يكون لهم مشروعهم المناهض للمشروع الصهيونى والمواجه للمشروع الإيرانى.

12

كيف يتعامل العرب مع الملف النووي الإسرائيلي؟

الثابت أن إسرائيل لديها أسلحة نووية وإن كان يحلو لها تستمع إلى هذه التكهنات دون أن تؤكد أو تنفي ، ولكن الوكالة الدولية للطاقة الذرية تعتقد أنها دولة نووية : **فكيف يتعامل العرب معها ؟**

إذا افترضنا أن هذا السلاح خطر على العرب ، فإن هناك ثلاثة مناهج مطروحة أمام العرب في هذا الشأن :

المنهج الأول : الإلحاح على إسرائيل بصور مختلفة في المجال النووي ، تارة بنزع سلاحها ، وتارة بضبط استخدامه من خلال الانضمام لمعاهدة منع الانتشار النووي مع التمسك بالمطالبة بإخلاء المنطقة من كل أنواع أسلحة الدمار الشامل.

المنهج الثاني : هو التسلح النووي العربي المقابل .

والمنهج الثالث : هو التركيز على انضمام إسرائيل إلى معاهدة منع الانتشار .

لكن هل أي من هذه المناهج يوفر للعرب الأمن إزاء السلاح النووي الإسرائيلي خاصة بعد فصول الهمجية الإسرائيلية التي صبغت تاريخ الحركة الصهيونية وأبرزتها أجهزة الإعلام في لبنان وفلسطين بحيث بدا احتمال استخدامها للسلاح النووي أمرًا واردًا ، بل إنها هي نفسها هددت باستخدامها بعد عجزها عن التغلب على المقاومة الباسلة لحزب الله ؟.

هذه المقدمة بحاجة إلى مزيد من التحليل نظرًا لخطورة القضية واستمرارها وعجز العالم العربي عن التعامل السليم معها :

حتى الآن ركز الموقف العربي على أن حيازة إسرائيل لأسلحة نووية حتى لو لم تعترف بذلك يشكل خطرًا عليهم وسوطًا تلهب به ظهورهم وأداة لابتزازهم السياسي ، بينما تقول إسرائيل أنها تحوز كل أنواع الأسلحة ليس حبًا في حيازتها ولكن لأنها تشعر بخوف جارف من العرب وأن الشعور بالأمن مسألة ذاتية لا يمكن أن تحلها تعهدات أو معاهدات أو ضمانات خارجية ، وهي لا تخفي أن السبب في هذا الشعور أنها غرست في هذه المنطقة وتعلم جيدًا أنها اغتصبت أراضي غيرها وابتدعت شرعية دولية خاصة بها عندما تم تقسيم فلسطين بين المهاجرين وأصحاب الأرض ، ناهيك عن الأساطير التي تحشدها الدعاية الصهيونية لتبرير هذا الاغتصاب التاريخي . ولذلك فإن كل محادثات ضبط التسلح في المنطقة والقضايا الأمنية لم يكتب لها النجاح .

ورغم تسليم العرب بخطورة السلاح النووي الإسرائيلي فإنهم يقنعون أنفسهم بأن استخدامه مستحيل ، فلم يحدث أن استخدم سلاح نووي منذ هيروشيما ١٩٤٥ وأن استخدامه وبال على إسرائيل قبل العرب .

كذلك ظهر اتجاه في العالم العربي يهون من شأن هذا السلام ويعمق بذلك المنطق الإسرائيلي وهو أن العبرة بمن يستخدم السلام ويحوزه وبحكمته في التعامل معه وليست العبرة بمدى خطورة السلاح .هذا المنطق هو الذي دفع واشنطن إلى تعظيم خطورة أسلحة صدام حسين المزعومة تبريرًا لغزو العراق ، كما أن المنطق هو نفسه الذي حول مصادر تهديد الأمن القومي من إسرائيل إلى العراق الذي اعتدى بالفعل على الكويت ، ثم ظهر اتجاه آخر ، اعتبر أن إيران وسلاحها النووي أخطر

من إسرائيل مستندًا إلى نفس المنطق الإسرائيلي ، وربما أضاف أنصار هذا الاتجاه أن مطامع إسرائيل أصبحت محصورة في فلسطين ، بينما مطامع إيران وإن اتجهت صوب الخليج إلا أنها تتبنى أيديولوجية دينية خطرة ، وطبعًا لم يذكر هؤلاء في مجال المقارنة أن إسرائيل تعمل وفق مشروع صهيوني كوني وأنها تتبنى أيديولوجية دينية – علمانية – عنصرية تستهدف العالم العربي كله بعروبته وإسلامه وصداقاته وتحالفاته ، كما نسي الجميع أنه مادام العالم العربي جثة هامدة فإن الجميع سوف يستهدفونه ، فالعيب في العالم العربي وليس في الأمم التي تتكالب عليه ، كما يتواثب الأكلة إلى مائدة الطعام .

والغريب أن العالم العربي كله انضم إلى معاهدة منع الانتشار ولم يكن السلاح الإسرائيلي جزءًا من حساباته ، رغم أن هذا الموضوع عرف طريقه إلى مؤتمرات القمة العربية لعدة سنوات . ويبدو أن السلام المصري الإسرائيلي ثم قمة مدريد للسلام قد افترضت أن قوة إسرائيل وتناميها هو من المعطيات السياسية والاستراتيجية في المنطقة مادام السلام الشامل وفق الرغبات الإسرائيلية لم يتحقق ، وفهم العالم والعرب معًا أن الصيغة التي ابتدعها العرب بأن السلام خيار استراتيجي يعني الهدوء وعدم التسلح وعدم منازعة حق إسرائيل في التسلح والقبول بكل ما تجود به إسرائيل .

لابد أن نعترف بأن قضية التسلح النووي الإسرائيلي لم تخضع لمناقشات عربية جادة أو تصور عربي جاد ، وانسجامًا مع المنطق السابق ، وبأن السلام خيار استراتيجي لعل ذلك يستجدي عطف العالم على كتلة عربية تستطيع ماديًا وبشريًا أن تستخلص حقها من غاصب يستقوي بغيره ، وتثير الرثاء عند العدو والصديق الذي لم يستطع أن يصدق أن مئات الملايين من العرب ووراءهم أكثر من مليار

مسلم سلموا لكيان غاصب مهما كانت مصادر قوته ، كما لا يستطيع أن يفهم هذا التناقض بين الموارد المادية الهائلة في الجانب العربي الذي تعيش معظم شعوبه على الكفاف بينما وصل متوسط الدخل الفردي الإسرائيلي حتى منتصف عام ٢٠٠٦ حوالي ٢٤ ألف دولار ، وتحتل إسرائيل في تقارير التنمية الإنسانية والبشرية العالمية رقم ١٧ بينما مصر أكبر الدول العربية وأغناها بالموارد البشرية والمادية تحتل رقم ١٦٥ وهي حقيقة كان يجب أن تدفع الوطنيين المخلصين من شدة خجلهم إلى تدارس الخلل الفظيع الذي يهدد بفناء مصر بعد هذا التدهور الخطير في مركزها بين الدول العربية والإفريقية ودول العالم .

وانسجامًا مع هذا الموقف العربي وقصة السلام الاستراتيجي التزم العالم العربي بضرورة إخلاء المنطقة بأسلحة الدمار الشامل لدى جميع الدول بما في ذلك إسرائيل أو يقصد إسرائيل . وقد قبل العالم العربي نزع أسلحة العراق ذات الدمار الشامل في قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ في مارس ١٩٩١ على أساس أن الخطوة التالية هي نزع سلاح إسرائيل ، وكانت واشنطن والعالم العربي يدركان أنه في تلك الفترة فإن سلاح صدام حسين هو الأخطر على منطقة الخليج بعد أن تم احتلال الكويت بالفعل مما أعطى حجة قوية لتيار سبق الإشارة إليه في العالم العربي لكي يؤكد على انتقال مصدر التهديد من إسرائيل إلى العراق ، ثم ينتقل المصدر بعد ضياع العراق الآن إلى إيران .

ويعلم العالم العربي جيدًا أن الخط العربي القاضي بتجريد المنطقة من جميع أسلحة الدمار الشامل عنوان فضفاض ، ولم يدرك البعض أن فكرة الأمن القومي العربي ترتبط بوجود مصادر تهديد متفق عليها لمصالح أمنية مشتركة ، ولذلك أصبح لكل دولة أو لكل منطقة بشكل عام خاصة الخليج نسق أمني مختلف بمصالح أمنية متباينة

بعد أن سقطت نظرية الأمن القومي العربي في الكويت عام ١٩٩٠-١٩٩١ .

كما يعلم العالم العربي أن للأمن الإسرائيلي بما في ذلك أمن المشروع الصهيوني في العدوان التوسعي حساباته وأهمها انكماش نظرية الأمن القومي العربي وانعدام تصور عربي عام لتناول الملف النووي الإسرائيلي ، وأن التزام العرب بعدم التسلح يرضي إسرائيل تمامًا وينسجم مع مخططاتها الاستراتيجية ، بل أصبح الخط العربي الذي كان يأمل أن ينظر العالم إليه باهتمام قيدًا على العالم العربي رغم أنه لا يفكر في كسر هذا القيد الاختياري .

ركز الموقف العربي على أنه طالما أن العالم العربي طرف في معاهدة منع الانتشار النووي فيجب على إسرائيل أن تنضم هي الأخرى إلى المعاهدة، ولكن هناك فرق في المركز القانوني بين الدول العربية وإسرائيل أمام هذه المعاهدة ، فالدول العربية دول غير نووية ومن حقوقها أن تحصل على ضمانات بعدم الاعتداء عليها من الدول النووية وأن تيسر لها الدول النووية الاستفادة من الاستخدام السلمي للطاقة النووية .

في هذا الإطار لا تكف الدول العربية عن المطالبة في جميع المناسبات بانضمام إسرائيل إلى معاهدة منع الانتشار النووي ، كان أحدثها في ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٦ عندما قدمت المجموعة العربية في المؤتمر العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية مشروع قرار يدعو إسرائيل إلى الانضمام للمعاهدة ولكن تصدت كندا للمشروع العربي ودفعت المؤتمر إلى تأجيل مناقشة الموضوع على أساس أن المناسبة هي الاحتفال بالذكرى الخمسين لإنشاء الوكالة . وبالطبع لم تكترث إسرائيل للفقرة التي اعتاد المؤتمر السنوي للوكالة أن يضمنها بيانه الختامي التي تدعو إسرائيل إلى الانضمام حتى يكون لمعاهدة منع الانتشار العالمية المطلوبة واللازمة لوضع سياسة أمنية مناسبة في

المجال النووي .

فما هو أثر انضمام إسرائيل على القضية النووية الإسرائيلية ؟

إن انضمام إسرائيل للمعاهدة كدولة نووية يكرس وضعها ، وتعلم إسرائيل جيدًا أن التزامات المعاهدة قصاصة ورق لا توفر لها أمنًا ولا تلزمها بتأمين غيرها إذا تعارضت مع مطامعها السياسية .

معنى ذلك أنه إذا استجابت إسرائيل للمطالب العربية وانضمت إلى المعاهدة وهو أمر شجعته واشنطن لساعات على سبيل الاختبار والمناورة وسحبته في مايو ٢٠٠٦ ، فإن ذلك سيجعل وضع إسرائيل أفضل كطرف، ولن يحل المشكلة وهي تسلح إسرائيل وعدم تسلح العرب .

وأغلب الظن أن العرب لا يعرفون ماذا يريدون كمجموعة ولا تعرف دولهم فرادى ماذا تريد مادامت علاقاتها بواشنطن تستغرق كل علاقاتها واهتماماتها ولم تعد ترى إلا واشنطن في السياسة والأمن والاقتصاد والاجتماع والدين ، باختصار في الدنيا وفي الآخرة .

وهل البديل هو تسلح إحدى الدول العربية نيابة عن العالم العربي نوويًا حتى يمكن تحييد السلاح النووي الإسرائيلي ، وهل الوضع بين إسرائيل والعرب يشبه الوضع بين الهند وباكستان ؟



13

كوريا وإيران ومستقبل سياسة منع الانتشار الأمريكية

لعل انعقاد مؤتمر المراجعة الدورى هذا العام ٢٠٠٥، والذى يعقد مرة كل خمس سنوات يكون فرصة لكى تراجع الولايات المتحدة سياسة منع الانتشار النووى العالمية، وسوف تكتشف على الفور أن هذه السياسة قد فشلت، وأن هذا الفشل يهدد السلام الدولى، كما أن لهذا الفشل أسباباً عديدة يجب الالتفات إليها باهتمام. فلاشك أن ظهور السلاح الذرى والإعلان الأمريكى عن امتلاكه فى الأسابيع الأخيرة اللاحقة على الانتهاء الرسمى للحرب العالمية الثانية بعد استسلام القيادة العسكرية اليابانية، ثم توقيع ميثاق الأمم المتحدة فى يونيو ١٩٤٥ كان عاملاً جديداً تماماً على المعادلة السياسية التى تصورها واضعوا الميثاق لعالم ما بعد الحرب. فقد أرادت الولايات المتحدة أن تضرب المدن اليابانية بالسلاح النووى بعد استسلام اليابان، إيذاناً بأن من يملك هذا السلاح هو القوة الأعظم بلا منازع، ولكن ما لبثت موسكو أن لحقت بواشنطن عام ١٩٤٩، وبذلك استمر سباق التسلح الذى لم ينته إلا باختفاء الاتحاد السوفيتى كأحد القوتين العظمتين. وقد أحدث ظهور السلاح النووى فى الاستخدام العسكرى آثاراً نفسية وسياسية وقانونية بالغة الخطورة، كما أدى انفجار مفاعل تشيرنوبيل وغيره من الحوادث النووية الأخرى إلى مخاطر صحية وبيئية أشد خطراً، فضلاً عما أحدثته من أثار مدمرة تطورات السلاح النووى واستخداماته

الإشعاعية فى الخليج منذ ١٩٩١ حتى الآن. ولما كان هذا السلاح بالغ الأثر التدميرى، فقد سعت دول كثيرة إلى حيازته، مادام حيازته تدخل الدولة فى عضوية النادى الذرى، الذى يتمتع فيه أعضاؤه بحصانة محققة ضد أى عدوان، كما يتمتع الأعضاء بقوة ردع سياسية ونفسية أكيدة. كان ذلك هو الدافع لحيازة إسرائيل ضد العرب، ومحاولات ليبيا، وحيازة الهند ضد الصين، وحيازة باكستان ضد الهند، وأزمة التسلح النووى الإيرانى الراهنة. ولاشك أن موسكو التى انتهى وضعها كقوة عظمى تستطيع أن تزرع الأشواك فى طريق الدولة العظمى الوحيدة فى العالم فى هذا المجال، بعد أن أصبح آلاف العلماء فى المعامل الخاصة بالصناعات النووية معطلة، وصار تصدير التكنولوجيا النووية أمراً عادياً مثل أى سلطة أخرى، أو سلاح آخر فى أسواق السلاح الدولية.

ولكن الولايات المتحدة التى تريد أن يحتكر أعضاء النادى النووى هذه السلطة دون غيرها، وكذلك خشيتها من أن تقع هذه الأسلحة وغيرها من أسلحة الدمار الشامل فى يد الجماعات الإرهابية اتبعت سياسية لمنع الانتشار تعانى من ثقوب كثيرة. صحيح أن سلام العالم على الأقل عدم وقوع حروب رئيسية بين العملاقين إبان الحرب الباردة كان أحد أهم أسبابه، فيما يجمع الباحثون هو توازن القدرة على التدمير المتبادل، إلا أن واشنطن تصورت أن وجودها فى سقف العالم يؤهلها لقيادة العالم، كما يؤهلها لفرض وصاية على دوله الساعية إلى حيازة الأسلحة النووية، ولكنها لم تدرك أن أهم ثغرات هذه السياسية النووية هو التمييز غير المبرر، فتسمح للبعض دون البعض الآخر، وتتصدى بنفسها كما لو كان المجتمع الدولى هو الذى رخص لها بهذا الدور. فى نفس الوقت تتحمس لإبرام اتفاقية دولية وافقت عليها الدول بالإجماع فى الأسبوع الثانى من أبريل ٢٠٠٥ لمنع وقوع أسلحة نووية أو

كيماوية أو بيولوجية فى أيدى الجماعات الإرهابية، فى الوقت الذى أصرت فيه بعض الوفود العربية والإسلامية على أن اصطلاح الجماعات الإرهابية لا ينطبق على جماعات التحرير الوطنى ضد الاستعمار أو الاحتلال الأجنبى.

فإذا كانت واشنطن قد تسببت بسلوكها فى استفزاز كوريا الشمالية، وقبلت تسلح إسرائيل حتى تهزم بالسلاح «أعداءها» فى المنطقة، وأنكرت على الدول العربية الحق فى حيازة أية أسلحة بما فى ذلك الصواريخ الروسية لسوريا، وهى صواريخ قصيرة المدى لن تصل إلى إسرائيل، وهى بالتأكيد صواريخ دفاعية، فإنها بشكل أخص تنكر هذا الحق على إيران، وعارضت قيام إيران نفسها بتخصيب اليورانيوم، وتبذل مع إسرائيل أقصى الضغوط على روسيا لوقف هذا التعاون. وقد حاول الرئيس بوش يوم ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٥ فى حديثه الشامل دفاعاً على سياساته الخارجية والداخلية، خاصة الأمن والاقتصاد والضمانات الاجتماعية أن يفند حجج إيران المؤكدة لحقها فى تخصيب اليورانيوم، بل وحيازة السلاح النووى، حيث أكد أن إيران دولة متطرفة، ولا يجوز السماح لها بحيازة السلاح النووى أو حتى الاستخدام السلمى للطاقة النووية، مادامت – كما يقول بوش – دولة بترولية رئيسية.

ومن الواضح أن أخطاء السياسية النووية الأمريكية تستغلها موسكو لتحسين موقفها إزاء الهجوم السياسى والدبلوماسى الأمريكى الذى يحاول تقليم أظافر موسكو فى الجمهوريات السوفيتية السابقة ومحاصرتها، بل والضغط على موسكو بشأن ممارساتها الديمقراطية. وهذا الصراع المكتوم بين موسكو وواشنطن يطال العديد من الموضوعات والساحات بحيث تشمل قضايا إيران وكوريا الشمالية وسوريا، حيث فشلت واشنطن تماماً فى فك الاشتباك على الأقل بين روسيا من ناحية، وبين إيران وسوريا من ناحية أخرى.

ولاشك أن واشنطن تدرك تماماً الفوارق بين كوريا الشمالية وإيران، وأهمها أن التسلح النووى الكورى موجه أساساً ليس فقط لتهديد اليابان التى تعتمد تماماً على واشنطن فى أمنها الخارجى، أو كوريا الجنوبية التى تفهمت خلال قمة جاكرتا فى أواخر أبريل ٢٠٠٥ ملف الأزمة النووية فى كوريا الشمالية، وإنما مكمن الخطر هو أن السلاح النووى الكورى يمكن أن يستخدم ضد الأراضى الأمريكية ذاتها لو توفرت صواريخ قادرة على حمل الرؤوس النووية إلى مدن الغرب الأمريكى. ورغم أن الأزمتين تفجرتا فى وقت واحد وتديرهما واشنطن فى نفس الوقت، إلا أن الخطورة هى أن تديرها واشنطن بعقلية واحدة ومنطق واحد، مادام الأمر فى النهاية يتعلق بحيازة غير مشروعة بالمعيار الأمريكى للقوة النووية.

فإذا كانت القوة النووية الكورية خطراً على الأراضى الأمريكية، وتشكل إحراجاً لواشنطن عند حلفائها الآسيويين، وأن واشنطن تدرك قواعد اللعبة فى المحادثات السداسية (من بينهم روسيا)، فإن التسلح الإيرانى بالتأكيد خطر على القوات الأمريكية فى الخليج والعراق وأفغانستان، كما أن هذا التسلح خطر على إسرائيل. ولكن هذا الخطر لن يكون حقيقة واقعة ما لم يتم مهاجمة واشنطن لأى أو لكل من كوريا وإيران. وقد لوحظ أن سياسة واشنطن مع كوريا الشمالية تتراوح بين الشدة واللين، وتقدم أحياناً إغراءات وإرضاءات معينة، ولكن عدم الثقة بين الطرفين سيظل أهم عقبة فى سبيل تسوية هذه المشكلة. وعلى العكس بالنسبة لإيران، حيث تسمح واشنطن أحيانا للحلفاء الأوروبيين باستنفاد فرص التسوية السياسية بناءً على إلحاح الحلفاء، واستثناء على سياسة الشدة الدائمة التى تتبعها واشنطن مع إيران، فى الوقت الذى لا تقل إيران عن كوريا تحدياً للولايات المتحدة. فإذا كان الاتحاد الأوروبى يلعب دور الوسيط غير الكامل مع إيران، وأنه اتهم من

جانب واشنطن بالضعف واللين الزائد، فإن هناك اتحادا بين الاتحاد الأوروبى وواشنطن وإسرائيل على إنهاء التسلح النووى الإيرانى بأى طريق سلمياً أو عسكرياً. ويبدو أن الأزمة مع إيران قد دخلت أيضاً على خط أزمة العلاقات بين الأمين العام للأمم المتحدة وواشنطن، فقد حذر الأمين العام من استخدام القوة ضد إيران، وهى لاتزال تبدى تعاوناً مع الحلفاء الأوروبيين فى محادثات لندن. ومن المعلوم أن الرئيس بوش أكد أكثر من مرة، كما أكدت إسرائيل أن استخدام القوة العسكرية ضد إيران ومنشآتها النووية ليس مستبعد، وأنه ضمن خيارات إدارة الأزمة معها. فلماذا تبدى واشنطن لينا مع كوريا الشمالية فى معظم الأحيان، ويصرح المسؤولون الأمريكيون دائماً بأن الحل السلمى هو الوحيد المطروح، بينما خط التشدد هو الذى يميز الموقف الأمريكى من إيران؟

يبدو أن هناك عدداً من الأسباب التى تحاول تفسير التباين فى الموقف الأمريكى.

السبب الأول: هو أن كوريا الشمالية قد أعلنت أنها تحوز بالفعل أسلحة نووية، وأن لديها مخططاً كاملاً للهجوم على الأراضى الأمريكية إذا بدأت واشنطن الهجوم عليها. أما إيران، فإنها لم تعلن عن أن لديها أسلحة نووية، فمن السهل الضغط على الطرف غير الحائز، بل ويمكن عسكرياً إجهاض محاولاته، بخلاف الطرف النووى الذى يتطلب نزع سلاحه الكثير من العوامل والأفكار والترتيبات، كما أنها سابقة مهمة بالنسبة للعرب فى مواجهة إسرائيل، فالضغط والهجوم على دولة تسعى لامتلاك السلاح النووى يختلف عن ذلك فى حالة دولة تمتلك هذا السلاح بالفعل.

أما السبب الثانى: فإن خطر كوريا الشمالية ربما بتواطؤ روسى وصينى وكورى جنوبى يمكن أن ينال الأراضى الأمريكية قبل القوات الأمريكية فى كوريا الجنوبية، أما خطر إيران فهو محصور فى الإضرار بالقوات الأمريكية فى الخليج.

السبب الثالث: هو أن إيران هدف أساسى من جانب إسرائيل، وهو ما يدفع واشنطن دائماً إلى مواقف عصبية غير منطقية، كلما تعلق الأمر بإسرائيل.

من ذلك يتبين لنا عمق الأزمة التى تعانيها واشنطن، فهى لا تستطيع أن تظل ساكنة إزاء بيونج بانج مع الضغوط اليابانية، كما أن الضغوط الإسرائيلية والتهديد لعمل إسرائيلى منفرد ضد إيران يجعل القضية فى الحالتين من أولويات السياسية الخارجية الأمريكية فى الوقت الراهن.

14

أثر تسوية ملف كوريا الشمالية على البرنامج النووي الإيراني

انتهت المفاوضات في الملف النووي الكوري الشمالي التي عقدت في بكين بنتائج تخالف تمامًا ما كان يتوقعه المراقبون عند بدء هذه الجولة من المحادثات رغم أن هناك الكثير من المؤشرات التي كانت تظهر أن كلاً من كوريا الشمالية والولايات المتحدة مستعدتان لدرجة معينة من المرونة وقد أعلن في ساعة مبكرة من صباح يوم ١٣/ ٢/ ٢٠٠٧ أن هذه المفاوضات قد أسفرت عن اتفاق لم يعلق عليه البيت الأبيض إلا بعد عدة ساعات حيث أكد المتحدث باسم البيت الأبيض سعادته الفائقة بهذا الاتفاق وأنها نصر للدبلوماسية الأمريكية وحذر من أن عدم تنفيذ كوريا الشمالية لالتزاماتها في هذا الاتفاق سوف يؤدي إلى استمرار العقوبات الدولية عليها .

ويتضمن الاتفاق الذي توصلت إليه الدول الست صفقة شاملة تتضمن ثماني نقاط : **النقطة الأولى** : تتعهد كوريا الشمالية بأن تغلق خلال ستين يومًا مفاعلها النووي الرئيسي في بيونج يانج في المجمع النووي الكوري تمهيدًا لتخلي كوريا الشمالية عن طموحاتها النووية .

النقطة الثانية : هي التزام كوريا الشمالية بالسماح للمفتشين الدوليين بالتحقق من إغلاق الموقع النووي .

النقطة الثالثة : تقدم كوريا الشمالية بيانًا كاملاً ببرامجها النووية وتتعهد بإبطال مفعولها في كل المحطات الحالية .

مقابل هذه الالتزامات الثلاثة تضمنت النقاط الرابعة حتى السابعة المقابل لهذا الالتزام وهو حصول كوريا الشمالية على الطاقة والغذاء والمعونات الأخرى بما يقدر بحوالي ٩٥٠ ألف طن من النفط الثقيل على أن يتم مناقشة تفاصيل المعونات في الجولة التالية من المفاوضات في ١٩ / ٣/ ٢٠٠٧ ، كذلك يقدم الاتفاق عددًا من الحوافز الدبلوماسية والسياسية لكوريا الشمالية ، وتلتزم الولايات المتحدة ببدء محادثات ثنائية لتطبيع العلاقات الكورية الأمريكية ورفع اسم كوريا الشمالية من قائمة الدول الراعية للإرهاب ورفع العقوبات التجارية الأمريكية دون الإشارة إلى العقوبات الدولية المفروضة بقرار مجلس الأمن ودون تحديد جدول زمني لهذا الالتزام ، كذلك تضمن الاتفاق أن تبدأ محادثات مماثلة بين اليابان وكوريا الشمالية لتطبيع العلاقات .

أما فيما يتعلق بالضمانات الأمنية وخاصة إبرام اتفاق بعدم الاعتداء المتبادل بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة فإن الاتفاق قدم حلاً بديلاً وهو أن يتم عقد مؤتمر دولي بعد ستين يومًا من إبرام الاتفاق تشارك فيه جميع الدول التي كانت أطرافًا في اتفاقيات جنيف عام ١٩٥٣ والتي أنهت الحرب في شبه الجزيرة الكورية على أن يقوم هذا المؤتمر بإنشاء آلية جديدة للسلم في جنوب شرق أسيا . وأخيرًا تضمن الاتفاق إنشاء خمس مجموعات عمل لهذه الموضوعات الخمس وهي : نزع سلاح كوريا الشمالية النووي ، العلاقات الكورية الأمريكية ، العلاقات اليابانية الكورية ، التعاون الاقتصادي ، ولجنة آلية الأمن والسلام في جنوب شرق آسيا .

ولاشك أن هذا الاتفاق قد رحب به العالم كله على أمل أن يزيل بؤرة خطيرة من

بؤر التوتر والتهديد للأمن العالمي ، ولكن الاتفاق يثير عددًا من المسائل الهامة **أولها**: الأسباب التي دفعت كوريا الشمالية والولايات المتحدة إلى هذا القدر من التقارب الذي سمح بإبرام الاتفاق رغم تباعد المواقف نتيجة عدم الثقة التي تشعر بها كوريا الشمالية تجاه الولايات المتحدة .

يبدو أن هناك عددًا من الضمانات التي قدمتها الصين وروسيا لطمأنة كوريا الشمالية إلى أن الولايات المتحدة لن تقوم على الأقل بمهاجمتها وأن فكرة تدمير المنشئات النووية الكورية ليست واردة في الاستراتيجية الأمريكية .

أما المسألة الثانية : فهي أن الاتفاق يعكس رغبة واشنطن في تهدئة كل الساحات حتى تتفرغ للمواجهة مع إيران ، ومعنى ذلك أن واشنطن قد قدمت تنازلات حتى يتسنى إبرام هذا الاتفاق وأنها قد لا تكون جادة في تنفيذه بعد ذلك مما يشير إلى احتمال تعثر الاتفاق ولكن بعد أن يكون قد أدى هدفه وهو تفرغ الولايات المتحدة لإيران .

المسألة الثالثة : هي أن هذا الاتفاق يعتبر بالفعل انتصارًا للدبلوماسية الأمريكية ولكنه يعتبر بشكل أكبر انتصارًا للدبلوماسية الصينية وكذلك لكوريا الشمالية .

المسألة الرابعة : هي أن هذا الاتفاق حتى لو كان اتفاقًا تكتيكيًا من وجهة أمريكية فإنه سوف يؤدي إلى آثار إيجابية في المنطقة وخاصة فيما يتعلق بالملف النووي الإيراني .

صحيح أن الملفين الكوري والإيراني لهما خصوصيات مستقلة ولا يجمع بينهما سوى أنهما يناهضان الولايات المتحدة وأن كلاً من كوريا الشمالية وإيران يقعان في منطقة مختلفة لها حسابات متفاوتة إلا أن هذه التسوية قد تعد نموذجًا لما يمكن أن يقدم لتسوية الأزمة النووية الإيرانية ، ولكن هذا الافتراض يقوم على افتراضين آخرين : **الأول** : هو أن الولايات المتحدة تريد تسوية الملف النووي الإيراني تسوية

سلمية لأن إسرائيل تلح على إزالة القدرات النووية الإيرانية بطريقة عسكرية لأن الاتفاق مع إيران سوف يعني التسليم لإيران بدور إقليمي كما أن مثل هذه التسوية سوف تسمح بوجود أطراف ثلاثة رئيسية تتحكم في المنطقة وهي إسرائيل وإيران والولايات المتحدة .

أما الافتراض الثاني فهو : أن الولايات المتحدة لم تتساهل في الملف الكوري لتحييد العوامل الأخرى التي تصرفها عن المواجهة مع إيران . ورغم كل ذلك فإن الآثار الإيجابية لهذا الاتفاق وتحمس الصين وروسيا لتطبيقه على الملف النووي قد يكون عامل ضغط جديد على الولايات المتحدة في إطار مساعيها في مجلس الأمن ضد إيران حيث تمكنت الدولتان من تحجيم الاندفاع الامريكي في المجلس بحيث خرج قرار العقوبات على إيران قرارًا لينًا ، وذلك بسبب المصالح الاقتصادية الكاسحة لكل من الدولتين لدى إيران ولفترة زمنية مقبلة تصل لربع قرن .

من ناحية أخرى لاشك أن هذا الاتفاق قد نزع فتيل أزمة طاحنة وخصوصًا الأزمة الصامتة بين الولايات المتحدة واليابان لأن اليابان بدأت تدرك أن الحماية النووية الأمريكية لها ليست فعالة وأن البديل هو التسلح النووي الياباني وهو أمر مخيف بالنسبة للولايات المتحدة ويذكرها بهواجس الحرب العالمية الثانية خصوصًا وأن هناك شعورًا انتقاميًا لدى اليابانيين مما حدث لهم وإدراك الولايات المتحدة قد يؤدي إلى التقارب بين الصين واليابان ويغير من حسابات القوى على المسرح الآسيوي .

وأخيرًا فإن هذا الاتفاق لابد أنه خيب أمل إيران التي كانت تعول كثيرًا على التضامن الكوري معها في أي مواجهة مع الولايات المتحدة ولابد أن إيران سوف تعيد حساباتها على هذا الأساس .

15

لماذا أصبح الملف النووي الإيراني أولوية مطلقة لإسرائيل؟

عندما كان الشاه حليفاً وثيقاً للولايات المتحدة، وفى نفس الوقت ليس معادياً للاتحاد السوفيتى سمح للشاه أن يشرع فى إنشاء برنامج نووى، فلما جاءت الثورة الإسلامية بكل ما تمثله من تحدى إيران الشاه وتحالفاتها ناصبتها واشنطن العداء، رغم كل رسائل التقارب التى أرسلتها طهران، فلم يتم التقارب أساسا بسبب طغيان الأثر الإسرائيلى على القرار الأمريكى. ولذلك ظهر الملف النووى عام ٢٠٠٣ بعد الكشف عنه، وأصبح منذ ذلك الوقت يحتل قائمة اهتمامات الدبلوماسية العالمية، ثم تراجع بعض الوقت إلى مراتب متأخرة حتى أصبح الآن فى عهد نتانياهو مشكلة المشاكل. وقد ملأت إسرائيل مواقع الانترنت بعنوان واحد هو الخطر الإيرانى، فلماذا تشكل إيران وملفها النووى خطراً على إسرائيل؟.

الثابت أن الدول تتمتع بحرية فى الحصول على مصادر القوة إلا إذا كانت تخضع لحظر دولى صحيح. ولكن فى حالة إيران اتخذ الملف أبعاداً حادة لعدة أسباب:

السبب الأول : هو أن إيران تعد طرفاً فى الصراع العربى الإسرائيلى حيث تدعم المقاومة اللبنانية والفلسطينية وسوريا، حلقة الصلة بين إيران والمقاومة. من شأن ذلك أن تعرقل إيران خطط إسرائيل سواء بالقضاء على المقاومة أو بتمرير

مشروعات للتسوية مع حكومات المنطقة. ترتب على ذلك أن اعتبرت الشعوب العربية إيران محور الخير، بينما إسرائيل وأمريكا هما محور الشر.

السبب الثانى : هو أن إيران تتعاظم قوتها رغم حصارها ومحاولات قمعها وتخريبها من كل الاتجاهات، بحيث أصبحت لاعبا إقليمياً كبيراً مما يهدد المشروع الصهيونى الذى تصدت له المقاومة بمساندة إيران، وقدرت إسرائيل أن إيران بغير المقاومة تصبح أقل تأثيرا، كما أن المقاومة بغير إيران أضعف أثراً.

السبب الثالث : أن إيران النووية تكسر احتكار حيازة إسرائيل للسلاح النووى فى المنطقة، كما أن إيران النووية المناهضة للغرب تمثل أكبر تحدى لمشروع إسرائيل فى التهام فلسطين وفى الهيمنة على المنطقة، ولو كانت إسرائيل دولة عادية، لما مثلت قدرات إيران تهديداً لها، ومعنى ذلك أن إيران تهدد مشروع إسرائيل وليس إسرائيل نفسها، ولما كان الفصل مستحيلاً بين إسرائيل ومشروعها أصبح التهديد الإيرانى بشكل ما موجهاً لإسرائيل بكل ما تمثله.

السبب الرابع: هو أن إيران دولة دينية تنازع إسرائيل ولو مع فوارق كثيرة، هذه الصفة، فضلاً عن أن إيران ترى أن إسرائيل مشروع استعمارى كان يجب أن يزول مع زوال الاستعمار وأن بقاءه حتى الآن يخالف السنن السياسية الكونية.

وقدرت إسرائيل أن إزاحة إيران من معادلة القوة التقليدية والنووية فى المنطقة مسألة حياة أو موت. هذه الرؤية الإسرائيلية فرضت على واشنطن التى تعرف أن إيران عقبة لكن إزاحتها أو تطويعها يمكن بالطرق السياسية. وفى كل الأحوال، حتى لو أصبحت إيران نووية فإنها لن تحارب إسرائيل أو أمريكا نووياً ولكنها تصبح عضواً فى النادى النووى وتكون لها مكانة مختلفة فى حسابات القوة. معنى ذلك أن الدولة النووية يتصرف وجسارة فى الملفات السياسية استناداً إلى القوة

النووية كمرجع أخير. وهذا ينسحب على سياسات إيران أيضاً فى الخليج ومع العالم العربى، غير أن نووية إيران لاتهم واشنطن كثيراً، وإنما يهم واشنطن بشكل مباشر دور إيران فى العراق وتهديدها لمصادر إنتاج النفط فى الخليج، فضلاً عن دورها فى أفغانستان، وتلك مصالح أمريكية مباشرة فى ظروف التورط الأمريكى الحالى وتراجع القوة الأمريكية، وهذا بالتحديد هو ما يثير عصبية إسرائيل وشعورها بعامل الوقت حيث تشعر إسرائيل أنه يستحيل مواجهة إيران إذا وصلت إلى الشاطئ النووى، بينما يمكن النيل منها قبل هذه النقطة، وهى تسعى جاهدة لكسب الوقت حتى تصل إليها.

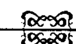
نخلص من ذلك بنتائج ثلاث وهى **الأولى**: أن هناك مسافة بين الموقفين الأمريكى والإسرائيلى بالنسبة للملف النووى الإيرانى، فواشنطن تريد الحوار مع طهران لتحقيق أهداف من بينها وقف المشروع النووى، بينما إسرائيل تريد تدمير إيران ومشروعها وفرض المشروع الصهيونى دون شراكة أو تنازلات.

النتيجة الثانية: هى تركيز إسرائيل على فكرة الخطر الإيرانى لهذا السبب وبأن إسرائيل هى الأقدر على التعامل العسكرى معه ولكن بمساندة ومباركة من واشنطن.

النتيجة الثالثة: هى إدراك طهران لكل ذلك وحرصها على تحويل أوراقها إلى مكاسب سياسية بالحوار ورفع سقف مواقفها كلما زادت المخاوف الإسرائيلية وإدارة هذه المخاوف مع واشنطن بشكل علمى. ولكن يجب أن نستدرك بأن الخطر الإيرانى حقيقى على إسرائيل فقط بسبب مشروعها الاستعمارى فهو صراع بين مشروعين ساحة الصراع فيه هى المنطقة العربية ولكن واشنطن تقف فيه طبعاً إلى جانب إسرائيل.

وأخيراً لا يجب أن نغفل عن أن مبالغة إسرائيل فى تصوير الخطر الإيرانى على مشروعها يحقق ثلاثة أهداف على الأقل الأول : تركيز الانتباه بعيداً عن الخط الإسرائيلى وجرائم إسرائيل، الثانى : حشد الشعب والجاليات اليهودية خوفاً من خطر هو لوكوست آخر كما قال بيريز، وهو استجابة لغريزة يهودية تصور اليهود أنهم مظلومون ومضطهدون بلا ذنب ارتكبوه. والثالث : أن تظل إسرائيل محل الاهتمام الدولى، وأن تبرر جرائمها، وتنال من إيران مالم تتفق إيران مع إسرائيل على قواعد اللعبة.

ولعل الإشارة المتكررة من جانب الأمريكيين والإسرائيليين إلى الربط بين حل المشكلة الفلسطينية وتسوية الملف النووى الإيرانى تعنى بوضوح أنه إذا أراد العرب حل هذه القضية فعليهم المشاركة بالضغط والعزل لإيران حتى تضطر إلى التخلى عن طموحاتها النووية. ورغم مافى هذا المنهج من استغلال لاأخلاقى لأشواق العرب للسلام فى فلسطين إلا أن واشنطن تريد دفعهم لكى يحاربوا معركة إسرائيل مع إيران. ولذلك أرى أن يكون للعرب موقف مستقل يراعى مصالحهم العليا وأن يتحالفوا مع من يدعم هذه المصالح وألا يكونوا ألعوبة فى يد غيرهم.



16

ما هو الأساس القانوني للتهديد والجزاءات الدولية ضد إيران

تمكنت إسرائيل والولايات المتحدة من إيهام العالم بأن الملف النووى الإيرانى يهدد العالم كله وأن النظام الإيرانى أخطر من النازية التى أحرقت اليهود ومن واجب العالم كله أن يقاطع إيران ويعاديها. بل إن مجلس الأمن فرض عددا من الجزاءات ضد إيران ويستعد لفرض جزاءات أخرى فى إطار الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة على أساس أن إيران تهدد السلم والأمن الدوليين، ومثل هذا القرار سيكون مسوغاً قانونياً للهجوم الإسرائيلى على إيران، فى الوقت الذى لايجرؤ نفس المجلس على مجرد الانعقاد لمناقشة الجرائم الإسرائيلية المستعمرة بدءا بالاستيطان واحتقار قرار محكمة العدل الدولية بشأن الجدار العازل والإدانات الجماعية فى الجمعية العامة للسياسات الإجرامية الإسرائيلية. ولم يلتفت أحد فى هذه الضجة الإعلامية والتهديدات اليومية الإسرائيلية والأمريكية بمهاجمة إيران إلى أن مثل هذا التهديد باستخدام القوة بشكل متواتر هو الذى يهدد السلم والأمن الدوليين وهو المحظور وفق المادة ٢/ ٤ من ميثاق الأمم المتحدة الذى يعمل مجلس الأمن فى إطار أحكامه.

وقد أثارت التهديدات بالهجوم والنذر بفرض المزيد من الجزاءات فى مجلس الأمن اهتمامنا بحثاً عن أساس قانونى لهذا العمل خاصة من جانب مجلس الأمن

وما هو التصرف غير القانونى الذى أتته إيران حتى تقوم هذه الضجة وينخرط مجلس الأمن فى هذه المهزلة الفجة. فقد أعلنت الولايات المتحدة وإسرائيل أن إيران من حقها أن تستفيد من الطاقة النووية السلمية، ولكن المشكلة أن إيران تنوى تحويل هذه القدرات النووية من الاستخدام السلمى إلى الاستخدام العسكرى وأن تأكيدات إيران بعدم نيتها فى ذلك ليست صحيحة أو صادقة، وأنه إذا تحولت إيران إلى قوة نووية مع كل هذا العداء لإسرائيل فقد تخاطر بإزاحة إسرائيل من الخريطة. وقد صدرت تصريحات متعددة من واشنطن وباريس ولندن وبرلين وغيرها من العواصم الأوروبية الكبرى تؤكد على أنها سوف تمسح إيران من الخريطة إذا هاجمت إسرائيل وأنها لن تسمح مطلقاً بأن تتحول إيران إلى دولة نووية لأنها دولة دينية متطرفة وتأوى الإرهاب وتساند «الإرهابيين» أى المقاومة العربية ضد إسرائيل، وأنها تقول للغرب لا بشكل سافر مما يشجع غيرها على الخروج على بيت الطاعة الغربى.

لكل هذه الأسباب فرض مجلس الأمن جزاءات على إيران. فلم تشن إيران عدواناً على دولة أخرى، ولم تخالف قرارا معتبراً من قرارات الأمم المتحدة. بل على العكس من حق إيران أن تحوز القدرات النووية العسكرية وأن تنسحب من معاهدة منع الانتشار النووى، كما أن إعاقة إيران عن حيازة القدرات السلمية هو انتهاك جسيم من جانب الدول النووية الغربية لالتزاماتها فى اتفاقية منع الانتشار النووى. ولم يثبت أن إيران هددت بزوال إسرائيل ولكنها توقعت زوالها وهو رأى معظم الباحثين والدول. فلماذا الحملة على إيران غير النووية الآن بينما يتسامح الغرب بل يساند إسرائيل النووية التى تعتدى على جيرانها وعلى الشعب الفلسطينى وتعلن كل يوم عزمها على الاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها.

ومن الواضح أن السبب الحقيقى فى استهداف إيران هو عداؤها لإسرائيل ومساندة المقاومة ضدها، ورغبتها فى احتكار القوة النووية، أما إذا خضعت إيران للهيمنة الصهيونية والأمريكية، فسوف يسمح لإيران بأن تفعل ماتشاء مادامت فى إطار المصالح الأمريكية والصهيونية كسائر دول المنطقة.

والخلاصة : أن الجزاءات التى يفرضها مجلس الأمن على إيران ليس لها أى أساس قانونى وتعد انتهاكاً لسلطة المجلس فى الميثاق والأولى أن توجه هذه الجزاءات لإسرائيل التى تمعن فى امتهان قرارات المنظمة الدولية وترتكب أبشع الجرائم وتعد أكبر مهدد للسلم والأمن الدولى فى المنطقة.



17

ما هي المصلحة الأمريكية في مهاجمة إيران؟

السؤال الذى يتردد منذ سنوات بدأ يلح فى الفترة الأخيرة وهو هل تهاجم واشنطن إيران لضرب منشأتها الحيوية، وهل تشاركها إسرائيل أم تقوم إسرائيل بذلك وحدها بمبادلة أمريكية. الملاحظ أن إسرائيل هى التى تحرك السياسات الأمريكية منذ أحداث سبتمبر وأن استقلالية القرار الأمريكى قد انتهت. ولم تعد تلك الحقيقة محل جدل بعد رصد عدد كبير من المفكرين والباحثين الأمريكيين الحريصين على المصالح الإسرائيلية حالة الضيق التى تصيب دوائر القرار فى واشنطن من طغيان العامل الإسرائيلى على منطق المصالح الأمريكية ودور اللوبى الإسرائيلى فى ذلك، وهو ما سطره أستاذان من هارفارد وشيكاغو فى كتابهما الصادر فى منتصف شهر أغسطس ٢٠٠٧ بعنوان «اللوبى الإسرائيلى والسياسة الخارجية الأمريكية». وفى عام ٢٠٠٦ صدرت دراسة جادة حول المحور السورى الإيرانى ضمن سيل من الدراسات التى سجلت نفس الحقيقة، وهى أن واشنطن تعادى إيران وسوريا لصالح إسرائيل وليست هناك مشكلة فى علاقات واشنطن بكل من البلدين، وحتى اتهام واشنطن لسوريا بشأن العراق سببه حساسية واشنطن وانفراد سوريا بالإعلان عن موقف من المقاومة والاحتلال. ولكن لا توجد مشكلة فى علاقات البلدين حتى تهدد واشنطن بتغيير نظام سوريا أو بالعمل العسكرى ضدها. فإذا كانت سوريا تساند حزب الله وتجد

مصلحة فى تحالفها مع إيران، فإن سبب ذلك هو تعنت إسرائيل وعدوانها المستمر على سوريا ولبنان، ومساندة واشنطن لهذا السلوك الإسرائيلى. وقد لاحظ هؤلاء الباحثون غياب أى مصلحة أمريكية مقابل هذا الثمن الفادح الذى تدفعه واشنطن من سمعتها ومكانتها ومصالحها المنتشرة فى المنطقة وتسبب ذلك فى تداعى مظاهر قوتها وبدت فى صورة لا يرضاها لها أبناؤها العاملون على خدمة مصالحها، فأصبحت إسرائيل بحق ليس فقط عبئا على دافع الضرائب الأمريكى ولكنها أصبحت سبباً فى تهاوى القوة الأمريكية، مما يعنى أنه لا مفر من مواجهة ثمن الارتباط الأمريكى بإسرائيل إذا كان الاتجاه يهدف إلى إصلاح السياسة الخارجية الأمريكية. ولكن المراقبين يشعرون بالقلق من عدد من الظواهر فى مجال القرار الأمريكى تجاه إيران هذه المرة، إذ يلاحظون الضغط المتواصل لإسرائيل واللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة لضرب إيران، وتسابق مرشحى الرئاسة الأمريكية على مساندة موقف بوش ضد إيران.

واتجاه الخطاب الرسمى الأمريكى إلى اعتبار إيران العقبة الأساسية والتحدى الأكبر للعالم الحر الديمقراطي والمستنقع الذى يساند الإرهاب والاستبداد والتسلط، وأعاد هذا الخطاب إلى الأذهان تلك الثنائيات التى عرفها الخطاب الأمريكى بدءاً بتفريد هتلر فى الحرب العالمية الثانية وانتهاء بثنائية بوش من الخير والشر وتشبيه أحمدى نجاد بهتلر الجديد خاصة وأنه بتشكيكه فى المحرقة فهو يؤيد هتلر فيما حل باليهود، وفق الرؤية الأمريكية.

ولكن المراقبين يذكرون أن فرص التسوية الأمريكية الإيرانية كانت دائما متوفرة وبشكل خاص فى عهد محمد خاتمى وكلينتون، وبالطبع تتدخل الدوائر الصهيونية لمنع أى تقارب إيرانى أمريكى، بل تحدثت بعض الدراسات الصادرة عام ٢٠٠٧ عن

مثلث من التفاهم السرى بين إيران والولايات المتحدة وإسرائيل مثلما حدث فى إيران جيت، ولكن مثل هذه الدراسات ذات التوجه الصهيونى تهدف إلى التخفيف من الاعتقاد بقرب مهاجمة إيران، تماما مثلما تتسرب بعض الأخبار عن أفكار يتم تداولها حول حوار إيرانى أمريكى لوضع تسوية شاملة. وقد تحدى بجرأة بعض الكتاب الأمريكيين مغامرة بوش لصالح إسرائيل وكان أكثرهم وضوحًا watlam Mass فى مقاله فى الكريستيان سانيس مونيتور يوم ٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٧ عنوانه «ثمن العداء الأمريكى لإيران » حيث طالب صراحة بتغليب المصلحة الأمريكية على سيطرة اللوبى الصهيونى والتحرر من سطوته.

فى نفس السياق نقل ألان جريش مقاله الافتتاحى فى مجلة الموند دبلوماتيك عدد نوفمبر ٢٠٠٧ عن السفير الإسرائيلى فى واشنطن دانى أيالون قوله بصحيفة معاريف فى ١٩/ ١١/ ٢٠٠٦ أنه صديق شخصى للرئيس بوش وأنه يعلم يقينا ان الرئيس لن يسمح بانتصار الدكتاتورية التى يمارسها الملالى مع حيازتهم لقنبلة نووية على القيم الديمقراطية. وأكد سليج هاريسون أن المتطرفين فى واشنطن يستعدون لضرب إيران، وذلك ضمن تحليله للموقف فى مقاله فى الموند دبلوماتيك فى عدد أكتوبر ٢٠٠٧.

والخلاصة، فى ظل هذه التأكيدات وتحمس فرنسا مع الموقف الأمريكى ومحاولات واشنطن بناء تحالفات تؤدى إلى خفض مستوى التأييد الروسى لإيران، هل تهاجم واشنطن إيران حقاً أم أن هذا التصعيد مقدمة لصفقة بين البلدين، وهل تدرك واشنطن الآثار المدمرة لمثل هذا الهجوم وهل تضحى بكل ذلك لمصلحة إسرائيل وانصياعا لأوامرها؟

18

مجلس الأمن وأزمة الانتشار النووي

أعلنت كوريا الشمالية عن تطوير صواريخ بعيدة المدى قادرة على حمل رؤوس نووية وعلى ضرب السواحل الأمريكية، مما أثار القلق العميق لدى الولايات المتحدة واليابان. فقد تكاثرت الدول التى تحوز أسلحة نووية أو صواريخ من النوع الذى يدخل فى دائرة أسلحة الدمار الشامل بحيث يمكن القول أن الرتق قد اتسع على الراتق فى هذه القضية الخطيرة. ومالم يتم تدارك ما بقى من فرص بطريقة عاجلة فإن الزمام سوف ينفلت ويصبح من المستحيل الاعتماد على أية ترتيبات للأمن العالمى. فقد دخلت باكستان والهند وكوريا الشمالية وإسرائيل إلى نادى الدول النووية، كما توشك إيران وربما الصين الوطنية أن تدخل نفس النادى. إذ تشير التقارير إلى أن تجارب الصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية لكوريا الشمالية قد تزامنت مع اختبار صاروخ فى تايوان قادر على ضرب العمق فى الصين الشعبية، ورغم أن الصين الشعبية لم تعلق كما لم تعلق الصين الوطنية، إلا أن الولايات المتحدة أعربت من قلقها من هذا التطور مما يشى بأن تطوير الصواريخ الصينية لم يكن بعلم الولايات المتحدة. وقد يرى البعض أن الإعلان عن هذه الصواريخ قصد به زيادة الضغط على الصين الشعبية حتى تكون أكثر حساسية لصواريخ كوريا الشمالية مادامت واشنطن لاتعفى الصين الشعبية من الشك فى أنها تستخدم الورقة النووية الكورية لأهداف صينية. وهذه

التطورات ترسم علامة استفهام كبيرة حول جدوى مؤسسات العمل الجماعى الدولى وخاصة مجلس الأمن. ونريد أن نسجل فى هذا الصدد عدداً من التحذيرات الخطيرة لعل الوقت لا يزال ممكناً لتداركها.

التحذير الأول: هو أن واشنطن قد انتهجت سياسة مزدوجة غير حازمة فى مجال أسلحة الدمار الشامل أفقدتها المصداقية. بدأت هذه السياسة مع إسرائيل حيث قدمت لها الحماية والمبرر لحيازة كل أنواع الأسلحة، فى نفس الوقت الذى تقاعست فيه واشنطن عن القيام بدور جدى فى تسوية الصراع العربى الإسرائيلى يكفل للجميع حقوقهم، وآثرت أن تجارى الخطط الإسرائيلية، وأن تتخذ إسرائيل حليفاً استراتيجيا، وتطلق يدها فى كل تجاوزاتها وتضرب بالشرعية الدولية عرض الحائط، وتساند خطط إسرائيل فى تحدى رأى المحكمة العالمية فى الجدار العازل، وتسوغ لإسرائيل كل أعمال القتل والاغتيال والإعدام بلا محاكمة وتحويل جيشها إلى فرق من القتلة على أن كل ذلك دفاع شرعى عن النفس. وفى الوقت الذى تصر فيه على عدم امتلاك إيران أسلحة نووية أو الاستفادة من التكنولوجيا النووية، فإنها تفعل ذلك حتى تظل إسرائيل وحدها تحتكر الأسلحة النووية وأنواع الأسلحة الأخرى وتعتمد على سطوة الولايات المتحدة لإخضاع المنطقة كلها لمصالحها وطموحاتها. والمعلوم أن قطاعات كبيرة من الرأى العام الأمريكى بدأت تعبر عن قلقها من تطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، وأطلقت بعض مراكز البحوث إشارات التحذير من أن واشنطن تعلى المصالح الأمنية الإسرائيلية على المصالح الأمريكية وأن شطراً هائلاً من تشوه الصورة الأمريكية يعود إلى العلاقات غير المتكافئة بين واشنطن وإسرائيل.

فى المجال النووى، انتهجت واشنطن سياسة تمييزية بين الهند وباكستان، وكان

آخر مظاهرها خلال زيارة الرئيس بوش للمنطقة فى أوائل عام ٢٠٠٦ للبلدين حيث أغدق على الهند بينما ضيق على باكستان مما أشاع الجفاف والجفاء، إلى جانب أسباب أخرى، فى مسار العلاقات الباكستانية الأمريكية. كذلك أدى انعدام ثقة كوريا الشمالية فى الوعود الأمريكية وفى جدية السياسات الأمريكية إلى قرارات بيونج يانج بمواجهة الولايات المتحدة بالتسلح النووى والصواريخ البعيدة المدى، رغم شح مواردها وحاجتها الماسة إلى الغذاء والطاقة، فاختلط النووى بغيره من القضايا السياسية والأمنية، والعالمى بالإقليمى وتداخلت الحسابات الروسية والصينية فى الأزمة الكورية، ودفعت موسكو وبكين إلى السعى جدياً إلى إنشاء ترتيبات أمنية آسيوية على الأقل. ولاشك أن انهيار سمعة الولايات المتحدة فى قضايا التعذيب ومعسكرات الاعتقال فى العراق وجوانتانامو أسهم فى فقدان مصداقية الإدارة الأمريكية التى تعانى بسبب السياسات الداخلية والصدام مع الكونجرس والقضاء أيضاً.

التحذير الثانى: أن الولايات المتحدة استنفدت قوة مجلس الأمن وقضت على هيبته من خلال استخدامه وتوظيفه والتمييز بين قراراته والتحكم حتى فى اجتماعاته وتخويف الدول الصغيرة به، والاستعانة به فى تحالفاتها ضد الدول الأخرى فى الوقت الذى لا تكن للمجلس ولا للأمم المتحدة أى تقدير أو احترام، كما تعمل ضد أحكام ميثاق المنظمة الدولية وترسى قانونا دولياً جديداً. ولذلك فإن الصراع الإيرانى الأمريكى الذى يتخذ شكل الأزمة النووية عرف طريقة إلى مجلس الأمن فى كل الأحوال بإصرار واشنطن على إحالة الملف النووى إليه وتصوير مجرد الإحالة على أنها عقوبة بخلاف العقوبات التى يقررها المجلس. كذلك استخدمت واشنطن مجلس الأمن عدة مرات ضد كوريا الشمالية حتى أدركت موسكو وبكين

حدود اللعبة ففقد المجلس هيبته، خاصة عندما لاحظ المجتمع الدولى أن كل قراراته فى الشؤون العربية تستند إلى الفصل السابع، فى لبنان والسودان والعراق وغيرها، وتسبغ عليها أعلى درجات الالتزام والتقديس، بينما تنجو إسرائيل من أى ذكر سلبى لها. ولا يزال العالم يذكر القرار ١٤٠٣ عام ٢٠٠٢ الذى قرر إرسال بعثة لتقصى الحقائق فى مذابح جنين فرفضت إسرائيل دخول البعثة إلى فلسطين واضطر الأمن العام أن يبتلع الإهانة. كما لا يزال العالم يتابع تحدى إسرائيل للمحكمة العالمية وإصرارها على الاستمرار فى بناء الجدار العازل، وكذلك إقدامها على إنشاء منطقة عازلة فى غزة تقوم بنفس وظيفة الجدار العازل وهى ضم الأراضى الفلسطينية والتضييق على الفلسطينيين.

والخلاصة: لم تعد دول العالم تشعر بالأمن فى ظل النظام الدولى الراهن، مما سيؤدى إلى سباق محموم للتسلح، وإلى المزيد من عسكرة المجتمع الدولى طلباً للأمن، ومن شأن ذلك تضيق فرص التسوية السلمية للمنازعات، واتساع ممارسات الاستخدام الانفرادى للقوة.

والحل ممكن إذا أدركت واشنطن مخاطر هذين المطورين وعملت على تلافيهما وذلك باتباع سياسة حازمة فى مجال الأمن النووى، وبناء مصداقيتها كقوة عظمى، وكذلك بتعزيز دور الأمم المتحدة فى حفظ السلم والأمن الدوليين وليس فى تحقيق أهداف السياسة الأمريكية. ولما كان عامل الوقت حاسماً، فإن الانتظار أو التردد أو التخلف سوف تفلت معه الفرصة إلى الأبد.

19

الإدارة الإيرانية للأزمة النووية

انشغل العالم منذ أكثر من عامين بقرار إيران بناء منشآت نووية فى أصفهان وبوشهر، حيث تلقفت الولايات المتحدة وإسرائيل هذا الخبر، وبدأت الحملة الدولية ضد إيران، واتخذت مسارات مختلفة تتسم بالتصعيد المستمر والسريع. المسار الأول، هو الضغط على الدول التى تتعامل مع إيران فى المجال النووى وأهمها روسيا. وقد قام بهذه الضغوط كل من الولايات المتحدة وإسرائيل، وبلغت الضغوط حداً بعيداً، كما بلغت الإغراءات من ناحية أخرى درجة كبيرة، ولكن روسيا لم تعد بوقف التعاون، بينما وعدت بالتعاون مع الولايات المتحدة حتى تضمن مرونة الموقف الإيرانى، وأن تضمن أيضاً أن التعاون يتم فى حدود الصناعات النووية السلمية، كما أن روسيا كانت تتعمد الإصرار على هذا التعاون فى إطار خطها عندما تتشدد فى مواجهة الولايات المتحدة. أما إسرائيل فقد قامت بزيارات على كل المستويات لممارسة الضغوط وتقديم الإغراءات والفرص، حيث عرض شارون التعاون مع روسيا ضد الشيشان، وهى القضية الأولى التى كانت تؤرق الاتحاد الروسى، ولكن الرئيس بوتين يدرك أيضاً أن شارون ليس بعيداً عن المخطط الأمريكى للقضاء على النفوذ الروسى فى الجمهوريات السوفيتية السابقة، حتى تقع فى قبضة الولايات المتحدة، فيتمكن شارون من استقدام اليهود منها إلى إسرائيل.

من ناحية أخرى، مارست الولايات المتحدة ضغوطاً عنيفة على إيران بشكل مباشر حيث تفرض عقوبات اقتصادية صارمة عليها منذ عام ١٩٧٩، وحاولت أن تدفع الاتحاد الأوروبى إلى ذلك دون أن تحقق نجاحاً كبيراً، كما أن الولايات المتحدة لجأت إلى التهديد المباشر بغزو إيران، أو بضرب منشآتها النووية. كذلك قامت إسرائيل بتهديد إيران، وذكّرت بأنها تستطيع أن تضرب منشآتها النووية ما لم تتطوع إيران بتفكيكها، ولها سابقة فى ذلك عندما ضربت المفاعل العراقى فى يونيو ١٩٨١، رغم أن العراق كان قد بدأ عدواناً على إيران لصالح الولايات المتحدة، فلم يشفع له هذا الدور فى حمايته من إسرائيل، التى رفضت الموقف الأمريكى المتردد ليس حباً فى العراق، ولكن خوفاً من مضاعفات الغارة الإسرائيلية التى تعبر إليها أجواء عدد من الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة، مما يسبب الحرج لها.

من ناحية ثالثة، لجأت الولايات المتحدة إلى توسيط الاتحاد الأوروبى للضغط أو التفاهم مع إيران، وهى تعلم أن الاتحاد الأوروبى لا تتطابق مصالحه مع مصالحها، وأنه يحتفظ بمسافة فى علاقاته بإيران عن الموقف الأمريكى، وقد اتهم الإعلام الأمريكى، وكذلك كوندا ليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية أوروبا باللين مع إيران لدوافع تتعلق بالتنافس الأمريكى الأوروبى، وطالبت واشنطن أوروبا عدة مرات بأن تكون حازمة مع إيران. مثلما تتهم الصين وروسيا بمساندة كوريا الشمالية، مما يجعل الموقف الأمريكى ضعيفاً فى مواجهة الأزمة النووية فى كوريا وإيران. وقد استخدمت الولايات المتحدة كل الوسائل للضغط على إيران بشكل مباشر أو غير مباشر، بما فى ذلك الوكالة الدولية للطاقة الذرية، التى هددت عدة مرات بأنها سوف تحول ملف إيران إلى مجلس الأمن ما لم تقبل إيران بشروط الدول الثلاث (الترويكا) بريطانيا وألمانيا وفرنسا. ومما يذكر أن مدير عام الوكالة الدكتور محمد البرادعى قد تم التمديد له

فى منصبه فى إطار صفقة مع الولايات المتحدة، بحيث يبدى تشدداً مع إيران وكوريا، وهو ما أعلنه البرادعى نفسه فى نفس اليوم. فما هى حقيقة الأزمة النووية الإيرانية؟ وما هو وجه الخطأ والصواب فيها؟ وما هى حلول التسوية الممكنة أو الانفجار الممكن لهذه الأزمة؟ وكيف تدير إيران هذه الأزمة فى مراحلها المختلفة؟

يمكن القول إجمالاً أنه يبدو أن إيران فكرت فى التعاون مع كل الأطراف الممكنة مثل روسيا وباكستان وغيرهما لبناء قدرات نووية سلمية أو عسكرية، وتزايد هذا الاهتمام بشكل خاص منذ غزو الولايات المتحدة لأفغانستان ٢٠٠١ ثم العراق ٢٠٠٣، مما جعل إيران محاطة بالقوات الأمريكية من كل جانب، فضلاً عن الوجود العسكرى الأمريكى فى الجمهوريات السوفيتية السابقة المجاورة لإيران. فلما تنبهت إسرائيل إلى المساعى الإيرانية ألحت منذ ذلك الوقت على الولايات المتحدة بأن تسعى لكى توقف إيران برامج التسلح النووى، أو حيازة قدرات نووية بأى ثمن على أساس أن إيران تعوق التسوية التى يفرضها شارون فى الشرق الأوسط، وتساند الفلسطينيين وحزب الله، مما يقلل من قدرة إسرائيل على فرض التسوية وفق مصالحها، كما أن التحالف بين إيران وسوريا وحزب الله والمنظمات الفلسطينية كان يثير قلق إسرائيل، وبذلت فى سبيل تفكيك هذا التحالف جهداً كبيراً، ونجحت إلى حد ما فى ذلك من خلال تطورات الساحة اللبنانية باغتيال الحريرى، وقرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ . وقد أقنعت إسرائيل الولايات المتحدة بأن أى تسلح نووى فى منطقة الشرق الأوسط بأسرها يعد تهديداً لأمنها، خاصة وأنها تُدخل إيران وباكستان ضمن المحيط الأمنى الإسرائيلى. وقد التقت المصلحة الأمريكية والإسرائيلية فى إيران حيث تعمل واشنطن على احتواء الثورة الإسلامية تمهيداً للقضاء عليها، وهى لا تتصور أن تقبل قواعد للتعامل مع هذه الثورة، وهو أمر لا يدهش الإيرانيين. وقد عرضت الدول

الأوروبية على إيران مجموعة من المقترحات تتضمن ما هو أوسع بكثير من المسألة النووية. فإذا تخلت إيران كلية عن مشروع القدرات النووية، وقبلت بالتسويات المطروحة فى فلسطين، وأوقفت تدخلها فى العراق، وتعاونت مع المجتمع الدولى بالنسبة لسوريا ولبنان - أى التخلى عن حزب الله - وضبط سلوك إيران الخارجى، فإن الاتحاد الأوروبى مستعد لتقديم عدد من الحوافز والضمانات فى المجال الاقتصادى والتجارى، ومساعدة إيران على الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، فضلاً عن تقديم تعهدات بعدم الاعتداء على إيران، أى أن مربط الفرس فى هذه المقترحات عند الجانب الأوروبى هو إغلاق الملف النووى الإيرانى بهذا المقابل.

على الجانب الآخر، أعلنت إيران وجهة نظرها كاملة، ولكن الإعلام الدولى يبرز وجهة النظر الأمريكية والأوروبية وحدها، ولا يعطى وزناً لوجهات النظر الإيرانية. ترى إيران أنه لا توجد أزمة نووية، وإنما تلك حالة خلقتها إسرائيل والولايات المتحدة كجزء من حربها ضد إيران. وترى إيران ثانياً، أن من حقها أن تحصل على قدرات نووية للاستخدام السلمى، وهذا ثابت فى اتفاقية منع الانتشار النووى التى انضمت إليها إيران، والتى تلزم الدول النووية بمساعدة الدول غير النووية فى هذا الشأن، كما تلزم هذه الدول بأن تقدم ضمانات ضد الاعتداء النووى على الدول غير النووية، كما تسعى إلى القضاء على السلاح النووى خلال مراحل معينة. وترى إيران أن نسبة تخصيب اليورانيوم التى تقوم بها لا تتعدى ٤٪، وأن صناعة السلاح النووى تحتاج إلى نسبة تخصيب تصل إلى ٧٠٪، كما تؤكد إيران التزامها باتفاقية منع الانتشار النووى، والبرتوكول الذى وقعت عليه، والذى يقضى بالتفتيش غير الدورى والمفاجئ للمنشآت النووية، ومن ثم فإن حقها فى حيازة القدرات النووية السلمية لا يمكن التنازل عنه، وأن الإغراءات الأوروبية لا

تهمها، وأن القضية فى النهاية هى محاولة لكسر إرادة إيران، وليس لمنعها من حيازة أسلحة نووية. أما الولايات المتحدة فترى أن إيران دولة بترولية كبيرة، وليست بحاجة إلى الاستخدامات السلمية للطاقة النووية، وأنها تسعى بالفعل لحيازة الأسلحة النووية. وأطلقت المصادر الاستخباراتية الأمريكية الإسرائيلية التقارير حول اقتراب حيازة إيران للأسلحة النووية حتى تعطى الانطباع بأن الخطر الذى يمثله السلاح النووى الإيرانى خطر داهم وعاجل ولا يحتمل الانتظار.

من الواضح أن إيران تتمسك بموقفها، وقد أدارت الأزمة النووية التى افتعلها الغرب، لاعتبارات سياسية واضحة، عن طريق التمسك بالحق فى تخصيب اليورانيوم، ولكن مع المرونة الكاملة فى قبول التفتيش الدولى على كل منشآتها النووية. ورغم أن إيران لم تربط بينها وبين تسلح إسرائيل النووى المعلن، لأنهما ليسا فى مستوى واحد، إلا أن إيران قد شددت فى بعض الأحيان على أن النموذج الإسرائيلى سوف يدفع دول المنطقة إلى السلاح النووى، وأن تدليل الولايات المتحدة لإسرائيل سوف يضر بالأمن الدولى. وقد لوحظ فى إدارة إيران لهذه الأزمة أنها كانت دائماً تظهر ثباتاً وتشدداً، ثم بعض المرونة والتراجع، ولكن الأزمة وصلت الآن إلى طريق مسدود، حيث قررت إيران المضى فى تخصيب اليورانيوم مهما كانت النتائج، ورفضت كافة المقترحات الأوروبية، فما هى احتمالات المواجهة بين إيران والغرب؟

تدرك إيران جيداً أن إسرائيل هى التى تحرك هذه الأزمة، وأن شارون خلال زيارته لباريس فى الأسبوع الأخير من يونيو ٢٠٠٥ قد ركز على هذه القضية باعتبار أن التسلح الإيرانى، بما رسمه الإعلام الغربى لإيران من صور سلبية هو الخطر الأكبر على السلام الإقليمى، وأن إيران هى العائق الأكبر فى سبيل السلام والوئام فى فلسطين. كما تدرك إيران أن كل هذه الأزمة تهدف إلى كسر إرادتها، وتؤكد أنها لا

تسعى إلى حيازة السلاح النووى، كما تؤكد أنها هى التى تقرر مدى أهمية الطاقة الذرية لها، وليس الولايات المتحدة. وتدرك إيران ثالثاً أن الوكالة الدولية للطاقة الذرية قد استنفذت أهدافها معها، وأن تحويل ملف إيران إلى مجلس الأمن لاتخاذ إجراءات ضدها ليس أمراً مخيفاً، لأنها تثق أن الصين وروسيا على الأقل سوف تستخدمان الفيتو ضد أى قرار موجه ضدها.

أما الاحتمال الآخر المطروح، فهو خطة إسرائيل لمهاجمة المنشآت الإيرانية، حيث عودتنا إسرائيل على أنها تتعامل مع القضايا الأمنية وفق مفهومها وأسلوبها، ولكن يبدو أن إيران تعد لرد الفعل المناسب الذى أعلن وزير دفاع إيران عن أنه سوف يكون رداً مذهلاً لإسرائيل والولايات المتحدة، على أساس أن القوات الأمريكية فى الخليج سوف تتعرض لعمليات انتقامية واسعة النطاق بعد أن سكتت إيران كثيراً على التجاوزات الأمريكية، وكان أخطرها إسقاط طائرة مدنية إيرانية فوق مياه الخليج. كما حذر وزير الدفاع الإيرانى من أن الصاروخ شهاب ٥ الذى يتجاوز مداه الخمسة آلاف كيلومتراً سوف يكون جاهزاً لإسرائيل، وأن هناك فرقاً بين مداعبات صدام حسين لإسرائيل أثناء عملية تحرير الكويت، وبين الانتقام الإيرانى. وهناك من يشير إلى أن صلابة الموقف الإيرانى فى إدارة الأزمة يكمن ليس فقط فى إدراك إيران للاحتمالات وقدرتها على التصرف، ولكن يكمن أيضاً فى احتمال أن يكون لدى إيران قدرات نووية عسكرية، حتى ولو كانت متواضعة.

وعلى أية حال، فإن توازن القوة بما فى ذلك القدرة على الرد بين إيران من ناحية وإسرائيل والولايات المتحدة من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ثقة إيران فى سلامة موقفها، والتفاف الشعب الإيرانى حول قيادته المدافعة عن استقلال القرار الإيرانى هو التفسير الأكثر قبولاً لجسارة إيران فى إدارة الملف النووى.

20

الغرب «الديمقراطي» بين الديمقراطيات الشرقية في فلسطين وإيران وإسرائيل

يبدو أن الغرب كان يراهن على إزاحة أحمدى نجاد بالطريقة الديمقراطية الإيرانية، ولذلك شجع الغرب كل عمل مناهض لنجاد معتقداً أن إزاحته سوف تفتح الباب أمام الإصلاحيين الذين أرسلوا رسالة واضحة للغرب بأنهم الأصلح للتعامل معه فى جميع الملفات. واللافت للنظر أن الغرب قفز عند اعتراض موسوى على نتائج الانتخابات، وهى مسألة تكفل القانون الإيرانى بحلها، ولكنها اتخذت أبعاداً خطيرة بحشد جزء من الشارع الإيرانى ضد ما أسموه تزوير الانتخابات. وقد مارس الغرب خاصة بريطانيا وفرنسا وألمانيا دورهمُ فى إحراج وربما إزالة النظام الإيرانى، وهو هدف خفى لهم جميعاً، بصور متعددة . **أولها** : المشاركة مع المحتجين على نتائج الانتخابات والعبث بالديمقراطية، **وثانيها** : انتقاد رد فعل الحكومة على المحتجين والعنف ضدهم، **وثالثها** : حملة دبلوماسية وإعلامية مكثفة لتسخين الموقف فى إيران ودفع المجتمع إلى التشقق والتمزق. ومن الواضح أن الغرب يستغل هذه المناسبة فى إيران لكى يظهر بمظهر المدافع عن حق الشعوب فى تقرير مصيرها بحرية، ولكن الغرب على الجانب الآخر يسكت سكوت المقابر على التزوير والبلطجة التى تمارسها نظم عربية حليفة ويغض الطرف تماماً على هذه المخالفات الخطيرة. من ناحية ثالثة، يعلم الجميع موقف الغرب من التجربة الديمقراطية فى فلسطين وإجهاضه نتائج

الانتخابات لأنها أفرزت العناصر المعادية للغرب. وعندما أكد الرئيس أوباما فى خطابه بجامعة القاهرة أن صناديق الانتخابات ليست هى المعيار الحاكم للديمقراطية كان محقاً فى ذلك من الناحية الفعلية، لولا أنه بذلك كان يريد أن يرسل رسالة لحزب الله فى لبنان وحماس فى فلسطين، ورسالة أخرى إلى القوى الوطنية فى العالم العربى بأن شكواها من تزوير الانتخابات لاقيمة له فى نظر الديمقراطية، فضلاً عن أن كلام أوباما ينطبق على الدول الديمقراطية التى حققت الحد الأدنى منها بصناديق الاقتراع، لكن طغيات القوى المختلفة فى المجتمع من الناحية السياسية لا يتناسب مع القوى التصويتية للمجموعات السياسية، وهذا مرض ترفى تعانى منه المجتمعات الغربية فى مرحلة ما بعد الديمقراطية. وإذا كان كلام أوباما صحيحاً فلماذا ينقضون على احتجاج منافسى نجاد ويشككون فى نزاهة الانتخابات، وهم يعلمون أن إيران أكثر ديمقراطية من كل حلفائهم فى العالم العربى.

من ناحية رابعة، هذه الدول الأوروبية الديمقراطية الكبرى هى التى تواطأت حكوماتها مع محرقة غزة وأمدت إسرائيل بالأسلحة، بل وشجعت إسرائيل وبررت أعمالها الإجرامية فى غزة، وهى نفسها التى أخفت حكوماتها عن شعوبها إطلاق يد المخابرات الأمريكية لتبنى سجوناً سرية فى بلادها لممارسة التعذيب نيابة عن الولايات المتحدة، وادعت أنها لاتعلم عنها شيئاً لولا أن لجنة التحقيق التابعة للبرلمان الأوروبى فضحت هذه الممارسات.

وأخيراً، كيف يتسنى لهذه الدول أن تساند ديمقراطية توسعية عنصرية فى إسرائيل لتطمس حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره على أرضه التى تدعى إسرائيل ملكيتها بدعم هذه الدول الديمقراطية. وكيف يتسنى لرئيس وزراء

بريطانيا الذى يتورط فى فضيحة مدوية أودت بحزبه فى الانتخابات الوطنية والأوروبية ويناضل ضد سقوطه أن يشترك فى حملة النقد لانتخابات إيران.

ليكن التزوير قد تم فى إيران أسوة بالدول المجاورة، فلماذا يتم توظيف ذلك ضد إيران فى معركة الغرب. إننى أتحدث عن نفاق الغرب وانكشافه بصرف النظر عما حدث فى إيران لكى أخلص إلى أن غيرة الغرب على ديمقراطية الشعب الإيرانى ليست حباً فى نشر الديمقراطية ولكنه توظيف سياسى فاضح فى لعبة الأقنعة العشرة للغرب المنافق. والطريف أن أوباما عندما تحدث عن العراق أبدى إعجاباً بديمقراطيتها وبإنجاز بلاده فى العراق كما أبدى اعتزازه بقرار واشنطن بغزو العراق مشيراً إلى أن واشنطن اضطرت إلى غزو أفغانستان لكنها اختارت أن تغزو العراق وهو يعلم أن واشنطن قررت منذ سنوات غزوهما معاً وكانت البداية المقررة لغزو العراق عام ٢٠٠١ عقب أحداث سبتمبر التى اتخذتها واشنطن ذريعة للتغول ضد العالم الإسلامى. وكان يجب على أوباما أن يعتذر أن بلاده لفقت مبررات للغزو وثبت كذبها، ولذلك أرى أن بوش كان أكثر شجاعة منه، وكنت أتمنى أن يكون حديثه عن العراق أكثر تواضعاً فى ضوء رغبته المعلنة فى تحسين صورة بلاده، وكان العراق من أهم أسباب تشويه الصورة بالغزو والاحتلال والجرائم المخزية لجيشه وحكومة بلاده رغم أنه يعلم أنه أغرى الشعب الأمريكى بانتخابه بسبب وعوده حول العراق. فكيف يقيم ديمقراطية القتل وانتهاك حقوق الإنسان بينما يتباكى على مايعتبره تزويراً فى نتائج انتخابات إيران.

وأخيراً، نلاحظ أن الغرب يرفع شعار الديمقراطية، لكنه لايقبل نتائج انتخابات إيران وفلسطين، بينما يقبل نتائج انتخابات إسرائيل التى فاز فيها اليمين المتطرف، فلماذا رحب بهذا اليمين بينما قاطع اليمين فى النمسا رغم أن اليمين فى إسرائيل

والنمسا ضد العرب؟!.

يبدو أن الغرب يطمع فى تغيير النظام من خلال نتائج الانتخابات وليس فى تغيير الرئيس الذى يعتبره الغرب وإسرائيل عائقاً فى سبيل التوافق الإيرانى مع الغرب.



21

معنى عدم الاعتراف بنجاد رئيسًا وآثاره

بعد اللغط الذى أحاط بنتائج انتخابات إيران، ورغم هذا اللغط مضت السلطات الإيرانية فى برنامج تنصيب الرئيس حتى يبدأ ولايته الثانية، فى الرابع من أغسطس وكان الغرب يراقب تطورات هذه المسيرة. ولكن الولايات المتحدة سارعت يوم التنصيب بالاعتراف بأحمدى نجاد رئيساً لإيران لولاية ثانية ثم عاد نفس المتحدث الرسمى يوم ٦ أغسطس ليعلن أن واشنطن تعتبر ماحدث شأنا داخلياً إيرانياً وأن الاعتراف من عدمه ليس واردا لكن واشنطن أكثر ميلاً إلى عدم الاعتراف، رغم أن واشنطن لاتملك الطريقة التى تتحقق بها من حصول التزوير من عدمه. ثم أعلن الاتحاد الأوروبى على الفور أنه يفكر فى عدم الاعتراف بأحمدى نجاد رئيساً لإيران. ومن الواضح أن التوتر بين إيران والغرب هو الذى دفع الغرب إلى استغلال الجدل حول النتائج، كما أنه من الواضح أن مشاورات إسرائيلية وأوربية مع واشنطن قد جرت حول ضرورة أن يكون لاعترافهم بنجاد ثمن فى أى من الملفات العالقة خاصة وأن المعارضة الإيرانية لاتزال ثابتة على موقفها من رفض النتائج وقاطعت حفل التنصيب مما يعنى أن اعتراف الغرب بالنتائج رغم استمرار رفض المعارضة لها خذلان للمعارضة التى قدمت للغرب فرصة ذهبية لإضعاف النظام الإيرانى وإيران بالتبعية، وبشكل أخص بعد أن لاحظ الغرب التشدد فى خطاب نجاد سواء

ضد المعارضة أو فى علاقات إيران بالغرب.

فهل يعد عدم الاعتراف بنجاد بدعة لم تعرفها العلاقات الدولية وهل يعد عدم الاعتراف إمعانا فى التدخل فى شئون إيران الداخلية بعد دعم الغرب للمعارضة الإيرانية والمبالغة فى تعاطفه مع بعض من سقطوا فى المواجهات مع السلطات بسبب الاحتجاج وما هى الآثار المترتبة على عدم الاعتراف؟ الأصل أن انتخاب الرئيس شأن داخلى وأن التعقيب عليه تدخل فى الشئون الداخلية، ولكن الغرب جعل الحكم على الضفة الداخلية أو الدولية للأمور مسألة سياسية، فهى مناسبات تعتبر مسألة داخلية كما صرح المتحدث الأمريكى، وفى مناسبات أخرى مسألة تهم المجتمع الدولى بأسرة، مع ملاحظة أن مفهوم المسائل الداخلية فى الممارسة الدولية لايزال حكراً على الدول النامية ولم نلحظ حالة واحدة طوال العقود الستة الأخيرة أن دولة أوروبية احتجت وتمسكت بأن أمراً ما من شئونها الداخلية والسبب فى ذلك هو الديمقراطية والشفافية ولعلنا نلاحظ فى هذا الصدد أن الغرب هو الذى يدعو إلى مراقبة الآخرين لانتخاباته حتى يقر بتحضيره ويتعلم من تجربته، ولكن المراقبة الدولية لانتخابات الدول النامية تعد انتقاصاً من سيادتها المهدرة أصلاً، وأداة لرقابة الأخرين على عوراتها الداخلية والسبب هو أن هذه الدول لاتريد أن ينكشف الآخرون على تزوير الانتخابات. ولكن نفس الغرب الذى قد يشهد بصلاح الانتخابات عندنا قد يعارض نتائجها كما حدث فى انتخابات فلسطين ٢٠٠٦.

فلاحتجاج على النتائج أو مباركتها أو التشكيك فيها لم يعد فى سلوك الغرب شأنا داخلياً للدول النامية لأنه يحابى حلفاءه، ويكشف أعداءه مثلما يحدث فى إيران، وهى المرة الأولى التى يفعل فيها الغرب ذلك مع أحمدى نجاد بالذات رغم أنها المرة السادسة التى تجرى فيها انتخابات الرئاسة فى إيران منذ الثورة الإسلامية فيها عام

١٩٧٩ . فالقضية كما هو واضح ليست تزويرا أو نزهة فى الانتخابات وإنما هى أحمدى نجاد نفسه بسبب إعلان العداء لإسرائيل وتعقب إسرائيل له ومحاولة اغتياله جسدياً بعد أن تعمل الآن على اغتياله سياسياً، ولما توازى هذا القصد الإسرائيلى مع موقف المعارضة اتهمت هذه المعارضة بأنها تتحرك بيد أجنبية وهو ما قد لايكون صحيحاً.

والسوابق فى التاريخ المعاصر للعلاقات الدولية ارتبطت دائماً بإسرائيل وأعنى بها سابقتى النمسا فى عهد كورت فالدهايم، وانتخاب حزب الشعب ورئيسه المعادى لليهود. وكلاهما تجربتان مريرتان فى دولة عضو فى الاتحاد الأوروبى وفى النادى الديمقراطى وتم الانتخاب بالإرادة الحرة لشعب النمسا فى الحالتين، ولكن أوربا وأمريكا اتخذتا موقفاً مخزياً إرضاء لإسرائيل. فعندما انتخب فالدهايم رئيساً للنمسا فى بداية تسعينات القرن الماضى مرتين متتاليتين قررت إسرائيلَ يومها أن فالدهايم اشترك بالصمت على إبادة اليهود فى معسكرات القوات الألمانية فى يوغوسلافيا، وهذا الاتهام غير صحيح ولكن دافعه هو معاقبة فالدهايم على مواقفه الصحيحة إبان قبول منظمة التحرير الفلسطينية مراقباً دائماً فى الأمم المتحدة. قررت إسرائيل يوم تنصيب فالدهايم أن يمتنع السفراء الغربيون عن الحضور وهو ماحدث مع أحمدى نجاد، ثم سحبت سفيرها فى النمسا وخفضت مستوى التمثيل من سفارة إلى مفوضية يرأسها سكرتيرتان مع احتفاظ النمسا بتمثيلها فى تل أبيب دون تغيير. ثم قررت الولايات المتحدة وأوربا مقاطعة فالدهايم، فلايزور ولايزال مثلما فعلوا مع الرئيس اللبنانى إميل لحود دعما لقوى ١٤ آذار ونكاية فى سوريا وحزب الله ومناهضتهم لإسرائيل. أما فى بداية هذا القرن فقد فاز رئيس حزب الشعب النمساوى الذى قتل عام ٢٠٠٨ فى حادث سيارة وشكل الحكومة ففرض الاتحاد الأوروبى لعدة شهور عقوبات صارمة على النمسا

حتى اضطر الناخب النمساوى إلى اختيار غيره تجنباً لعزل النمسا.

وعندما انتخب شارون فى فبراير ٢٠٠١ رجوت قمة عمان العربية فى مارس أن ترفض الاعتراف بشارون بالنظر إلى برنامجه الاستيطانى العدوانى ولكن القمة أعطته فرصة أخرى حتى أنهى انتفاضة الأقصى. وعندما انتخب نتانياهو ببرنامج ينهى القضية تماماً طالبت بعدم الاعتراف بحكومته وفيها ليبرمان ومواقفه المعروفة منا خاصة مع ما بدا من أن واشنطن ليست مستريحة لهذه الحكومة ولكنى تبينت أن مثل هذه النداءات مغرقة فى المثالية ولاتصلح إلا للتنفيس بالكتابة.

فى حالة إيران لا أظن أن الغرب قد حسم موقفه نهائياً من نجاد وأن الغرب يراقب جيداً مكانة المرشد الأعلى الذى حاول أن يخلق مسافة بينه وبين نجاد حين رفض أن يقبل يده، كما يراقب موقف رموز النظام فى المعارضة فإن تغلب المرشد على الجميع اعتراف بنجاد وإن اتسع الرتق أمعن فى معاداة نجاد ولكن الغرب فى كل الأحوال لايهمه شفافية انتخابات إيران ولكنه يوظف المعطيات على الأرض فى إطار الصراع السياسى مع إيران الدولة. ولذلك كنت قد نصحت أن يعالج المرشد بحكمة مسألة نجاد ولاضير أن يناقش مسألة استقالة نجاد إذا وجد لها ما يبررها فى سياق المعالجة، ولكن المضى بالسفينة رغم الخروقات يؤدى فى النهاية إلى إغراقها.



22

هل أعلنت واشنطن الحرب على إيران؟

المتابع للسياسة الأمريكية خلال الأسابيع الأخيرة يلحظ تركيزاً خاصاً فيها على إيران، وعلى الربط بينها وبين حماس وحزب الله وسوريا. ففى فلسطين تشعر واشنطن بارتياح تام إزاء سياسات التصفية التى تقوم بها إسرائيل ضد رموز المقاومة جميعاً، مادامت إسرائيل قد أعلنت الحرب على هذا «الإرهاب الفلسطينى» من جميع الفصائل، ومادامت قد أعلنت أن السلطة الفلسطينية وبداخلها حماس هى عدو لإسرائيل. وبالنسبة للمقاومة الفلسطينية – وعلى رأسها حماس – تبذل واشنطن أقصى الجهد لفرض عزلة إقليمية ودولية عليها. فقد أسعدها هذا الجدل الصحفى فى تركيا مع رئيس الوزراء بسبب زيارة حماس لتركيا، رغم أن رئيس الوزراء لم يقابل الوفد، والتقى به وزير الخارجية بصفته الحزبية، وذلك بعد تحذير إسرائيل لتركيا بأن علاقاتهما الاستراتيجية سوف تعانى إذا تقاربت تركيا من حماس، وكان هذا التقارب جزءاً من سياسية تركية تؤدى إلى تحول تركيا عن تحالفها الاستراتيجى مع إسرائيل. وقد أزعج واشنطن أن تعبر صحف أخرى عن سعادتها بدور تركى فى توثيق الروابط مع العالم الإسلامى، والاهتمام بالقضايا الإقليمية، بينما اتهمتها صحف صهيونية تركية بأن تركيا تحن إلى مرحلة الدولة العثمانية، التى أسهمت الحركة الصهيونية فى تقويض أسسها الإسلامية. ويمكن أن نشير إلى تحريض كيسنجر فى مقاله «بالواشنطن بوست» يوم

٢٧فبراير ٢٠٠٦ اللجنة الرباعية أن تعلن موقفها من حدود ١٩٦٧ والقدس وتهجير عرب ١٩٤٨ إلى الضفة الغربية فى المستوطنات حتى تصبح إسرائيل دولة يهودية.

أما إيران فقد قررت واشنطن - فيما يبدو - العمل على عزلها دولياً وإقليمياً، وتصويرها على أنها خطر عظيم على المنطقة والعالم، وأن النظام الدينى غير الديمقراطى فى إيران سيزداد خطره إذا حاز سلاحاً نووياً. بنى الخطاب الأمريكى على الإقرار بحق إيران فى حيازة الطاقة النووية، وأن نقطة الخلاف مع نظام إيران هو تهديده لجيرانه وقمعه لشعبه، وإصراره على حيازة السلاح النووى، وهو ما لم يسمح به المجتمع الدولى. رحب بوش بالاقتراح الروسى بتخصيب اليورانيوم، ولكنه أكد أن مستوى ما تحقق لم يبدد الخوف من الطموحات النووية الإيرانية. وتحاول الولايات المتحدة أن تحشد دول المنطقة ضد إيران بسبب دورها فى العراق، والملف النووى، ودعمها لحماس. فى نفس الوقت يعول بوش كثيراً على موقف الهند وباكستان، وهما الدولتان المساندتان للموقف الإيرانى. ولذلك فإن تركيز بوش على الهند، وعلى التعاون فى تطوير الطاقة النووية للأغراض السلمية، والتحالف الاستراتيجى معها، ودعمها فى قضية كشمير، وتحريك الدعم الرسمى الباكستانى لهذه القضية فى هذا الاتجاه لابد أن يثير التساؤل حول مقابل هذا التغير التاريخى فى الموقف الأمريكى. ثم أكد بوش فى أول زيارة لرئيس أمريكى إلى أفغانستان أن وجوده العسكرى هو بدعوة من حكومتها لاستمرار تطوير الديمقراطية والمجتمع، وهو يعلن لأول مرة أن القوات الأمريكية ليست مهمتها البحث عن بن لادن والملا عمر، كما كان يردد فى السابق، وهو تطور هام يستهدف الجمهوريات السوفيتية السابقة والصين وإيران.

ولعلنا نلاحظ أن محاولة واشنطن احتواء غضب الصين من إلغاء تايوان للجنة توحيد الجزيرة مع الصين الأم بذريعة أن اللجنة معطلة، والاستغراب واشنطن من

هذه الخطوة التى جلبت غضباً صينياً عارماً، هو محاولة لعدم إثارة الصين فى هذه المرحلة، التى تركز فيها واشنطن على إيران. ومؤدى ذلك أن واشنطن أشعرت الصين أنها يمكن أن تساعد فى هذه القضية إذا ساعدت الصين واشنطن فى خطها الهادف إلى عزل إيران وإدانتها فى مجلس الأمن.

إن موافقة بوش على قبول الهند كقوة نووية وعضواً فى النادى النووى على أن تقبل الهند التفتيش النووى على بعض منشآتها الذرية من جانب الوكالة دون أن يصر بوش أو حتى يثير اقتراح أن توقع الهند على اتفاقية حظر الانتشار النووى، وقبول التعاون معها فى المجال النووى، وتقديم المواد النووية التى لا يجوز تقديمها إلا للدول الأطراف فى الاتفاقية،وذلك كله انصياعاً للطلبات الهندية كلها تقريباً، وسط إعلان قادة الهند قبيل الزيارة بأن الهند تتعامل مع واشنطن على قدم المساواة، وهو ما يضع علامات استفهام عما هو مطلوب من الهند مقابل ذلك كله. الواضح أن الهند مطلوب منها أن تقتنع بأن إيران خطر إقليمى، وأن الهند يجب أن تكون جزءاً من التحالف الدولى ضدها، وربما إقناع الهند بأنها طرف فى معادلة الأمن الإقليمى فى آسيا فى مواجهة الصين.

ومما يذكر أن الهند أن أيدت فى مجلس محافظى الوكالة الدولية للطاقة الذرية – خلافاً لمواقفها السابقة المؤيدة لإيران – إحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن إذا قررت الوكالة أن إيران لم تحترم التزاماتها وفق اتفاقية منع الانتشار. ويحلو لباكستان أن تؤكد على أنها تؤيد حق إيران فى حيازة التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية، وأن تغير موقف الهند فى الوكالة كان قد تم بضغط أمريكى، ولكننا نعتقد أن تغير موقف الهند لم يكن بسبب الضغط الأمريكى وحده، وإنما ظاهر هذا السبب سبب آخر، وهو سلوك الحكومة الإيرانية فى الملف النووى، وكذلك التصريحات الملتهبة

التى أدلى بها الرئيس الإيرانى حول إسرائيل والمحرقة، وهى التى ألبت عليه الدوائر الصهيونية فى العالم، فكان هذه التصريحات إحراجاً للدول الصديقة لإيران. ويبدو أن ما تريده الولايات المتحدة من الهند بالنسبة للملف النووى الإيرانى هو أبعد من مجرد مساندة الموقف الأمريكى فى الوكالة، وإنما الاستعداد لقبول فكرة التحالف الدولى ضد إيران تمهيداً لإسقاط نظامها. وقد لقى موقف بوش من الاعتراف للهند بوضع الدولة النووية نقداً شديداً داخل الولايات المتحدة، وكذلك فى الهند وباكستان معاً، على أساس ازدواج المعايير، ورفض الاعتراف بنفس الوضع لإيران وكوريا الشمالية وباكستان. وقد شعر الهنود بالتحدى والندية مع بوش، لأنهم هم الذين طوروا قدراتهم النووية دون مساعدة دولية. فإذا ضمنت واشنطن الموقف الأوروبى والإقليمى، فهل يكفى ذلك لإقناع إيران بالتوقف عن طموحاتها النووية؟ أعتقد أن هذه العزلة قد تدفع إيران إلى الإسراع بحيازة السلاح النووى لاعتبارات نفسية، كما أن وضع الهند النووى الذى فرض نفسه على واشنطن سوف يشجع إيران على تحقيق طموحاتها النووية. بالمقابل يقوم الرئيس الإيرانى بجولة فى الخليج لطمأنة هذه الدول إلى سياساته السلمية، خاصة وأن دول الخليج تدرك مخاطر الصدام الإيرانى الأمريكى والإسرائيلى على الخليج والمنطقة بأسرها، خاصة إذا قررت واشنطن أو إسرائيل ضرب المنشآت النووية الإيرانية، وسط شعور عام فى العالم الإسلامى باستهداف إيران ضمن استهداف العالم الإسلامى لخدمة المصالح الصهيونية فى العالم. يكفى أن نشير إلى أن صحيفة «الواشنطن بوست» قد أجرت استطلاعاً فور صدور تصريحات الرئيس الإيرانى ضد إسرائيل، وكشف هذا الاستطلاع عن أن الأغلبية الساحقة فى العالم الإسلامى تبدى إعجابها بهذه التصريحات والشجاعة فى إبدائها، فى مناخ تفرض فيه الحركة الصهيونية كبتاً وقمعاً على العالم الإسلامى.

الفصل الثالث

مصر وإيران

1

محاولات تطبيع العلاقات المصرية الإيرانية

أصبحت العلاقات المصرية الإيرانية واحدة من الحالات النادرة فى العلاقات الدولية، فلم يحدث أن انقطعت علاقات مصر الدبلوماسية مع دولة من قبل ٢٨ عاماً مثلما هو حادث مع إيران.

وإذا كانت إيران هى التى قطعت العلاقات مع مصر عام ١٩٧٩ بعد قيام الثورة الإسلامية احتجاجا على منح مصر اللجوء لشاه إيران ورفضها تمكين إيران من أموال الشاه، فإن الشاه نفسه قد توفى بعدها بأسابيع ورحلت أسرته من مصر كما أن السادات نفسه قد مات بعدها بعامين ونصف، ولم يبق لاستعادة العلاقات سوى الإجراءات، ولم يحدث أن الاختلاف فى المواقف والسياسات كان سبباً فى استمرار قطع العلاقات وإلا كانت العلاقات مع معظم الدول قد قطعت.

وعلى أية حال فإن استمرار قطع العلاقات من وجهة نظر البلدين ربما كان له ما يبرره خلال الحرب العراقية الإيرانية التى ساندت فيها مصر إيران ضمن منظومة الدول العربية الحليفة لواشنطن حينذاك و التى كان التحالف يملى عليها مصادفة صدام حسين وتدليله حتى النهاية. وخلال السنوات السبع الماضية كانت هناك أيدى ممدودة بين إيران لمصر لأن مصر هامة لإيران، كما أن إيران بالغة الأهمية بالنسبة لمصر، وتم الاتفاق فعلا على إعادة العلاقات المقطوعة رسمياً عام ٢٠٠٤ خلال لقاء الرئيس مبارك بالرئيس خاتمى الذى يعتبره الكتاب العرب على عادة

الغرب أنه من المعتدلين، ولكن التنفيذ تعثر بشكل غامض. ثم حدثت لقاءات بين غرف التجارة والصناعة فى البلدين، وأخيراً صدرت تصريحات إيرانية فى بداية عام ٢٠٠٧ تتلهف على العلاقات مع مصر. فرغبة إيران فى العلاقات مع مصر لم تفتر يوماً ولم تتناقض يوماً.

ولكن المشكلة كانت دائماً فى الجانب المصرى الذى استغلت موقفه على الفهم حتى أصبح التساؤل مشروعاً حول تمنع مصر فى الاستجابة للنداءات الإيرانية؟ أهى مصلحة مصرية؟ وما هى هذه المصلحة التى تبرر ارتباك الموقف المصرى؟ أم هى الولايات المتحدة وإسرائيل وهو عامل حاسم فى القرار المصري سلباً وإيجاباً؟

فوجئنا بإعلان السيد وزير الخارجية أن مصر قررت رسمياً عودة العلاقات وإرسال وفد لهذا الغرض، بينما كان الوزير فى يوليو الماضى يصرح بأن إيران تهدد الأمن القومى المصرى فى العراق وفلسطين بسبب علاقتها بحماس ثم أعلن الرئيس مبارك بعد ذلك بيومين فقط أن إيران دولة صديقة ولا تهدد أحداً، وأن الأولوية فى فلسطين للحوار بين حماس وفتح.

إذا كان الثابت أن عودة العلاقات يجلب المصلحة للطرفين فلماذا ترددت مصر ثم أقدمت فجأة ودون مقدمات. إذا كان الأمر يتعلق فقط بالضعف فى إدارة الملف فهذا أهون من الافتراض بأن إقبال مصر قد تم بإيحاء أمريكى، خاصة أنه جاء بعد أسبوعين من دعوة قمة مجلس التعاون الخليجى فى الدوحة للرئيس أحمد نجاد لحضور الدورة.

فإذا كانت مصر ودول مجلس التعاون تتقاربان من إيران الآن فى وقت تحاول واشنطن عزل إيران وتشديد النكير عليها حتى تخفض سقف شروطها للتسوية مع واشنطن، فهل مصر ودول التعاون الخليجى تحدى واشنطن وهو أمر مشكوك فيه؟

أم الأرجح أن لواشنطن هدفاً قد لا تفهم مصر ودول المجلس من وراء دفعهما للتقارب مع إيران؟.

وأخيراً، إذا كانت لدى دول مجلس التعاون ما يدفعها إلى التوافق مع واشنطن، فما الذى يدفع دولة بحجم مصر إلى ذلك والظهور بمظهر المتخبط الذى لا يرضاه لها أبناؤها المخلصون.

والخلاصة، أن ما يحدث بين مصر وإيران فصل من مسلسل ساذج الإخراج، ولكنه يفيد إيران ويضع نحن المصريين فى موضع الدهشة على الأقل؟

2

مصر وإيران القضية النووية محاولة للفهم

أمامنا ثلاثة مشاهد يتعين فهم العلاقة بينها. أول هذه المشاهد هو الملف النووي الإيراني الذي يثار منذ عدة سنوات ولكنه شهد تصعيدًا متبادلاً بين تطور الأنشطة النووية والمواقف السياسية الإيرانية مقابل تصميم الولايات المتحدة على حرمان إيران مما تسميه الطموحات النووية الإيرانية ، ورغم ذلك تعترف الولايات المتحدة بحق إيران وفق أحكام المادة الرابعة من اتفاقية منع الانتشار النووي بالاستفادة من الاستخدامات السلمية للطاقة النووية بل وتلزم الدول النووية بتقديم الوقود النووي للمفاعلات في الدول غير النووية ، ولم تحظر قيام هذه الدول نفسها بتجهيز الوقود اللازم لهذه المفاعلات ، وليس هناك خشية من تحول الدولة من الاستخدام السلمي إلى الاستخدام العسكري مادامت الدولة تخضع لنظام التحقق والتفتيش من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وهو نفس السبب الذي تدفع به إيران للرد على الملاحقة الأمريكية لها ، وكلاهما إيران والولايات المتحدة يعلمان جيدًا أن الأزمة ليست في الملف النووي وإنما هي أزمة سياسية سببها أن إيران من الدول المناهضة للسياسة الأمريكية وأنها تطاولت على المقدسات الصهيونية فطعنت في المحرقة وفي سبب قيام إسرائيل ونسفت كل الدعاوى الصهيونية التي تتمسح بالتوراة والتاريخ والأساطير الأخرى التي فصلها جارودي في كتابه حول الأساطير المؤسسة للدولة العبرية .

في نفس المشهد تناهض واشنطن حق إيران في تخصيب اليورانيوم استنادًا إلى ثلاثة دفوع:

الأول أن إيران من أكبر الدول المنتجة للنفط وليست بحاجة على الطاقة الذرية .

والثاني هو أن الطاقة الذرية محوطة بمخاطر ضعف الأمان مما يهدد الإنسان والبيئة ، والثالث أن إيران مناهضة لإسرائيل ، والدفع الثاني تتبناه أيضًا دول الخليج .

المشهد الثاني : الذي استجد بينما المشهد الأول لا يزال ملتهبًا والتكهنات حول مصيره تشغل كل المحللين والمراقبين ، ونعني بالمشهد الثاني إعلان مصر المفاجئ خلال المؤتمر السنوي الرابع للحزب الحاكم في الأسبوع الأخير من سبتمبر ٢٠٠٦ أن مصر اتخذت قرارًا بإحياء الصناعة النووية التي توقفت خوفًا مما سببه مفاعل شيرنوبل من أثار عام ١٩٨٦ بعد أربع سنوات من تصديق مصر على اتفاقية منع الانتشار النووي ، ويبدو أن ذلك كان أحد التفاهمات المصرية الأمريكية الإسرائيلية بدلاً من أن تعلق مصر انضمامها إلى المعاهدة حتى تنضم إسرائيل ، قامت بإحراق هذه الورقة في يدها مجانًا لأسباب تعذر على الدارسين والمتابعين فهمها .

القرار المصري أعلن فجأة دون مقدمات بعد أيام من رفض مؤتمر الوكالة الدولية للطاقة الذرية مشروع قرار عربي يدين التسلح النووي الإسرائيلي ويطالب إسرائيل بالانضمام إلى معاهدة منع الانتشار النووي والدخول في نظام التفتيش الدولي خاصة بعد أن أعلنت الوكالة نفسها عام ٢٠٠٥ أنها تعتقد أن لدى إسرائيل عدد كبير من الرؤوس النووية ثم زار البرادعي إسرائيل وطوى الملف .

القرار المصري أعلن أيضًا في وقت يشتد الجدل حول الملف النووي الإيراني وتوشك واشنطن أن تقايض العراق بالملف الإيراني أي التسامح مع المطالب الإيرانية النووية مقابل تعاون إيران مع واشنطن في معالجة مناسبة للملف العراقي

خاصة بعد تأكيد أحمدي نجاد لنور المالكي خلال زيارته لطهران في سبتمبر ٢٠٠٦ ما يشير إلى أن لإيران قدرة على تهدئة الأوضاع الأمنية في العراق ، ثم أعقبه اتهام الرئيس العراقي جلال الطالباني إيران وسوريا بدور في الأزمة العراقية وكذلك اتهامات أخرى لإيران والسلطات العراقية في المذابح الطائفية الغامضة يوميًا في العراق .

شددت مصر دائمًا على أنها تريد الشرق الأوسط خاليًا من أسلحة الدمار الشامل بما فيها الأسلحة النووية ، ولذلك أكد الإعلان المصري على الطابع السلمي لبرنامجها النووي وأن من حقها وفق معاهدة منع الانتشار النووي الاستفادة من الاستخدامات السلمية للطاقة النووية وأنها كطرف في المعاهدة تخضع لنظام التفتيش . أكدت مصر أيضًا أن السبب لهذه الخطوة النووية هو توفير مصادر الطاقة بعد أن أرهقها استيراد مواد الطاقة البترولية طوال هذه السنوات ، مما يبرر تخصيص ميزانية الإنفاق النووي الضخمة خلال سنوات الإعداد العشر القادمة .

يلاحظ في المشهد المصري أن إسرائيل أعلنت أنها لا تخشى البرنامج النووي المصري ، وأن واشنطن تبارك الخطوة المصرية وتشجعها وترحب بأن تكون شريكًا نوويًا ، في نفس الوقت تؤكد الحكومة المصرية منذ ثمانينات القرن الماضي أن حيازة إسرائيل للسلاح النووي لا قيمة له عسكريًا بسبب مخاطر استخدامه في مساحة ضيقة تضر بإسرائيل قبل غيرها ، علمًا بأن إسرائيل تستخدم منتجات عسكرية نووية في أنشطتها العسكرية في فلسطين ولبنان مثلما فعلت الولايات المتحدة ضد العراق عام ١٩٩٩١ وعام ٢٠٠٣ . كذلك تشهد الساحة المصرية والعربية مطالبات بالتسلح النووي أو على الأقل الاستفادة السلمية من الطاقة النووية إزاء سلوك إسرائيل البربري في الأراضي العربية .

في نفس المشهد نشير إلى أنه في أواسط عام ٢٠٠٥ أثارت واشنطن زوبعة ضد ما أسمته محاولات مصر السرية حيازة السلاح النووي ويومها صدرت تقارير وتصريحات غامضة من الوكالة ثم تصريح أخير بإبراء الذمة ثم دفن الموضوع بعد أسابيع من إثارته.

في نفس الوقت أيضًا شددت مصر على أن إحياء المشروع النووي هو خطوة حضارية ضخمة تؤهل مصر لدخول القرن الجديد ، وغيرها من التصريحات التي لا تستحق أن نتوقف عندها في سياق هذا التحليل .

السؤال : هو هل قررت مصر وحدها إحياء البرنامج النووي وفوجئت به أمريكا وإسرائيل أو بالتفاهم معهما ؟

وهل رحبت واشنطن بالبرنامج المصري أم هي التي أوحت به في إطار معالجتها للملف الإيراني ، رغم أن إثارة الملف المصري الذي لن يظهر إلى الوجود إلا بعد عشر سنوات على الأقل يفيد الموقف الإيراني علمًا بأن هناك فارقًا ضخمًا بين مصر وإيران من هذه الزاوية ، فمصر حليف للولايات المتحدة وهي تعلن منذ البداية خلافًا لإيران التي ظل برنامجها سريًا بعد أن تقرر إحياؤه عندما توقف برنامج الشاه بقيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ .وخلال سنوات الإعداد المصري الطويلة لا تزال الفرص أمام إسرائيل والولايات المتحدة للاعتراض إذا تغير مناخ العلاقات المصرية معها .

أما الفارق الثالث فهو أن إيران توظف الملف النووي لكي تقنع واشنطن بأنها شريك في السياسات الإقليمية في الخليج وأنها تستحق ذلك وقادرة عليه ، وأن عداءها للشيطان الأكبر ليس قدريًا أو أيديولوجيًا بل هو عداء سياسي يزول بزوال أسبابه .

بقي الفارق الرابع وهو العامل الإسرائيلي ، فإسرائيل طرف في الحالين ، في حالة مصر فإن الوضع يختلف حيث تؤكد مصر حرصها على إسرائيل ، وحقها في الحياة ولا تشكك في الهولوكوست وتغمض عينيها كلتيهما في الكثير من الأحيان حتى لا تستثير إسرائيل خاصة منذ أن صرحت كونداليزا رايس بأن من أحب إسرائيل فقد أحب أمريكا .

وإذا كان الإعلام المصري إيعازًا من أمريكا ، فما هو الهدف ؟ هل هو رسالة مزدوجة إلى إيران : **الأولى** أنها تعني أنه بوسع الدولة الحليفة المسالمة الواضحة أن تحوز الطاقة الذرية مادامت أهدافها واضحة ويمكن التحقق منها ، بل يمكنها حتى أن تكون نووية مادامت حليفة مثلما هو حال إسرائيل والهند ، **الرسالة الثانية** : أن إصرار إيران على الخيار النووي قد فتح الباب أمام سباق التسلح النووي خاصة وأن التيار الأغلب في الصحافة الأمريكية كان قد حذر من أن تسلح إيران سيدفع دولاً مثل مصر والسعودية على التسلح أيضًا ولكن هذا التحذير لا يتسم بالجدية لأن سباق التسلح النووي من الجانب العربي سيضر بإسرائيل فتواجه مجموعة نووية بدلاً من دولة واحدة وهم يعلمون جيدًا أن بقاء الحال من المحال خاصة في ظل تصرفات إسرائيل التي استفزت الشارع العربي فضلاً عن السلوك الأمريكي .

المشهد الثالث : يقوم على تصريح لوزير الخارجية المصري في ٢١ / ٩/ ٢٠٠٦ يتعلق بإنشاء منتدى غير رسمي يضم مصر والأردن ودول مجلس التعاون الست + الولايات المتحدة أي ٨+١ وأن هذا المنتدى سوف يتولى التعامل مع إيران في شأن ملفها النووي .

المعلوم أن جميع هذه الدول التسع عدا مصر والولايات المتحدة تقيم علاقات رسمية مع إيران، وأن محاولات إقامة علاقات مصرية إيرانية منذ قطعتها إيران عام

١٩٧٩ تراوحت مجالا معينًا ، والثابت أن هناك مصلحة مصرية محققة في إنشاء هذه العلاقات ، وأن مصر كانت تعرف حين يكون الإقبال الإيراني في غايته ، بينما أقبلت مصر في لحظة انصراف إيران ، وفي أحيان قليلة كانت الرغبة مشتركة من الطرفين فأحال حائل دون إتمام القران .

البعض يرى أن العامل الأمريكي أهم من إرادة الطرفين على الأقل في أثره على القرار المصري ، والبعض الآخر يرى غير ذلك ، وأن إرادة الطرفين إيران ومصر متوفرة لولا سوء الحظ وتغير الظروف . فهل هذا المنتدى هو أحد الترتيبات الأمريكية كخط متقدم للحوار مع إيران لحساب واشنطن وبتوجيهاتها ، وهل هو مع الاتحاد الأوروبي أم بديل عنه ؟

تلك مشاهد ثلاثة : المشهد الإيراني ، المشهد المصري ، المشهد المختلط أو منتدى الحوار ، وهذا الأخير قد يسهم في وصل العلاقات المصرية الإيرانية في سياق متعدد بدلاً من السياق الثنائي الذي قد يثير قلق غيرهما ، وهل تمتد مهمة هذا المنتدى لتشمل كل القضايا الإقليمية الأخرى مثل فلسطين ولبنان وهل هو يقصد عزل سوريا والحوار مع إيران أم يقصد تليين إيران أولاً ثم التوجه إلى سوريا ؟

المؤكد أن هناك علاقة ما بين هذه المشاهد الثلاثة والمؤكد أن المصلحة العربية في هذه المشاهد غير واضحة ، والمؤكد أخيرًا أن بطل المشاهد الثلاثة هو الولايات المتحدة .

3

مصر وحزب الله

اللافت للنظر أن مصر الرسمية مصرة على اتخاذ موقف من حزب الله لا يتسم بالعداء بقدر ما يتسم بالنقد المستمر والمتكرر. وكانت الإشارات الأولى عندما أعلن الرئيس مبارك خلال العدوان الإسرائيلى على لبنان فى يوليو ٢٠٠٦ نقده لعملية خطف الجنديين الإسرائيليين من جانب مقاتلى حزب الله. وأوضح الرئيس مبارك فى تصريحات متفرقة أن الحزب جزء من التشكيلة الوزارية اللبنانية، وأنه اتخذ قرار خطف الجنديين وهو يعلم بالآثار والرد الإسرائيلى ومع ذلك لم يتشاور مع بقية أعضاء الحكومة حتى يمكن اتخاذ الترتيبات اللازمة لإعداد البلاد لهذه الآثار المدمرة. كان واضحاً أن نقد الرئيس للحزب ينصب أساسا على فداحة الدمار الذى لحق بلبنان، وعدم التناسب بين خطف جنديين وبين كل هذا الدمار، وهو نقض كان يجب أن يوجه إلى إسرائيل وليس لحزب الله.

وافترض الرئيس أن الحزب أقدم على الخطف وهو مدرك لا حتمالات الرد الإسرائيلى، خلافاً لحالات الخطف السابقة، ورغم تأكيد السيد حسن نصر الله أمين عام الحزب الذى أعلن مرات عديدة أن سياسة الحزب هى اللجوء إلى الخطف لكى يبادل المخطوفين مع الأسرى الذين أمضوا عقوداً فى السجون الإسرائيلية والذين تضم قائمتهم لبنانيين وفلسطينيين وعرباً آخرين غيبتهم ظلمات هذه

السجون والتغذيب الوحشى لهم، وليسوا على أجندة أحد فى العالم العربى وكأن قضيتهم أمرمشين للعالم العربى ويسئ إليه وأنه من العار الحديث عن هذه القضية. ولكن الرئيس مبارك كرر موقفه دون أن يبدو أنه أخذ فى الاعتبار إيضاحات الحزب، وربما كان بذلك يرد على الملاحظات القاسية ضد بعض الزعماء العرب. ولكن القضية فى ظنى ليست رد الرئيس أو تأكيد موقف لأن مصر دولة كبرى ولابد أن يحظى موقفها بالتحليل المنطقى وأن تتحدد المصلحة الوطنية وراء هذه المواقف.

فى نفس الاتجاه تواترت تصريحات وزير الخارجية المصرى التى تنتقد حزب الله على أساس أن الحزب ينفذ أجندة أجنبية بعيدة عن المصالح اللبنانية، وأن خطف الجنديين كان خطأ مقصوداً ويهدف إلى أن يفلت الحزب من استحقاق نزع سلاحه فى إطار الحوار الوطنى وأضاف إلى ذلك أن حزب الله تسبب فى المزيد من احتلال الأراضى اللبنانية أى أن تصرف الحزب سبب العكس من منظور المصلحة اللبنانية.

هذا الموقف الرسمى المصرى يسانده موقف فكرى وثقافى لعدد من الكتاب من بينهم مفكرون لهم علاقات دافئة مع الولايات المتحدة، وبعضهم ينتقد الحزب من موقع طائفى، أو من موقع علمانى يعادى الخط الدينى الإسلامى أصلاً. على الجانب الآخر يقف الشارع المصرى كله تقريباً مع حزب الله ويصدق بياناته. هذا التقابل التام بين الموقف الرسمى وبعض الموقف الفكرية المحدودة للغاية فى مصر لابد له أسبابه التى يتعين تحليلها فى هذه المقالة.

أما الموقف الرسمى المصرى، فمن الواضح أنه لم يتفادى اتهام الحزب صراحة بأنه ينفذ أجندة محددة سورية أو إيرانية، وهو يقدح بذلك فى وطنية الحزب ولبنانيته. من الواضح أيضاً أن مواضع النقد المصرى للحزب تكرار للموقف الذى تؤكده قوى ١٤ آزار فى لبنان، كما تلتقى بغير تفصيل كثير مع بعض المواقف

الرسمية العربية. من الواضح ثالثاً أن الموقف الرسمى المصرى أدان العدوان الإسرائيلى والدمار الذى سببه، وطالب بالموقف الفورى لإطلاق النار، كما بادرت مصر إلى إصلاح الخلل الذى اعترى قرار مجلس الأمن ١٧٠١ وطالب الجميع باحترامه على أية حال طلبا للهدوء فى لبنان، كما تبدى مصر الرسمية قلقها على تطورات الوضع الداخلى للبنان حتى قبل العدوان وكان لها بعض المساعى لإنجاح الحوار الوطنى وتجنب الحدة التى قد تشعل الحرب الأهلية من جديد.

من الواضح رابعاً أن موقف مصر يؤثر بشكل ما حتى فى ظل انسحاب الدور المصرى وانكماشه وانكفائه على نفسه، ولسوء الحظ فإن موقف مصر مع دول أخرى منذ يوم ١٣/ ٧/ ٢٠٠٦ أى يوم اليوم التالى للعدوان الإسرائيلى، كان له أبلغ الأثر على الموقف الإسرائيلى والأمريكى فى الحرب، بل تجاسرت إسرائيل على البوح بأن زعماء عرباً اتصلوا بها لتشجيعها على سحق حزب الله. فالثابت حقاً أن هذا الموقف استفز الشارع العربى والإسلامى وأشار بأصابع اتهام ظلت تكبر كلما أمعنت إسرائيل فى عدوانها، وعانت من صمود الحزب وانهيار المخطط الإسرائيلى.

الثابت أيضاً أن إسرائيل التى أوهمت نفسها بأن المواقف الرسمية العربية تؤيد عدوانها وتباركه أوهمت نفسها أيضاً بأن حزب الله مكروه ومعزول فى العالم العربى، وأن سحقها له هو فرض كفاية عن هذا العالم العربى الذى يقدر لها حسن صنيعها ويدخلها إلى قلوب العرب بهذا العمل القدرى. والذى لابد أن تعلمه إسرائيل جيداً هو أن حسن نصر الله تحول إلى أيقونة ورمز وتحول الحزب خارج لبنان إلى رمز للصمود فى مواجهة غطرسة القوة والإذلال والتواطؤ المكشوف بين إسرائيل وأمريكا. وإذا كان المقام لا يتسع لتحليل مدلول بعض المواقف العربية، فإنه تكفى الإشارة إلى أن فشل إسرائيل فى توظيف قوتها العسكرية والغطاء

الدبلوماسى الهائل والذى توفر لها واعترافتها منذ البداية بأنها تنفذ خطة مدبرة وأنها أصبحت مؤهلة لكى تنفذ فى حزب الله قرارات مجلس الأمن الذى لم تحترمه يوماً قد أشعل الحماس فى الشارع العربى والإسلامى للحزب وأمينه العام وهو يلحظ بالأسى السكوت العربى الشامل، حتى خرجت من هذا الشارع كل صور الإدانة والاتهام للحكومات العربية واستعلى هذا الشارع على بعض التلميحات الطائفية الصادرة عن بعض الحكومات العربية، واستغربت أن تدين هذه الحكومات المؤامرة الأمريكية الطائفية فى العراق فى الوقت الذى تمارس نفس الشئ مع حزب الله.

ولكن الذى يهمنا فى هذه المقالة بشكل محدد تلك الأسئلة الملحة فى تحليل الموقف المصرى من حزب الله.

فلماذا تعادى مصر حزب الله وتدخل نفسها طرفاً فى صراع لبنانى داخلى وأين مصلحتها فى ذلك؟ ولماذا يؤيد الشارع المصرى وجميع القوى السياسية المصرية بلا استثناء، بينما تقف الحكومة موقفاً معاكساً؟

هذا السؤال يطرح بإلحاح على الحكم فى مصر حتى يوضح للشعب هذا الفارق الضخم فى الموقف من حزب الله. ألا يدافع الحزب عن أرض لبنانية؟ وألا يدافع ضد أعتى آلة حربية معتدية إسرائيلية، وألا يسعى الحزب إلى تحرير الأسرى العرب؟ وحتى لو التقت المصالح السورية والإيرانية مع حزب الله ضد إسرائيل والولايات المتحدة، أليس ذلك أمر يتعلق بمعركة واشنطن وإسرائيل مع أعدائهما؟. ولماذا تنكر مصر أن يتلقى حزب الله اللبنانى المساندة من سوريا وإيران وحتى من الشيطان مادام يدافع عن أرضه، بينما لم تنكر تبجح أمريكا بمساندتها لإسرائيل فى عدوانها بكل أنواع الأسلحة المحرمة والعالم كله يتفرج على هذا المشهد المخزى. وألا تدرك الحكومة المصرية أن موقفها بعيد للغاية عن موقف شعبها،

وهل كانت مصر الرسمية تأمل حقاً أن تنتصر إسرائيل وتسحق حزب الله وتحتل لبنان حتى يقال أن نقد الحزب فى البداية نابع من بعد النظر والحكمة، وأن الحزب لم يحسب للأمر حسابه وأن طيشه واندفاعه أعمياه عن جدية تحليل النتائج المختلفة.

وهل تحرص مصر الرسمية على المخطوفين الإسرائيليين بينما لا يهمها الأسرى العرب مادام الحديث عن هؤلاء الأسرى سيقلب المواجع على أسرانا الذين أعدموا وهم أمانة فى يد القوة الغاشمة الآسرة دون أن تحرك مصر ساكناً، أم أن إرغام حزب الله إسرائيل على اتباع قواعد لعبة مختلفة معه قوامها الجدية يحرج الحكومات العربية جميعاً وبشكل أخص مصر الرسمية التى تتسامح بشكل لافت مع العبث الإسرائيلى المتكرر بأرواح جنودنا داخل منطقة الحدود المصرية الإسرائيلية. وما هى المصلحة التى تعود على مصر من موقف مصر الرسمية من حزب الله ومواصلة نقده فى هذا الظرف الدقيق الذى يوزع فيه الحزب اهتمامه على الحملة الدولية ضده لإضعافه وتحجيمه ومنعه من الرد على تطاولات إسرائيل وتماديها ضد لبنان كما يرجز اهتمامه على الساحة الداخلية بعد أن أدى تدويل المسألة اللبنانية خاصة بعد العدوان الأخير إلى خلط الأوراق الداخلية والدولية لصالح إسرائيل. وما هى مصلحة مصر فى نزع سلاح حزب الله.

كما أننا نتساءل أيضاً عن مصلحة مصر فى الاشتراك فى الحملة الدولية لحصار الشعب الفلسطينى وإسقاط حماس لصالح فتح وتدهور الأوضاع ودخولها إلى حرب أهلية. إذا كانت مواقف مصر الرسمية تعبر عن مزاج شخصى فلا نظن أن هذه المسألة يصح فيها العفوية والتعبير التلقائى عما تكنه قلوب الساسة، أما إن كانت المواقف مدروسة فإننا نأمل بصدق أن يتفضل الحكم بتوضيح الاعتبارات والمصالح التى جعلت موضوع حزب الله الشاغل اليومى تقريباً لوزير الخارجية.

وإذا كان مفهوما، وإن لم مقبولا، أن يفسر موقف الحكم من حماس بمقاييس المسرح الداخلى المصرى وعليه لاعب جديد هو الإخوان المسلمون، وعلاقة الإخوان بحماس، فهل نفس المقاييس هى نفسها التى تدفع إلى الخشية من أن ارتفاع أعلام الحزب ترفع أعلام الإخوان فى مصر والتيار الإسلامى عموماً؟. وهل لو كان حزب الله حزباً مسيحياً وتصادف جدلاً أن كان حليفاً لأمريكا ويدافع عن لبنان ضد إسرائيل، فهل موقف مصر الرسمية سوف يتغير؟.



4

نجاد وعبد الناصر ومفارقات الأقدار

أحمدي نجاد ومعركته ضد الغرب لتأكيد حق إيران في الاستفادة السلمية من الطاقة النووية يذكرنا بمعركة سلفه مصدق الذي كان يؤكد بالتأميم حق إيران في السيطرة على مواردها الطبيعية من النفط ، بصرف النظر عن حكم محكمة العدل الدولية في ذلك الوقت من عام ١٩٥١ ومصير مصدق وعودة نظام الشاه بعد إزاحته في حركة مصدق ، فالرسالة واحدة وهي تأكيد حق الشعب الإيراني وقراره المستقل في مسألة مشروعة .

وبعد مصدق بخمس سنوات قام جمال عبد الناصر في مصر وربما مقتديًا ومعجبًا بمصدق إيران بتأميم قناة السويس بعد قرن تقريبًا من الاستغلال المقترن بالحيف السياسي على استقلال مصر ، فكانت الشركة العالمية تمثل الرمزين معا : الاستغلال ومظاهره الاحتلال البريطاني وإعاقة الشعب المصري عن استقلال قراره .

وإذا كان مصدق قد انتهى وخلف وراءه الحدث والمعنى ، فإن عبد الناصر نجح في تأكيد إرادة مصر وهزيمة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ورفع راية الحرية في الشعوب المقهورة في العالم الثالث ، فكان التأميم والتصدي للعدوان تعبيرًا عن تغير قيم المجتمع الدولي عندما تكون الإرادة الوطنية هي العامل الأكبر ومقدمة لانحسار العصر الاستعماري كله .

ومن مفارقات الأقدار أن عبد الناصر الذي أعجب بمصدق وأطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة الشهيرة ، تصدى لسياسات الشاه الهادفة إلى النيل من استقلال دول الخليج ولم يفرق عبد الناصر بين الاستعمار البريطاني والمطامع الإيرانية في الخليج ، وكانت تلك الإشارة الأولى في الأدبيات العربية آنذاك إلى ما يسمى بالأطماع الإيرانية أو الخطر الإيراني في الخليج كما تصدى عبد الناصر إلى سياسات الشاه المتحالفة مع إسرائيل ، وتحالفه مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي ، مما انعكس على العلاقات المصرية الإيرانية حتى تولى السادات الحكم فأصبحت مصر وإيران معًا وأسباب أخرى حلفاء الولايات المتحدة وضد الاتحاد السوفيتي ، وهو شهر العسل الحقيقي في العلاقات الإيرانية المصرية الذي انتهي فعليًا ليس بسبب تغير القيادة في مصر بتولي الرئيس مبارك وإنما بسبب تغير القيادة في إيران منذ قيام الثورة الإسلامية وإعلانها قطع العلاقات مع مصر بسبب اتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٨ بين مصر وإسرائيل ثم انضمام إيران الإسلامية إلى جبهة المعارضة للسلام المصري الإسرائيلي .

فهل هناك مشابهات بين نجاد وعبد الناصر أبعد من كونهما أكدا حق بلديهما الذي أنكره الغرب ، نجاد في حيازة التكنولوجيا النووية السلمية ، وعبد الناصر في عودة القناة إلى حضنها الوطني وملكية شعب مصر ، وأبعد من كونهما نموذجين للنقاء واستهداف الفساد والعصامية والاستناد في الزعامة إلى ضمائر الشعوب والتصدي لمؤامرات الغرب بجسارة الواثق من مشروعية قضيته ؟

أعلم أن مجرد وضع اسم نجاد إلى جانب عبد الناصر على سبيل المقارنة قد يزعج البعض في العالم العربي سواء الذين يجدون في شخص عبد الناصر ما هو أسمى من المقارنة، أو الذين تأثروا بمعركة الغرب ضد إيران ، أو أولئك الذين يجدون في

إيران خطرًا يهدد المصالح العربية في العراق والخليج وأن قدراتها النووية تدفعها إلى مزيد من الطغيان والتجاسر على هذه الصالح . وربما رأى البعض في هذه المقارنة أن طغيان الغرب وإغفاله مصالح شعوب المنطقة دفع كتلتي الشيعة في إيران والسنة في مصر عبد الناصر على التمرد على سلطان الغرب ، خاصة لأولئك الذين يحلو لهم مثل هذا التصنيف الذي يقترن عند البعض الآخر بآثار سياسية مؤلمة . كما لا يخفى أن ظهور عبد الناصر وطموحاته العربية والمصرية وتمدده الإقليمي قد أزعج أطرافًا عربية حينذاك ولم يكن محل إجماع الزعماء العرب ، وإن كان سيد الشارع العربي ، ولا يزال ، بلا منازع وبرحيله بقي الشارع وتغيرت الزعامات وازدادت الهوة بين الطرفين ، وهو ما يدفع الشارع العربي دائمًا إلى استحضار عبد الناصر وصوره ، كأنما يريد الشارع أن يقول أنه يتمسك بالكرامة العربية والإصرار العربي على الحقوق وأن عبد الناصر كان ولا يزال هو الرمز .

ووضع عبد الناصر مع نجاد لا يعني المساواة بينهما عندما يتعلق الأمر بالمصالح الإيرانية والعربية ، وعندما يتعلق الأمر أيضًا حتى بالمصالح العربية ، حيث رأينا أعدادًا هائلة في العالم العربي لا تزال تزاوج بين عبد الناصر وصدام حسين رغم كل ما يقال عنه وما ارتكبه من جرائم قد تفسر عند البعض على أنها أفعال يختلف وضعها حسب الحقبة والزاوية التي تصنف منها ، أي أن الجرائم حتى نسبية في الحسابات السياسية ، بينما يرى البعض الذي يبدو معقولاً أن المشابهة بين صدام وعبد الناصر إهانة كاملة لعبد الناصر وخلط لأوراق مختلفة الألوان والأحجام والقيمة على الأقل في المزايا الشخصية من تواضع عبد الناصر وتقشفه مقابل كبرياء وصلافة صدام وإسرافه ، كما لا يمكن المقارنة بينهما ، في نظري حتى فيما سببه كل منهما من أضرار لبلده والمنطقة على خلاف ما يحلو لكثيرين أيضًا حتى بين كبار الباحثين أن يسجلوه .

5

القراءات الخمس للملف المصري الإيراني

المراقب من الخارج لمجريات الملف المصرى الإيرانى وتسخينه خاصة بعد الإعلان عن قضية حزب الله فى مصر لابد أن يقرأ هذا الملف بصور مختلفة. فمن ناحية، يلاحظ ارتفاع نغمة العداء لإيران فى مصر واتهامها بأنها تخطط من خلال حزب الله للإضرار بالأمن القومى المصرى، رغم تأرجح الموقف المصرى من قبل بين نغمة التصالح ونغمة العداء. ولاشك أن هذا الملف مربك للدارسين خاصة وهم يدرسون تصريحات متناقضة فى نفس الوقت بين كبار المسؤولين ولنفس المسؤولين. يدخل فى هذا المسار تصريح منسوب لبعض المسؤولين بأن هناك «خلافات جذرية» بين مصر وإيران، ومع ذلك فإن الحزب الحاكم يدرس فرص التقارب المصرى الإيرانى إذا جاءت فرصته ذات يوم. ثم راح البعض يسهم فى تصور ماعساه أن يكون «خلافات جذرية» فاعتبر من هذه الخلافات الجذرية معاداة إيران لإسرائيل ورفض الاعتراف بها، ومعنى ذلك أن إيران إذا اعترفت بإسرائيل فسوف يزول أحد هذه الخلافات الجذرية، وكأن من يعادى إسرائيل يعادى مصر بالتبعية. ثم يعلن نتانياهو بعد رحلته إلى مصر والأردن أنه لأول مرة منذ قيام إسرائيل يحدث توافق عربي إسرائيلى على مواجهة إيران وانحسار ملف الصراع العربى الإسرائيلى ليعطى الأولوية المطلقة فى هذه النظرة الاستراتيجية الجديدة للملف الإيرانى.

ولما كانت علاقة مصر بإيران من المصالح التى تهم كل الشعب المصرى فإننى لا أمانع فى أن تجتهد الحكومة كما تشاء، دون أن تجور على القسمات الأساسية للمصالح المصرية كما نراها، وتراها النخبة التى لاترى سوى المصلحة المصرية تعلو على الألوان المصلحية الأخرى الداخلية والخارجية، مع ملاحظة أن أصحاب هذه الرؤى الملونة هم المصدر الرئيسى لتحديد الحكومة لموقف مصر كلها من هذا الملف، أى أن هذا التيار الملون هو الذى يملى على كل المصريين رؤيته ويلزمهم بدفع الثمن لهذه الرؤية الجزئية.

ونظراً لخطورة القضية فإننى أقترح أن نبحث عن المصلحة المصرية فى خمسة قراءات للملف المصرى الإيرانى.

القراءة الأولى: أن استمرار الشقاق المصرى الإيرانى سببه الأساسى الخلاف الأمريكى الإيرانى، ونحن على قناعة مطلقة بأن العلاقات المصرية الإيرانية سوف تصبح فى أزهى عصورها إذا تم التوافق الأمريكى الإيرانى، وهو بطبيعته على حساب العالم إذا نظرنا إلى الصراع الأمريكى الإيرانى على أنه صراع بين مشروعين وتكالب على مساحةٍ واحدة هى جسد العالم العربى.

هذا الانسجام المصرى الإيرانى سيزيل كل «الخلافات الجذرية الحقيقية» وهى التخلى عن مقاومة إسرائيل بما تسببه من احتكاك بين مصر والمقاومة، وتفاهم إيران مع إسرائيل مما يزيل حرجاً عن مصر بسبب استمرار الصراع بين إيران وإسرائيل، وهو فى الحقيقة تكالب على حصة مصر فى المنطقة التى قبلت مصر طواعية التخلى عنها. فإذا زال الخلاف الأمريكى الإيرانى، والإسرائيلى الإيرانى، وانطفأت المقاومة وخرجت أمريكا سالمة بترتيبات لضمان مصالحها فى العراق مع وجود عربى إسلامى لحماية تركيبة السلطة التى زرعتها واشنطن فى العراق، تكون واشنطن قد

رسمت نظاماً للتوازن الإقليمى ينطلق فيه المشروع الإيرانى والصهيونى ويقف فيه العرب حراسا لهذين المشروعين.

فجوهر الخلافات الجذرية بين مصر وإيران متغير. فعندما كانت إيران الشاه تتابع مشروعها فى الخليج خاصة بعد إعلان الانسحاب البريطانى، كان الاحتكاك مستمراً بين مصر الناصرية وإيران الشاهية، ثم صارت مصر وإيران فى شهر العسل فى ظل واشنطن أيام السادات والشاه، ولكن العداء الأمريكى لثورة إيران وموقف الثورة من إسرائيل ومشروعها وانعكاسات ذلك على مصر المتعاهدة مع إسرائيل أدى إلى هذا الملف الشائك بين مصر مبارك وإيران الثورة.

القراءة الثانية: ترى أن موقف مصر تجاه إيران يتحدد أساساً بعلاقة واشنطن بإيران من منطلق القواسم المشتركة والمتقاربة بين مصر وواشنطن خاصة فى هذه المرحلة، ومعنى ذلك أن كل الخلافات الجذرية «تزول بمجرد الوفاق الأمريكى الإيرانى».

القراءة الثالثة: ترى أن إيران أخطر على مصر فى طموحاتها من إسرائيل، وأن المشروع الإيرانى يهدد مصر وإسرائيل معاً، وأن دعم المقاومة من جانب إيران هو جزء من هذا المشروع، فتكون مصلحة مصر بالتوافق مع إسرائيل ضد إيران إلى أى درجة حتى لو كانت إسرائيل تنوى إنهاء المشروع الإيرانى بالقوة العسكرية. وربما كانت هذه القراءة تفسر فى جزء منها ما صرح به نتانياهو من وجود تناغم عربى نادر مع إسرائيل ضد إيران.

القرءاة الرابعة: ترى أن مشروع إيران قد تمدد على حساب مصر، وهذه القراءة تفترض أن لمصر مشروعها، الذى انطوى وتراجع أمام تقدم المشروع الإيرانى. وهذه القراءة تؤدى إلى أن تدافع مصر عن مشروعها أمام الالتهام الإيرانى

وتتحالف حتى مع إسرائيل لتحقيق هذا الهدف.

القراءة الخامسة: ترى أن مصر قد انسحبت من المنطقة كلها ولم يعد لها سوى رجع الصدى والتعلق بأهداب مرحلة انقضت تماماً بالتدريج منذ ١٩٦٧ حتى الآن، وأن الدور المصرى بالمعنى الفنى ليس موجوداً إلا بما ينسجم مع التوجهات الأمريكية فيصبح موقفاً معلناً وليس دوراً. ومع انسحاب مصر تقدم محلها وعلى حسابها المشروعان الإيرانى والإسرائيلى ثم التركى ومن خلفهم جميعاً الأمريكى.

الحق أن هذه القراءات الخمس تلامس كل منها الحقيقة لكنها لاتمثلها بالكامل، ولذلك فنحن فى مصر بحاجة إلى عقليات جادة تحدد لمصر مصلحتها إزاء إيران وتفرق بين الطارئ المتغير من السياسات وبين الراسخ من الاستراتيجيات على ألا تعميها المرايا العاكسة عن الرؤية الثابتة.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة